

مكتبة الأسرة
روائع الأدب العالمي

الكتاب العربي
٢٠٠٤



الإنسان والسوبرمان

<http://arabicivilization2.blogspot.com>

Amly

مسرحية

جورج برنارد شو

ترجمة: محمد فكرى أنور



مسرحية

الإنسان والسوبرمان

مسرحية
الإنسان والسوبرمان

تأليف
جورج برنارد شو
ترجمة
محمد فكري أنور

السيدة التى جعلت من الكتاب وطنًا !

د. سمير سرخان

مرت عشر سنوات منذ إنشاء «مكتبة الأسرة» وأذكر أنه كان يومًا مشهودًا، حين جلسنا مع عدد من المثقفين والوزراء والمفكرين حول تلك السيدة العظيمة التى كانت عينها تشخص إلى السماء حيث أحلام كثيرة تدور بذهنها الذى لا يتوقف عن التفكير أبدًا.

كانت منذ سنوات قد أنهت رسالتها من الماجستير، التى كان من نتائجه ضرورة إصلاح أحوال المدارس الابتدائية، ورفع مستواها العلمى والتعليمى، وحتى مستوى الأبنية والخدمات.. فكان الأساس فى ذهنها، كما أدركت بعد ذلك معظم الدول الكبرى أن العملية التعليمية هى أهم ما يميز الأوطان، وأن الطفل الذى يمثل البذرة الأولى فى بناء مستقبل أى وطن هو البداية الحقيقية، كنا نتعجب جميعًا فى صمت ونحن جالسون حول تلك المائدة الصغيرة.. لماذا لم يفكر أحد من قبل فى الطفل، ولا أعنى صحته فقط، أو ما قد يصيبه من أمراض، أو مستوياته الاقتصادية

والاجتماعية.. لماذا لم يفكر أحد فى الطفل الإنسان؟! أى فى عقل
الطفل ووجدانه، والانطباعات المختلفة، التى يكتسبها من عملية
التعلم، وبخاصة من القراءة الحرة، وليس قراءة الكتب المدرسية
فقط.

وكان الطفل المصرى فى ذلك الوقت معتاداً أن يمسك بالكتاب
المدرسى ويصب عليه كل ما فى طاقته من كره وسخط، ويحفظه
حفظاً آلياً بلا فهم، ويُفَرِّغ هذا الفهم على الورق لينجح وينتقل من
سنة دراسية إلى أخرى، أما فى آخر السنة فكانت العادة أن يرمى
الكتاب المدرسى من النافذة، كأنه قد تخلص من عبء ثَقِيل.

كانت السيدة العظيمة، التى قُدِّر لها أن تغنى بمستقبل مصر،
وأن تكرس حياتها لبناء هذا المستقبل، تفكر فى الطفل كإنسان،
وكعقل، وكروح... لقد اكتشفت أن كل ذلك لا يأتى إلا بالقراءة،
والقراءة خارج المقرر الدراسى، كما لا يأتى أيضاً إلا من خلال
كتاب يوضع فى يده ليحبه شكلاً ومضموناً، ويحتضنه فى سريرته
وهو نائم، ويطلق من خلال المادة التى يقرأها فيه، العنان لخياله،
فيسافر من خلال هذا الكتاب إلى عالم سحرى من الأماكن
والأفكار والمشاعر والرؤى.

لمعت العينان الذكيتان بعمق الفكرة، وأهميتها لوطن يبنى نفسه
ويضع نفسه على مشارف القرن الحادى والعشرين، وبعد أربع
سنوات من افتتاح المكتبات العامة فى الأحياء الفقيرة والمُعَدِّمة،

كانت الفكرة الرائدة قد اكتملت فى ذهنها فأصبحت سوزان مبارك صاحبة أعظم مشروع ثقافى فى القرن العشرين وأوائل الحادى والعشرين.. «مكتبة الأسرة».

وكانت فكرة مكتبة الأسرة بسيطة وعميقة فى نفس الوقت، وهى أن نقوم بغرس عادة القراءة فى نفوس ملايين أبناء الشعب الذين لم يكن الكتاب من قبل جزءاً من حياتهم.. وأعتقد أن هذا الهدف قد نجح تمامًا، فقد كان بعض من يسخرون من الشعب المصرى، محاولين الحط من قدره يصفونه بأنه شعب **القبول والطعمية**، وأعتقد أنه الآن وبعد عشر سنوات من صدور مكتبة الأسرة، أصبحوا يسمونه بلا تردد شعب الكتاب والقراءة والعلم والمعرفة.. لكن الهدف الأعرق والأسمى كان إعادة بعث التراث الأدبى والفكرى والعلمى والإبداعى الحديث لهذه الأمة، وهذا يؤكد بالفعل لا بالكلام ريادتها وقيادتها الثقافية والفكرية فى عالمنا العربى، كما يؤكد عظمة ما جاء به عصر التنوير المصرى لينقل العالم العربى كله من عصور الظلام المملوكية والاستعمارية إلى شعوب تعيش عصر العلم والتقدم، وتبنى شخصيتها الثقافية وحضورها الثقافى على مدى العالم..

وها قد أصبحت مكتبة الأسرة بعد عشر سنوات من الجهد المضنى والمتواصل تقدم أكثر من عشرة ملايين كتاب موجودة الآن فى كل بيت مصرى، تحمل صورة السيدة التى فكرت ونفذت هذه

الذخيرة من الفكر والإبداع التى تثرى عقل ووجدان كل مواطن
طفلاً كان أم شاعراً، ليس فى مصر فقط، وإنما فى العالم العربى
كله.. وأصبحت المادة التى تضمها هذه الكتب هى أساس راسخ
لتكوين مواطن المستقبل، وأصبحت معظم الدول العربية والمؤسسات
الدولية تطلب تطبيق التجربة المصرية على أرضها.

هل كان مجرد حلم لسيدة عظيمة شخصت بنظرها إلى
السماء باحثة عن المستحيل، أم كان مجرد حلم رائع، هائل القيمة
والحجم وتحقق.. تحية لهذه السيدة العظيمة «سوزان مبارك»،
واحتراماً وحباً بلا حدود على قدرتها لتخيل المستقبل، وبناء إنسان
جديد لوطن جديد.

وستظل صورة السيدة **سوزان مبارك** موجودة على كل كتاب،
وفى كل بيت تُذكر كل مصرى أن الحلم الحقيقى ليس بالمال، وليس
بالتهاافت على الماديات، إنما هو «المعرفة» وبدون معرفة فى هذا
العصر لا يوجد وطن، وإذا فقد الإنسان الوطن فقد ذاته.. بل فقد
كل شىء يربطه بهذه الحياة.

د. سمير سرحان

الانسان والسوبرمان

قدمتها : جماعة المسرح ، على مسرح البلاط الملكي : بلندن للمرة
الأولى يوم ٢١ مايو عام ١٩٠٥ .

وقام بتمثيل الأدوار :

في دور روبك ريمسدن	- تشارلز جودهارت
في دور اوكتافيوس روبنسون	- ليويس كيسون
في دور جون تانر	- جرانفيل باركر
في دور هنري ستريكر	- ادموند جيوين
في دور هكتور مالون	- روبرت هاربن
في دور مستر مالون	- ج.د. بيغريدج
في دور آن واتيفيلد	- ليلى مكارثي
في دور مسز واتيفيلد	- فلورانس هايدون
في دور مسز ريمسدن	- اينز توماس
في دور فيوليت روبنسون	- سارا بروك
في دور مدبرة البيت	- هيزيل طومسون

الفصل الأول

المنظر :

« روبيك ريمسند » فى غرفة مكتبه ، يتفحص خطابات تلقاها صباح اليوم . اثاث الغرفة يعكس جوا من الفخامة والوقار بما يليق برجل افكار مثل « ريمسند » قطع الاثاث نظيفة لا تعلوها ذرة من غبار . ولا غرو ، فالمعروف ان بالبيت خادمتين وثالثة تختص بالدور الأرضى ، الى جانب مديرة البيت وتختص بالدور العلوى ، فلا تترك لباقي الخدم أية فرصة للتراخي فى العمل . حتى راس « روبيك » ذاته ، تبدو ملساء لامعة هى الأخرى . ففى يوم مشمس كهذا ، يبدو « روبيك » وكأنه يصدر أوامره الى المعسكرات الثانية - لا عن طريق الهليوغراف - ولكن بمجرد ايماءة من راسه . وفى غير ذلك لا يبدو عليه شيء يلوح الى طبع عسكري ينعكس على سلوكياته ، بل هو ذلك النمط من الحياة المدنية النشطة . . تلك التى يحياها والتى أضفت عليه مسحة عريضة من الشعور بالأهمية والاحساس الخفى بالاذعان للغير . اما فمه فهو خلو من الاسنان ويعف عن فاحش القول ، وهو ما يتضح للوهلة الأولى عندما يسحب من المعارضة ويدعن للثوة ويخلد الى الراحة .

انه امرؤ يفوق كونه مجرد انسان محترم . انه يبدو وكأنه رئيس ارجال غاية فى الاحترام هو رئيس مجلس الادارة بين غيره من المديرين . . وهو العضو البارز بالبرلمان بين رجال البلاط ، وهو العمدة بين أعضاء البرلمان . . فوق أذنيه ، وعلى امتداد ركنى فكيه العريضين ، تمتد أربع خصلات من الشعر الرمادى الذى يصير الى المشيب بسرعة ملحوظة فتبدو وكأنها فى بياض غراء السمك ، ولكن مع الفارق .

أما ملابسه ، فهو يرتدى « فراك » أسود ، وصديرى أبيض (الجو الآن ربيعى شمس) ، بنطلون لا هو أزرق اللون ولا هو بالأسود ، بل واحد من تلك الألوان التى ينتجها الخياطون كى تلائم مزاج أمثاله من هواة الوقار والحشمة . وهو لم يبرح بيته

اليوم ، ولذلك نراه يرتدى « الشبشب » . اما هذاؤه التظيف فيقع فوق سجادة المدفأة منتظرا اياه . ومع الفراض انه لا يقنتى خادما خاصا به ، ويعتقد انه ليس بحاجة الى سكرتيرة تجيد الاختزال وكتابت الآلة الكاتبة ، فان المرء يستطيع الحكم بالقدر الضئيل من الازعاج والذى تتعرض له مثل هذه الشخصية العظيمة فى بيتها من جراء « التقاليع » و « المودات » الحديثة ، او من مشروع السكك الحديدية وشركات الفنادق التى تبعب الحياة فيما بين يومى السبت والاثنين بالدرجة الأولى فى فندق مثل « فولكستون » مقابل جنينيهن ، وكانك « جنتلمان » حقيقى .

والسؤال هو : كم يبلغ « روبيك » من العمر ؟

ان للسؤال اهميته البالغة ونحن على اعتاب « دراما الفكرة » هذه . ذلك ان كل شئ - فى ظروف كهذه - يعتمد على ما اذا كانت مرحلة مراهمته تمتد الى الستينات او الثمانينات . فالواقع انه ولد فى عام ١٨٣٩ ، وكان - فى صباه - وحديا ، مؤمنا بالتجارة الحرة . ومع ظهور كتاب « النشوء والارتقاء » اقتنع بما جاء به من افكار . وفى النهاية كان يقيم نفسه بأنه مفكر تقدمى ومصلح شجاع لا يشق له غبار .

يجلس « روبيك » الى مكتبه . عن يمينه نافذتين يشاهد من خلالها منظر « بورتلاندبليس » . وقد يستطيع المشاهد القوى الملاحظة أن يرى - من خلال هاتين النافذتين - صورته الجانبية واضحة بقدر ما تسمح به ستائر النافذتين . اما عن يساره ، فيظهر الجدار الداخلى وامامه مكتبة فاخرة . واما الباب فلا يقع فى منتصف المسرح بالضبط بل هو بعيد عن مجلسه الى حد ما . وامام الحائط المقابل يقف تمثالان نصفيان على عامودين : أحدهما - على يساره - تمثال « جون برايت » والآخر - عن يمينه ل : « مستر هوبرت سينسر » ، وبينهما تتدل على الجدار صورة محقورة ل : « ريتشارد كوبردين » ، وصورة مكبرة لكل من : « مارتينوه » ، « هكسل » ، « جورج اليوت » . ولوحات ذاتية مشتراه من المعارض لكل من : « مستر ج. اف ، واطس » (لأن روبيك يحترم الفنون الجميلة بكل التقدير الذى يبدیه رجل لا يفهم فيها شيئا) وصورة لحضر « دوبيوه » لعرض « ديلاروس للفنون الجميلة » تمثل الرجال العظام فى جميع العصور . اما على الحائط وراءه ، وفوق المدفأة ، فتتدل صورة عائلية يغلف عليها غموضا لا مثيل له .

وبالقرب من المكتب يقع كرسي لراحة زوار العمل . اما الجدار الواقع بين التمثالين فيقف امامه كرسيان آخران .

تدخل مديرة البيت ، ومعها بطاقة تعلن عن وصول ضيف لزيارة
المستر روبيك . يتناول منها البطاقة ويومئ برأسه موافقا ومرحبا بزيارة
صاحب البطاقة .

ويمسدن : لا مانع ، أدخله .

(تخرج السيدة وتعود بصحبة الزائر)

السيدة : مستر روبنسون .

(مستر روبنسون : رجل ليس جميل الشكل ، رغم أن الناظر اليه يعتقد
أنه « جان برميير » يرتدى حلة تعكس معاشيته لحداد لم تمض عليه
فترة طويلة . أما ملامحه ، فهو صغير الرأس ، منتظم الملامح ،
ذو شارب دقيق أنيق ، وعينين صريحتين ، وشعر مجعد ولكنه جيد
التصفيف ، وأهداب طويلة ، وجبهة مستقيمة ، وذقن دقيق .
مظهره يعلن عموما عن رجل على أعتاب قصة حب سيعانى منها الكثير
فيما بعد) . وفى اللحظة التى يدخل فيها روبنسون الى المسرح ،
يتهلل وجه ريمسدن بترحاب أبوى صادق ، وهو أقل ما يمكن أن
يلقى به رجلا لا يزال فى الحداد - زيا ومشاعر - ولكن ريمسدن
يبدو وكأنه يعرف طبيعة شعور اليتامى عند لقائهم . ومع خطو
الزائر تجاه المكتب ، ينهض العجوز ويشد على يديه عبر المكتب
دون أن يتفوه بكلمة واحدة . . تمضى اللحظات يشد خلالها على يد
الضيف بحب وترحاب . . الأمر الذى يجسد قصة من الحزن والأسى
عاشا أحداثها معا منذ فترة قصيرة .

ويمسدن : حسن ، حسن ، هذا هو مصير البشر جميعا يا «اوكتافىوس» ،
وسنواجهه بدورنا فى يوم من الأيام . تفضل بالجلوس .

(يجلس اوكتافىوس على الكرسي المجاور للمكتب ، ويجلس ريمسدن على
كرسي مكتبه)

اوكتافىوس : صحيح . . سوف نواجهه يا مستر « ريمسدن » . لكننى
أدين للمرحوم بالكثير . لقد فعل من أجلى الكثير مما لم يكن أبى
ليقدمه لى لو كان على قيد الحياة .

ويمسدن : نعم . انت تعلم انه لم ينجب أولادا .

اوكتافىوس : أنجب بنتين ، ورغم ذلك كان عطوفا باختى بقدر عطفه على .
كانت وفاته مفاجأة كبيرة ! . . كنت أنوى دائما الاعراب له عن
امتنانى . . أن أجعله يدرك أننى لم اعتبر رعايته لى كتحصيل

حاصل ، كما يظن بعض الأبناء برعاية آبائهم لهم . كنت أتحين
الفرص .. لكنه مات .. سقط دون انذار سابق ، ولم يعرف بما
أكن له من أحاسيس .

(يخرج منديله من جيبه ويكي دون انفعال) .

ريمسدن : كيف عرفت ذلك يا اوكتافيوس ؟ ربما يكون قد عرف به ..
لا ندرى . تعال .. لا تبك (يسيطر اوكتافيوس على نفسه ويضع
منديله في جيبه) هذا صحيح . والآن ، دعني أحكي لك شيئاً
أخفف به عما بك . لقد رأيته لآخر مرة هذا الصباح وقال لي :
« تيفي » ولد كريم ، وهو روح الشرف ، وعندما أشاهد ضالة
الاحترام الذي يلقاه الآباء من أبنائهم فأنني أدرك كم كان
« اوكتافيوس » بالنسبة لي أكثر من مجرد ابن .. هه .. ألا
يرحك قوله هذا ؟

اوكتافيوس : لقد اعتاد ، يا « مستر ريمسدن » ، أن يقول لي أن الرجل
الوحيد في العالم والذي يعتبره روح الشرف فعلا هو « روبيك
ريمسدن » .. أنت يا سيدى .

ريمسدن : أوه .. لست محتاجاً لذلك . ستوافق عليك يا ولدى ، رغم
سنوات طويلة كما تعرف . لكن ثمة شيئاً محدداً كان يقوله عنك
دائماً ، ولست أدري ان كان يجب على مصارحتك به أم لا .

اوكتافيوس : (بتلهف) عن « آن » .. أوه .. ارجوك . ما هو يا « مستر
ريمسدن » ؟

ريمسدن : حسن . قال انه سعيد بأنك لست ابنه ، لانه يعتقد أن « آن »
وأنت لابد انكما في يوم ما .. (تحمر وجنتا اوكتافيوس خجلاً)
حسن .. كان الأفضل الا اخبرك بذلك . لكنه كان جاداً في
ما قال .

اوكتافيوس : أوه .. ليتنى سنحت لي الفرصة ! .. أنت تعلم يا « مستر
ريمسدن » اننى لا اكثرث بالمال أو بما يسميه الناس « المركز
الاجتماعى » . ولذلك لا أستطيع اقحام نفسى فى الاهتمام
بما يتكالبون هم عليه من هذه الأشياء .. حسن . ان « آن »
تتمتع بشخصية جذابة ، لكنها اعتادت أن تكبل نفسها بأغلال ذلك
الشيء الذى يجعلها تعتقد بأن شخصية الانسان لن تتكامل الا اذا
كان طموحاً . وهى تدرك انها اذا تزوجت منى فيجب أن تدرب

اوكتافىوس : (يتسم) ولكن « جاك » ..

ريمسلىن : (بضيق) اذا كان لى عندك خاطر لا تنطق باسم « جاك » هذا فى بيتى (يرمى الكتاب على المكتب بشدة ثم يحدث اوكتافىوس بحزن عميق) « اوكتافىوس » .. أنا أعلم أن صديقى المتوفى كان على حق عندما قال انك ولد كريم .. وأنا أعلم ان هذا الرجل ، « جاك » ، كان رفيقك فى الدراسة ، وانت لا تستطيع التخلّى عنه بسبب الصداقة الطفولية التى كانت بينكما فى سنوات الدراسة .. كل ما أرجوه منك هو التفكير فى الظروف الجديدة المتغيرة .. لقد عوملت فى بيت صديقى كواحد من أبنائه ، وعشت هناك ، ومن ثم لم يكن ممكنا طرد أحد أصدقائك من باب البيت .. ولقد استطاع هذا الرجل - « جاك » - أن يدخل البيت ويخرج منه منذ طفولته ، ولأجل خاطرِكَ انت .. انه ينادى « آنى » باسمها الأول ، وبكل حرية ، كما تفعل أنت . حسن .. كل هذا كان ممكنا عندما كان أبوها حيا .. هو حر .. أما أنا فلا .. هذا الرجل - « تانر » - كان بالنسبة له مجرد طفل صغير ، وكانت آراؤه شيئا مثيرا للضحك ، بالضبط كما تضع قبعة رجل كبير فوق رأس طفل رضيع .. أما الآن ، فقد أصبح تانر رجلا بالغا وأصبحت « آنى » امرأة ناضجة ، وأبوها مات ، ولكنه ناقش هذه المسألة كثيرا معى ، وأنا لا أشك أبدا - كيقينى بانك جالس على هذا الكرسي ، فى اختيار الوصية لى كفيلا ووصيا على « آنى » .. (بجدة) والآن أخبرك - ولآخر مرة - اننى لن أستطيع ولن أسمع بأن تجد « آنى » نفسها فى موقف يتحتم عليها فيه ، وبصرف النظر عنك انت ، أن تكابد المودة مع هذا الرفيق « تانر » .. بهذا ظلم ، وغلط ، وقسوة .. وانت ، ما رأيك فى ذلك ؟

اوكتافىوس : لكن « آن » نفسها قالت لى : « جاك » بأنه مهما كانت آراؤه فهى سترحب به دائما ، لا لشيء الا لأنه كان يعرف والدها .

ريمسلىن : (نافذ الصبر) هذه البنت مجنونه بواجبها تجاه والديها (يدور فى الغرفة كالثور الهائج ، ثم يتجه الى « جون برايت » الذى لا تجسد صورته أى احساس بالتعاطف مع حالته ، وفى أثناء كلامه يتجه بنظره الى « هربرت سبنسر » الذى يتلقى نظراته ببرود أكثر) . معذرة « اوكتافىوس » .. ان هناك حدودا للتسامح الدينى فى المجتمع .. انت تعرف اننى لست رجلا متحيزا أو متعصبا .. وتعلم اننى أنا « روبيك ريمسلىن » ، الرجل الواضح .. ففى حين استطاع غيرى من الرجال - الذين لم يفعلوا شيئا

بالمقارنة بى - اضافة الكثير من الشهرة الى اسمائهم ، فقد استطعت
انا الصمود دفاعا عن المساواة والحرية الفكرية ، فى الوقت الذى
كانوا هم يملقون الكنيسة والارستقراطية • اننا - « وايتفيلد »
وانا - قد أهدرنا الفرصة بعد الفرصة لا لشيء الا انتصارا لآرائنا
التقدمية • أما بالنسبة لى أنا ، فقد وضعت النقط فوق الحروف
فيما يتعلق بفلسفة الفوضوية والحرية الجنسية وغير ذلك من
القضايا • واذا كنت ساعين وصيا على « أنى » ، فيجب عليها أن
تعلم ان عليها لى واجبا ، قد لا أطلبها بأدائه ، مؤكدا لن أفل
ذلك ، لكنها يجب أن تمنع « جون تانر » من دخول البيت ، وهو
نفس الشيء الذى سافعله أنا •

(تدخل الخادمة)

اوكتافىوس : ولكن ..

ريمسدن : اش .. (للسيدة) نعم ..

السيدة : « مستر تانر » يريد مقابلتك يا سيدى •

ريمسدن : « مستر تانر » !

اوكتافىوس : « جاك » !

ريمسدن : كيف يجرؤ المستر تانر على زيارتى ! .. أخبريه اننى اعتذر
عن مقابلته •

اوكتافىوس : (بالهم) يؤسفنى أن تطرد صديقى من بابك بهذه الطريقة •

السيدة : (بهدوء) انه ليس بالباب يا سيدى .. لقد صعد الى الصالون
فى الدور العلوى مع « مسز ريمسدن » ، ومعه جاءت « مسز
وايتفيلد » و « مس آن » و « مسز روبنسون » يا سيدى •

(« مستر ريمسدن » تخونه قدرة التعبير عن الموقف)

اوكتافىوس : هذا هو « جاك » يا مستر ريمسدن • يجب أن تقابله ،
حتى ولو لمجرد طرده من البيت •

ريمسدن : (بغضب شديد) اصعدى الى الدور العلوى ، واسألى « مستر
تانر » أن يتكرم ويتعطف ويهبط إلينا هنا •

(تخرج السيدة ، ويعود « ريمسدن » الى مكانه بجوار المدفأة ،
كما لو كان يتحصن فى مكان منيع) يجب أن أقول ، انه اذا كانت

أخلاق الفوضويين بمثل هذا القدر ، الذى لا يطاق ، من الوقاحة ،
فأرجو أن تستطيع أنت تتبادل الود معهم .. ومعه « آنى » ؟ ..
« آنى » !! آ .. (يسكت)

اوكتافىوس : أجل .. ذلك ما يدهشنى .. انه يخاف من « آن » جدا ..
لابد أن هناك شيء ما ..

(يفتح « مستر جون تانر » الباب فجأة ويدخل : وهو شاب صغير فعلا
بالنسبة لما يوصف به كرجل كبير ذى لحية وشارب .. انه فى
مرحلة ما بين الشباب المبكر والرجولة ، ومع ذلك فلا يزال متمتعا
بشيء من طيش الشباب الذى لا يعتبره هدف حياته . أما المعطف
الذى يرتديه فيناسب مركز رئيس وزراء ، كتفاه بارزان فى جراحة ،
وراسه شامخ فى تسام ، وشكله يبدو وكأنه الآلة « اوليمب » ..
يتدل شعره على حاجبيه فى خصلة كبيرة مصبوغة بلون البنق
فيبدو قريب الشبه من الآلة « جويتر » أكثر من تشبيهه بالآلة
« اوليمب » . وهو أيضا لبق الحديث ، قلعا ، سهل الاستشارة
(مما تدل عليه انفه الناتئة وعينييه الزرقاوتين القلقتين . يمكن
القول بأنه مجنون صغير . وهو متائق فى ملبسه ، ليس عن
استجابة لنزوة البهجة ، ولكن انطلاقا عن احساس بأهمية كل
ما يصدر عنه من تصرفات .. كل هذا يجعله يبدو وكأنه ذاهب
لخطبة عروس أو لارساء حجر الأساس لمشروع كبير . وهو رجل
حاساس ، كثير الشك ، مبالغ ، وقور ، مصاب بحنون العظمة لكنه
لا يخلو من مسحة مرح وخفة ظل .. بيد أن مسحة المرح فيه معطلة
فى الوقت الحاضر .. وصفه بأنه كثير الانفعال ليس غريبا ، لأن
كل الأمزجة التى يتصف بها تعتبر جوانب متعددة لعنصر الاستشارة
فى شخصه . انه يعيش الآن موقفا مثيرا ودقيقا . يتجه من فوره
الى « ريمسدن » كما لو كان ينوى اطلاق الرصاص على قلبه مباشرة ،
لكنه لا يخرج من جيب صدريه مسدسا بل وثيقة يلقاها تحت أنفه
« ريمسدن » التى تعكس كل معانى التأفف منه دون أن يستطيع
اخفاء انزعاجه مما يحدث) .

تانر : « ريمسدن » ! أتعرف ما هذه ؟

ريمسدن : (باحترام) لا يا سيدى .

تانر : نسخة من وصية « وايتفيلد » ، أحضرتها أن هذا الصباح .

ريمسدن : عندما تقول « آن » فأعتقد انك تقصد « مس وايتفيلد » .

قافر : أقصد « آن » فتأتى أنا ، و « آن » فتأتك انت ، و « آن » فتاة
« تيفى » . والآن ، الصبر يارب ، فتأتى « آن » .

اوكتافىوس : (ينهض شاحبا جدا) . ماذا تقصد بقولك هذا ؟

قافر : أقصد ؟ (يتناول الوصية) أتعرف من تختاره الوصية وصبا على
« آن » ؟

ريمسلىن : (برود) أعتقد أن هذا الشخص هو أنا .

قافر : أنت ؟ .. أنت وأنا يا رجل . أنا !! أنا !! أنا !! قل كلانا (يلقى
الوصية بشدة على المكتب) .

ريمسلىن : أنت ؟ مستحيل .

قافر : بل الحقيقة البشعة لا أكثر (يجلس على كرسى اوكتافىوس) .
« ريمسلىن » .. أبعدنى عن هذا الموضوع بأية وسيلة ان استطعت
انت لا تعرف « آن » كما أعرفها .. سترتكب كل جريمة لاتستطيع
أى امرأة محترمة ارتكابها ، ثم تبرر كل جريمة منها على أنها
استجابة لرغبة أحد الوصيين عليها . ستلقى على كواهلنا كل شيء ،
وعندئذ لن تزيد سيطرتنا عليها بأكثر من سيطرة فارين على قط .

اوكتافىوس : « جاك » .. لا تتكلم عن « آن » بهذه الطريقة ، أرجوك .

قافر : هذا الأبله يحبها ، وهذه مشكلة أخرى . حسن .. اما أن تنبذ
حبه قائلة أننى لا أوافق عليه ، واما أن تتزوجه وتقول انك أمرتها
بذلك . دعنى أصارحك بأن هذه الوصاية هى أكبر ضربة قاضية
تصيب رجلا فى مثل سننى ومزاجى .

ريمسلىن : أرنى هذه الوصية يا سيدى (يذهب هو الى المكتب ويتناولها) .
.. أكاد لا أصدق أبدا أن يبدى صديقى القديم « وايتفيلد » مثل
هذه الثقة بشخصى ، ثم يشرك معى (يسكت كى يتفرغ لقراءة
الوصية) .

قافر : كلها من صنع يدى أنا ، وهذا هو عنصر السخرية المرة فى
الموضوع . لقد أخبرنى أنه كان مقررا أن تكون أنت الوصى على
« آن » .. وكنت من الحماقة بمكان بحيث أدركت معه حوارا مؤداه
أنه من السخف اختيار رجل عجوز ذى أفكار عقيمة مثلك وصيا
على شابة صغيرة مثل « آن » .

ريمسلىن : (يصدم) أنا أرائى عقيمة !!

قافر : فى كل شىء • لقد انتهيت لتوى من كتابة مقال بعنوان « تسقط حكومة العواجيز » ، وزودته بالكثير من المناقشات والصور ، ووصلت فيه الى القول بأن المنطق يفرض علينا المزج بين تجربة العواجيز والتجربة النابضة للشباب • • وأنا أراهنك • • اشنقنى اذا لم يكن قد أخذ برأى فغير وصيته واختارنى وصيا متضامنا معك ، هذا مع ملاحظة أن تاريخ الوصية لا يزيد عن أسبوعين منذ كانت بيننا هذه المناقشة •

ريمسلن : (بتصميم) اذن • • أنا أرفض القيام بدورى فى هذه الوصية •

قافر : وما فائدة ذلك أنا رفضته طول الوقت مع « ريتشموند » ، لكن «آن» كانت تردد دائما أنها مجرد انسانة يتيمه ، وأنها لن تستطيع رؤية اولئك الذين كانوا يترددون على البيت أثناء حياة أبيها وهم يتخلون عن رعايتها بعد وفاته • • هذه آخر ورقة تلعب بها الآن • • يتيمة !! أرايت ؟ شىء كسماع قائد بارجة حربية يتحدث عن وقوعه تحت رحمة الرياح والأمواج المتلاطمة :

اوكتافىوس : « جاك » • • ليس بهذه الحدة • انها بالفعل يتيمة ، ومن حقها الوقوف بجانبها •

قافر : آه • • الوقوف بجانبها ! • • أى خطر تواجه ؟ القانون بجانبها ، والعواطف النبيلة الرحمة بجانبها ، ومعها مال وفير ، ولكن بدون ضمير • ان ما تريده منى هو أن أحمل عنها جميع تبعاتها الأخلاقية ، وأن أفعل كل ما تريده على حساب شخصى أنا ، وأنا لا أستطيع السيطرة عليها • اما هى فتستطيع أن تتحكم فى كما تشتهى ، وليس بعيدا ان أصبح زوجا لها فى يوم من الأيام •

ريمسلن : تستطيع رفض هذه الوصاية • اما أنا فسأرفض ، بكل اصرار ، القيام بهذه المهمة اذا ارتبطت بالتضامن معك •

قافر : لا بأس • وماذا سيكون رأيها فى ذلك ؟ ما هو رأيها فعلا ؟ ستقول ان رغبات والدها أوامر مقدسة عندها ، وأنها ستعتربنى دائما الوصى عليها سواء حرصت أنا على مواجهة هذه المسؤولية أم لا • • ترفض ؟ اذا كان الأمر بهذه السهولة ، فمن السهولة أيضا ان ترفض قبول الاختناق من الحية الرقطاء بعد أن تكون قد التفت بجسمها حول عنقك وانتهى الأمر •

اوكتافىوس : ليس من الانصاف أن أسمع منك كلاما كهذا يا « جاك »

تافر : (يثفض ، ويتوجه الى « اوكتافىوس » لتهدة انفعاله ، ولكنه لا يزال يبكى) : اذا كان المرحوم يريد وصيا شابا فلماذا لم يختار « تيفى » ؟

ريمسندن : صحيح .. لماذا فعلا ؟

اوكتافىوس : سأعترف لكما .. لقد ناقشنى فى هذه المسألة ، لكننى رفضتها لأننى أحبها ، ومن ثم فلا حق لى فى فرض نفسى عليها وصيا على شئوننا من قبل والدها . ثم ناقشتها هى فى الأمر فأقرت وجهة نظرى . أنت تعرف يا « مستر ريمسندن » ، وأنت أيضا يا « جاك » ، أننى أحبها . ولو أن « جاك » أحب امرأة فلن اسمح لنفسى بوصفها ، فى حضوره ، بأنها حبة رقطاء ، مهما بلغت درجة كراهيتى لها . (يجلس بين التمثالين ويدبر وجهه الى الحائط) .

ريمسندن : أنا لا أصدق أن « وايتفيلد » كان بكامل قواه العقلية عندما كتب هذه الوصية . أنت تعترف بأنه كتبها تحت تأثير منك .

تافر : أنت أيضا لا تملك غير أن تقح تحت تأثيرى . لقد ترك لك ألفين وخمسمائة جنيه مقابل ما تتحمله من أعباء فى هذه المهمة ، وترك خمسة آلاف جنيه « لتيفى » وبائنه لاخته .

اوكتافىوس : (تغلبه دموعه) أوه .. لا أستطيع قبول هذه الهبة منه .. كان طيبا معنا جميعا .

تافر : وانت لن تحصل على هذه الهبة يا ولدى اذا ما رفض « ريمسندن » الوصاية .

ريمسندن : آه .. فهمت .. لقد أوقعتنى فى موقف حرج .

تافر : لماذا ؟ وهو لم يترك لى غير الرعاية الأخلاقية ل : « آن » ، وحجته فى ذلك ان لدى من المال ما يزيد عن حاجتى والحمد لله . هذا معناه أنه كان فى كامل قواه العقلية .. اليس كذلك ؟

ريمسندن : (بكآبة) معك فى ذلك .

اوكتافىوس : (ينهض ويعود الى ملاذه بجوار الجدار) « مستر ريمسندن » .. أعتقد انك متحامل على « جاك » .. صحيح أنه ليس شريفا ، ولكنه لن يسيىء استغلالى .

تافر : (مقاطعا) لا تكمل يا « تيفى » .. انت تثير اشمزازى .. أنا لست رجلا شريفا ! أنا رجل صرخته يد رجل ميت . « تيفى » :

أهم شيء الآن هو أن تتزوجها وتبعدها عني .. أما من ناحيتي فقد
قررت أن أحملك منها .

اوكتافىوس : أوه .. « جاك » .. تتحدث عن حمايتي من أعظم سعادة
أحلم بها !

تاجر : ولم لا ؟ . سعادة العمر كله لو كنت أضمن لك سعادة النصف
ساعة الأولى فقط لاشتريتها لك بآخر قرش في جيبي .. لكن أن
تقول سعادة العمر كله ! فأمر لا يحتمله كائن حي .. جهنم على
الأرض .

ريموند : (بانفعال شديد) اسكت يا سيدي .. قل كلاما معقولا ،
أو - على الأقل - اذهب وضيع وقت انسان غيرى . ان لدى أشياء
أود سماعها وليست ، بالتأكيد ، خرافاتك هذه (يخطو بانفعال
شديد فيدب على الأرض في طريقه الى مكتبه ، ثم يجلس على
كرسيه) .

تاجر : سمعت يا « تيفى » ! هذا الرجل لم يعد عقله يحتمل أى آراء بعد
بلوغه الثامنة والسبعين .. فعلا .. نحن لا نستطيع ترك « آن »
فى رعاية وصى غيره .

ريموند : احتقارك لشخصى وأفكارى ، شرف أعز به يا سيدي :
اما أراؤك أنت فاعتقد أنها مدونة فى هذا الكتاب .
تاجر : (يذهب الى المكتب فى لهفة) ماذا ! حصلت على نسخة من كتابى !
ما رأيك فيه ؟

ريموند : أعتقد اننى أقرأ كتابا كهذا يا سيدي ؟

تاجر : فلماذا اشتريته اذن ؟

ريموند : لم أشتريه يا سيدي . ارسلته لى سيدة حمقاء يبدو أنها معجبة
بآرائك ، وكنت على وشك القائه فى سلة المهملات لولا أن منعتنى
« اوكتافىوس » من ذلك ، ولكننى سأفعل الآن ، بعد اذنك (يلقى
الكتاب فى سلة المهملات بشدة تجعل « تاجر » ينتفض وكان الكتاب
قد ألقى على رأسه) .

تاجر : ان ما تتذرع به من أخلاقيات لا يزيد أبدا عما اتسلح به أنا ،
وهذا هو سر المودة بيننا . (يجلس مرة ثانية) والآن .. كيف
تتصرف فى موضوع الوصية ؟

اوكتافىوس : أسمحا لى باقتراح ؟

ريمسدن : طبعا يا « اوكتافىوس » .

اوكتافىوس : الستما معى أنا قد تجاهلنا رأى « آن » فى هذا الموضوع الذى يخصها هى بالدرجة الأولى ؟

ريمسدن : أنا مصمم تماما على احترام رغبات « آنى » بكل وسيلة ممكنة . لكنها لا تزيد عن مجرد امرأة ، وامرأة صغيرة وليس لها خبرة بهذه المسائل .

قائر : « ريمسدن » .. أنا بدأت أشفق عليك .

ريمسدن : (بعنف) لا يهمنى شعورك تجاهى يا « مستر تائر » .

قائر : « آن » ستفعل ما تريده هى فقط ، وأكثر من ذلك فهى ستجبرنا على نصحتها بفعل ما تريده هى ، ثم تعود بالقاء اللائمة علينا اذا ما تمخض فعلها هذا عن نتائج غير محمودة .. وهكذا ، فما دام « تيفى » مشتاق لرؤيتها ..

اوكتافىوس : (يقاطعه بحياء) لا .. لست أريد يا « جاك » .

قائر : كذاب .. انت تريد يا « تيفى » . ولذلك دعونا نستدعيها من غرفة الاستقبال ونسألها ماذا تريدنا أن نفعل . اخرج يا « تيفى » واستدعها (يتحرك للخروج) لا تتأخر أرجوك ، لان العلاقات المتوترة بينى وبين « مستر ريمسدن » ستجعل فترة انتظارنا معا عذابا لا يطاق .

(يضغط « ريمسدن » على شفتيه دون أن ينطق بشئ)

اوكتافىوس : لا عليك منه يا « مستر ريمسدن » ، فهو ليس جادا (يخرج) ريمسدن : (بجدية شديدة) « مستر تائر » .. أنت أخط انسان سافل قابلته فى حياتى .

قائر : (بجدية) أعرف يا « مستر ريمسدن » ، لدرجة اننى اخجل من ذلك .. اننا نعيش فى مناخ مفعم بالحجل .. الحجل من كل شئ حقيقى من حولنا .. الحجل من أنفسنا ، واقربائنا ، ومواردنا المالية ، وأصواتنا ، وآرائنا وتجاربنا .. بالضبط كما نخجل من أجسادنا العارية .. يا الهى .. اننا - يا « مستر ريمسدن » - نخجل من السير على أقدامنا ، نخجل من ركوب الامنيبوس ، نخجل من استئجار عربة بعجلتين بدلا من ركوب عربة كبيرة ، نخجل من امتلاك حصان واحد لا اثنين ، ومن استخدام بستانى بدلا من أن

يكون الأجير سائقا وخادما في نفس الوقت .. وكلما ازدادت الأشياء التي يخجل منها الإنسان كلما ازداد احترامها في عيون الناس . لماذا تشعر بالخجل من شراء كتابي ، وتخجل من قراءته ، في حين أن الشيء الوحيد الذي لا تخجل منه هو أن تحكم على شخصي بسببه وقبل أن تقرأه ، وهذا أيضا معناه أنك تخجل من إعلان آرائك الهرطقية .. انظر الى ما أحس به من أثر ما سببته لي تلك السيدة التي قامت بتعميدي بالكنيسة عندما كنت طفلا ، اذ جردتني من موهبة الخجل هذه . انني أستمتع بكل فضيلة يستطيع الإنسان التحلي بها ما عدا ..

ويمسكن : (مقاطعا) تسرني آراؤك هذه في نفسك .

قافر : كل ما تقصده بكلامك هذا هو أن أستحي من التحدث عن فضائلي انت لا تقصد انني لا أتمتع بشيء منها ، لكنك توقن تماما انني مواطن واع وأمين مثلك تماما ، وصادق من الناحية الشخصية ومن الناحيتين السياسية والأخلاقية أيضا .

ويمسكن : (بتأثر بالغ) أنا أرفض ذلك . أنا لا أسمح لك ولا لغيرك بمعاملتني كمجرد فرد من الشعب البريطاني .. انني أبذل تعصبات هذا الشعب ، وازدري ضيق أفقه ، وأطالب بحقي في التفكير كما أشتهد وأريد .. أما أنت فتقف أمامي بصفتك رجلا تقديميا . اسمح لي بالقول بأنني رجل تقدمي من قبل أن تولد انت .

قافر : أعرف ذلك منذ وقت طويل .

ويمسكن : ولا ازال للآن تقديميا كما كنت دائما . أتحداك أن تثبت انني قد نكست رايتي يوما من الأيام انني الآن تقدمي أكثر من أي وقت آخر ، بل وازداد تقدميه مع كل يوم جديد .

قافر : بل تتقدم في العمر أكثر من ذلك يا « بولونيوس » .

ويمسكن : « بولونيوس » !! اذن فانت « هاملت » .

قافر : لا .. أنا لا أزيد عن كوني أخط سافل قابله في حياتك ، هذه هي فكرتك عن شخصية سيئة تماما .. وعندما تريد أن تقدم لي شيئا من أفكارك ، فاسأل نفسك - كرجل محايد ومعتدل - عن أسوأ ما يمكن أن تقوله عني .. لص ، كاذب ، مزور ، مراهق ، منافق ، شره ، سكير ؟ .. ليس من بين هذه الأسماء كلها ما يناسبني ، ومن ثم تضطر الى التكوص حيث عيوبى وانت خاجل

.. حسن .. دعنى اعترف لك به .. اننى اهنىء نفسى ، لأننى
إذا شعرت بالخجل من حقيقة نفسى . يجب أن أكون من الغباء
بحيث أحدد لنفسى اسما مشهورا كإى فرد منكم - ازرع فى نفسك
قليلا من السفالة ، يا « مستر ريمسدن » ، وستصبح رجلا مشهورا
لا شك .

ريمسدن : أنا لا ..

تاتر : (مقاطعا) أنت لا تحبذ هذا النوع من الشهر أو قل التشهير ان
شئت .. هنيئا لك . لقد أدركت أن هذا سيكون جوابك بالضبط ،
كما أعرف أن علة الكبريت تخرج من الآلة الاوتوماتيكية عندما
نضع قرشا فى فتحة الماكينة . اعتقد انك تخجل الآن من التعليق
على ذلك ولو بكلمة واحدة .

(يدخل آن .. اوكتافىوس .. مسز وايتفيلد) .

ريمسدن : « آنى » .. معذرة اذا اضطرت الى عرض بعض الأعمال عليك
وأنت فى حدادك لا تزالين .. لكن وصية والدك العزيز طرحت
علينا سؤالا بالغ الأهمية .. لقد قرأت الوصية ، اليس كذلك ؟
(تومى « آن » موافقة ، ويصدر عنها صوت ينهى بأنها لا تستطيع
حبس أنفاسها ، وبأنها لا تستطيع الكلام من فرط التأثر .. من
واجبى القول بأننى دهشت عندما وجدت اسم « المستر تاتر »
كوصى متضامن معى عليك وعلى « رودا » .

(فترة صمت ، يبدو خلالها الاضطراب على الجميع ، ولكن دون
التعبير عن ذلك ببنت شفة .. يستثير « ريمسدن » عدم استجابة
أحد الحاضرين لوجهة نظره فيستطرد قائلا ، اننى لا أستطيع أبدا
الموافقة على بنود كهذه ، أيضا يبدى « مستر تاتر » - حسب
اعتقادى - بعض الاعتراضات هو الآخر ، لكننى لا أدعى الاعتراف
بفهمها ، وهو سيفسرها لنا بنفسه . غير أن الذى اتفقنا عليه معا
هو أننا لن نقرر فعل أى شئ الا بعد معرفة وجهة نظرك ازاءه .
اننى أخشى احراجك بطلب اختيارك بين وصايتى عليك أو وصاية
« مستر تاتر » .. بصراحة أعتقد أنه من المستحيل أن نباشر معا
وصايتنا المتضامنة عليك .

آن : (بنبرات موسيقية منخفضة) ماما -

مسز وايتفيلد : (مقاطعة) أرجوك يا « آن » .. لا تقحمينى فى هذا
الموضوع - أنا لا رأى لى فى هذه المسألة ، وحتى لو كان لى رأى

ما فاعتقد أن أحدا لن يستمع اليه . اننى قانعة تماما بأى شىء
توافقون عليه أنتم الثلاثة .

(« تانر » يلتفت بثبات الى « ريمسدن » الذى يرفض تبادل
النظرات معه)

آن : (بنفس النبرات الرقيقة ، ومتجاهلة الرد الجاف من أمها) ماما
تعرف انها تملك القوة الكافية لتحمل المسئولية كاملة عنى وعن
« رودا » ، دون أن تحتاج لمساعدة أو نصيحة ما . ان « رودا »
لها وصى . . أما أنا ، ورغم اننى أكبرها سنا ، فلا أعتقد أن الفتاة ،
فى سن الشباب ، يجب أن تترك لوصايتها الخاصة على نفسها . .
هل أنت معى فى ذلك يا « جرينى » ؟ .

تانر : (بانزعاج) « جرينى » ! . . هل تنوين تكتية كفيلىك بأسماء
مثل « جرينى » هذا ؟

آن : لا تكن أحمقا يا « جاك » . لقد كان « المستر ريمسدن » بالنسبة لى
دائما هو « جدو » « روبيك » ، ولقد كنيته بهذا الاسم منذ تعلمت
الكلام وأنا بعد طفلة صغيرة .

ويمسدن : (بسخرية) المهم هو رضاؤك انت يا « مستر تانر » . . اكملى
يا « آن » ، أنا معك تماما . .

آن : حسن . . مادمت سأكون تحت وصاية شخص ما ، فهل أملك
الحق فى تنحية أى انسان يكون والدى الحبيب قد اختاره لى ؟

ويمسدن : (يعرض على شفتيه) اذن ، فانت توافقين على اختيار والدك
آن : أنا لا أملك حق الموافقة أو الرفض . . أنا أقبلها . . لقد كان أبى
يحببنى ويعرف مصلحتى تماما .

ويمسدن : أنا أفهم شعورك يا آن لم تقولى غير ما توقعته منك ، وهذا هو
سر ثقنتنا فيك . لكن السؤال لم يطرح بالشكل المحدد كما تظنين
. . استمعى لى أن أوضح لك المسألة . . تصورى ، جدلا ، انك
اكتشفت أنه كانت لى سابقة مخلة بالشرف ، أو اننى لست
بالرجل المناسب الذى اختاره والدك المسكين ! هل كنت تصرين ،
وقتها ، على اعتقادك بأنه من المنطق أن أكون وصيا على «رودا» ؟ . .

آن : لا أظن أبدا أن تقوم بأى عمل مخل بالشرف يا « جرينى » .

تانر : (يحدث ريمسدن) وانت فعلا لم ترتكب أى عمل من هذا النوع ،
أليس كذلك ؟

ريمسدن : (باحتقار) كلا يا سيدى .

مسز واتيفيلد : (بهدوء) حسن .. اذن ، لماذا نناقش افتراضا كهذا ؟

ريمسدن : (بارتباك شديد) كلاكما مفعمتان بأحاسيس فطرية وعاطفية
ازاء كل ما يتعلق بهذه المسائل العائلية ، الى الحد الذى يصعب معه
طرح القضية عليكما بحياد وموضوعية .

تانو : هذا اذا قلنا بأنك ، يا صديقى العزيز ، تطرح القضية بحياد
وموضوعية .

ريمسدن : (بانفعال) اذن فلتطرح انت الموضوع .. تفضل .

تانو : وهو كذلك .. «آن» : «ريمسدن» يعتقد اننى لا أصلح للوصاية
عليك ، وأنا أوافقك تماما .. انه يعتقد أن والدك لو كان قد قرأ
كتابى قبل وفاته ، لما اختارنى وصيا عليك .. هذا الكتاب هو
العمل الشائن الذى يتحدث عنه . ولذلك يعتقد انه من واجبك ،
ولو من أجل « رودا » ، يحتم عليك أن تطلبى اليه ، وحده ، القيام
بالوصاية عليكما .. قوليه ، وأنا مستعد .

آن : لكننى لم أقرأ كتابك يا « جاك » !

تانو : (يتجه الى سلة المهملات ، ويلتقط الكتاب منها ، ويقدمه الى
« آن ») اذن .. اقرئه فوراً ، ثم قررى ..

ريمسدن : (بانفعال شديد) اذا كنت سأقبل الوصاية عليك ، فإن
أمنعك ، وبكل اصرار ، من قراءة هذا الكتاب يا « آنى » ..
(يصفع الكتاب بقبضة يده وينهض) .

آن : اذا كنت لا تريد فلن أفعل (تضع الكتاب على المكتب)

تانو : اذا منعك أحد كفيليك من قراءة كتاب من تأليف الوصى الثانى ،
ترى ، كيف تستمر الأمور بيننا على هذا الأساس ؟ تصورى اننى
أمرتك بقراءته ، كيف يكون موقفك تجاهى ؟

آن : (برفق) أنا واثقة انك لن توقعنى فى ورطة كهذه يا « جاك » .

ريمسدن : (بضيق) نعم .. نعم .. « آنى » ، كل هذا جميل ومقبول ،
وكما قلت لك ، أمر طبيعى وحبيب الى النفس ، لكنك يجب أن
تختارى ، بطريقة أو بأخرى ، لأننا واقعون فى نفس الورطة التى
وقعت انت فيها .

آن : أعتقد اننى لا أزال صغيرة وعديمة التجربة ، ولذلك لا أستطيع اتخاذ القرار . . أنا انسانة تقدر رغبات والدها وحسب .

مسز وايتفيلد : أيها السيدان . . اذا لم تستطيعا تنفيذ هذه الرغبات ، فلن تستطيعا النهوض بمسئوليات « آن » يهيا لى أن الناس ، فى هذا العالم ، يلقون بتبعاتهم دائما على الآخرين .

ريمسندن : يؤسفنى فهمك الموضوع على هذا الأساس .

آن : (بتأثر) هل ترفض قبول الوصاية على يا « جرينى » ؟

ريمسندن : لا . . لا . . لم أقل ذلك أبدا . . ان ما أرفضه هو الاشتراك مع « مستر تانر » . . هذا هو كل شئ .

مسز وايتفيلد : ولماذا ؟ . . ما هى حكايتك يا « جاك » يا مسكين ؟
تانر : أرائى تقديمية جدا بالنسبة اليه .

ريمسندن : (باحتقار) لا ، ليس لأنها آراء تقديمية . . أنا ، أنا أنكرها كلها .

آن : مستحيل أى هراء هذا !! أنا لا أعرف انسانا تقديميا أكثر من « جرينى » . أنا واثقة أن « جاك » هو الذى خلق كل هذه المشكلة . . تعال يا « جاك » . . ترفق بى فى حزنى . . انت لا ترفض الوصاية على . . اليس كذلك ؟

تانر : (باكتئاب) لا . . أنا أقحم نفسى فى كل هذا الجدل بسبب وصايتك ، ولذلك سأدبر الأمر جيدا . (يتجه الى المكتبة ، ويقف هناك ، ويطالع عناوين الكتب) .

آن : (تنهض ، وتحدث بخجل وسعادة) اذن اتفقنا ، سنتفدان وصية والدى الحبيب . أنتما لا تعرفان أى سعادة تغمرانى وأمى بها اذ تتفقان . (تتجه الى « ريمسندن » وتضغط على يديه قائلة :) سيكون عزيزى « جرينى » بجانبى ينصحنى ويوجهنى . . (تتطلع الى « تانر » عبر كتفها) ومعى « جاك » . . القاتل المارد . . (تتجه الى أمها و « اوكتافىوس ») والصديق الصدوق « لجاك » : « ريكى تيكى تيفى » .

(تحمر وجنتا « اوكتافىوس » خجلا ، ويبدو غبيا لا يستطيع التعبير عن ما يعتمل فى نفسه)

مسز وايتفيلد : (تنهض وتنفض ملابس حدادها) والآن ، وقد أصبحت

وصيًا على « آن » يا « مستر ريمسدن » ، أرجو أن تحدثها حول عاداتها في تكتية الناس بأسماء التدليل الخاصة بهم ، فربما لا يقبلون منها ذلك . (تتجه الى الباب) .

آن : كيف تقولين ذلك يا أماء . (يلمع في وجهها حزن دفين ، أوه ، أنا مندهشة . هل انت على حق في ذلك ؟ هل أنا قليلة الأدب ؟) تتجه الى « اوكتافىوس » الذى يجلس منفرج الساقين على كرسيه ، وذراعيه ممددان على مسند كرسيه ، وتضع يدها على جبهته ثم تجذب وجهه اليها فجأة) هل تريد أن أعاملك كرجل بالغ ؟ هل تقبل بأن أناديك باسم « مستر روبنسون » من الآن فصاعدا ؟

اوكتافىوس : (برفق) أوه . . بل أرجوك . . نادنى باسم « ريكى تيكى تيفى » . . أما اذا ناديتنى باسم « مستر روبنسون » فسوف يؤذنى ذلك كثيرا . (تضحك وتلمس وجنته بإصبعها ثم تتجه الى « ريمسدن ») هل تتفق معى على أن « جرينى » اسم على جانب كبير من البذاءة ، ومع ذلك فلم يساورنى الشك بأنه يؤذك هكذا .

ريمسدن : (ببرود ، ويطرق برفق على كتف « اوكتافىوس ») من العزيزة « آن » ؟ هراء ؟ بالعكس . أنا أصر على تسميتى : « جرينى » . . بل ولن أجيب عن أى اسم آخر لى « جرينى » هذا . . « أنى » .

آن : (بامتنان) هكذا . . كلكم تمعنون فى افسادى ، ماعدا « جاك » .

تاني : (من وراء كتفيه وهو لا يزال أمام المكتبة) نادنى باسم « مستر تاني » من فضلك .

آن : (برفق) لا تقل ذلك يا « جاك » . قولك هذا يشبه تلك الأشياء التى تقولها عندما تهدف الى مفاجأة الآخرين . . أما أولئك الذين يعرفونك فلا يابهون بها ، ساناديك - ان شئت - باسم جدك الشهير « دون جوان » .

ريمسدن : « دون جوان » !

آن : (ببراءة) هل فى ذلك أى غضاضة ؟ أنا لا أعرف . ثم أننى لا أقصد بالفعل مناداتك بهذا الاسم . وحتى أفكر لك فى اسم آخر ، هل تسمح لى بمناداتك باسم « جاك » ؟

تاني : أوه . . استحلفك بالله ألا تحاولى ابتكار شئ أسوأ من ذلك . أنا استسلم ، أوافق على « جاك » ، أرحب به ، ولتنتهى أول محاولاتي وأخرها لتأكيد حقى فى هذه المسألة .

آن : أرأيت يا ماما ؟ كلهم يحبون أسماء التدليل .
مسز واتيفيلد : لا بأس ، ولكن أغفلها من فضلك حتى تنتهى فترة
الحداد .

آن : (بازدراء ، وقد صدمت بعنف) أوه .. لماذا ذكرتنى بذلك يا أماء ؟
(تسارع الى مغادرة الغرفة فى محاولة للسيطرة على عواطفها) .

مسز واتيفيلد : طبعاً .. أنا المخطئة دائماً (تلحق بها) .

تاتر : (يتحرك من عند المكتبة) « ريمسدن » .. لقد لطمنا ، صفعنا
سحقنا .. بالضبط كما فعلت بأمها .

ريمسدن : اسكت ياسيدى (يغادر الغرفة وراء « مسز واتيفيلد ») .

تاتر : (وحيداً فى الغرفة مع « اوكتافىوس » .. يحملق فيه بوحشية)
« تيفى » .. هل تبغى الاهتمام بشئ ما فى هذا العالم ؟

اوكتافىوس : أريد الانشغال بشئ ما أكون فيه شاعراً .. أحلم بكتابة
مسرحية عظيمة .

تاتر : وبطلتها « آن » ؟

اوكتافىوس : نعم ، أمل ذلك .

تاتر : احترس يا « تيفى » .. أن تكون « آن » هى بطللة المسرحية ،
لا مانع . ولكن اذا لم تكن حريصاً جداً فانها ، والله ، ستتزوجك .

اوكتافىوس : (يتأوه) عندئذ أكون سعيد الحظ يا « جاك » .

تاتر : لماذا تضع رأسك فى فم الأسد يا رجل ؟ لقد ابتلع الأسد نصفك
الآن على ثلاث قضبات . القضية الأولى : « ريكى » ، والقضية
الثانية : « تيكى » ، والثالثة : « تيفى » .. بعد ذلك تضيع تماماً .

اوكتافىوس : نفس الشئ تفعله مع الجميع يا « جاك » .. انت تعرف
أساليبها جيداً .

تاتر : فعلاً .. تقصم ظهر الجميع بضربة من مخلبها . ولكن السؤال
هو : أينما تلتهم أولاً ؟ .. رأى الخاص انها تنوى التهامك أنت .

اوكتافىوس : (ينهض ، وبغضب) شئ فظيع أن تتحدث عنها بهذه
الطريقة وهى فى الدور العلوى تبكى أبيها . على أى حال أنا أفضل

انتماعها لى عن احتمال وحشيتك هذه ٠٠ انها - على الأقل - تحملنى
أحى على الأمل ٠٠

تائر : « تيفى » ٠٠ هذا هو الجانب الشيطانى فى سحر المرأة ٠٠ تجعلك
تتمنى دمار نفسك على يديها ٠

اوكتافىوس : ولكن هذا ليس تدميرا ٠٠ انه تحقيق للذات ٠

تائر : نعم ٠٠ تحقيق لهدفها هى ٠ وهذا الهدف لا يبغي سعادتها هى
ولا سعادتك انت ، ولكنه يحقق هدف الطبيعة ٠٠ ان الحيوية فى
المرأة ما هى الا الرغبة العنفاء فى الوجود ٠ انها تضحي بنفسها
على مذبح هذه الرغبة ، فهل تظن أنها ستردد فى التضحية بك انت
الآخر ؟

اوكتافىوس : لماذا ؟ اذا كانت ستضحي بنفسها ، فلن تضحي بأحبائها

تائر : هذا واحد من أفدح الأخطاء يا « تيفى » ٠ ان السيدات اللاتي
يضحين بأنفسهن هن اللاتي يضحين بالآخرين ، وبأكثر الأساليب
تدميرا ٠ واذا نوين التضحية فانهن يصبحن عطوفات ، ولكن فى
الأمر البسيطة ٠ أما اذا كان لديهن هدف ما فهو ليس الهدف
الذى يسعى من أجله ، ولكنه يعتبر هدف الكون كله ، ومن ثم
يصبح الرجل فى نظرهن لا شىء غير أداة لتحقيق ذلك الهدف ٠

اوكتافىوس : لا تكن لثيما يا « جاك » ٠٠ بل يبذلن لنا كل رعاية واهتمام

تائر : فعلا ٠ كما يهتم الجندي بمسدسه أو الموسيقى بقيثارته ٠ ولكن
هل يسمحن لنا بتحقيق أى هدف خاص بنا أو التصرف بحريتنا
الشخصية ؟ هل يستطيع أقوى الرجال الإفلات منهن سعيًا الى تحقيق
ذاته ؟ انهن يرتجفن عندما تحيق بنا الأخطار ، وينتجن عندما
يتوفانا الله ٠٠ لكن دموعهن لا تنسكب من مآقيهن حسرة علينا ،
بل تنسكب عن عيونهن اذ يتذكرن أبا لهن قد مات ، أو ولدا فشلن
فى تربيته ، ومن ثم يبكين مصيرا مظلمًا يتوقعونه له ٠ وفوق كل
ذلك فهن يتهمنا بأننا نعاملهن كمجرد أوعية نفرغ فيها متعتنا
ولذتنا ٠ ولكن أنى لمثل هذه الرغبة الأنانية الرعناء تستطيع
استعباد أى امرأة كهدف مطلق للطبيعة والتي تتجسد فعلا فى
استعباد المرأة للرجل ؟

اوكتافىوس : وماذا يهم ، ما دمنا نحقق السعادة بفضل هذا الاستعباد ؟

تائر : لا أهمية بالمرءة ٠ ولكن عندما تكون رجلا بلا هدف يسعى من أجله ،

وعندما تكون - كمعظم الرجال - رجلا لا هم له غير السعى وراء
رغيف الخبز . أما بالنسبة لك انت يا « تيفى » ، فأنت فنان .
وهذا معناه أن تحلم بتحقيق هدف لا يمكن امتصاصه أو التشكيك
فيه . . . بالضبط كهدف المرأة .

لوكتافيوس : لا . . . لا يمكن التشكيك فيه .

تافر : بل هو يقين لا ينفذ اليه الشك . ان الفنان الحقيقي يحتمل أن
تموت زوجته جوعا ، وأن يمشى أطفاله حفاة الأقدام ، وأن تتسول
أمه رزقها بعد تجاوزها السبعين من عمرها . . . يستطيع احتمال
كل ذلك دون أن يشغله شيء منه عن العمل من أجل فنه . أما
بالنسبة للنساء فهو انسان نصفه سفاح ونصفه الآخر مصاص دماء
ان الفنان يدخل فى علاقات حميمة مع النساء ، لا لشيء سوى دراسة
نفسياتهن ، وأن يخلق عن وجوههن قناع التقاليد الزائفة ويسبر
أسرارهن الدفينة ، ويدرك أن لديهن القوة على إثارة أعماق الطاقات
المبدعة فى نفسه ، وأن يخلصنه من بلادة فكره ويجعلنه يبصر
الرؤى ويحلم الأحلام ويوحين اليه بكل ما تهفو اليه نفسه من رؤى
وأحلام وابداع . انه يستطيع اقناع النساء بأنهن انما يقدمن اليه
كل هذا العون لا لشيء سوى تحقيق أهدافهن هن الذاتية ، فى
الوقت الذى يقصد هو فيه الى تحريكهن لتحقيق أهدافه هو . انه
يسلب الأم لبن صدرها ويسوده ليصنع منه حبرا يستخدمه فى
السخرية منها وتمجيد العظيمات من بينهن . انه يتظاهر باعفائها
من آلام حمل الطفل ساعيا بذلك الى ضمان عطفها على الطفل وحدها
عليه . فاذا بدأ الزواج فان الفنان العظيم يوصف فوراً بأنه
زوج سيئ ، بل وبما هو أسوأ من ذلك . . . انه يصبح سارق
أطفال ، مصاص دماء ، منافق ، غشاش . . . انه لا يتورع عن افناء
هذا الجنس عن آخره والتضحية بألف امرأة اذا كانت التضحية
بهن جميعا لا تزيد عن مجرد مساعدته على تمثيل شخصية هاملت
بطريقة أفضل أو رسم لوحة أجمل أو كتابة قصيدة أكثر عمقا
أو مسرحية عظيمة أو فلسفة عميقة ! . وانت يا « تيفى » مثلا . .
خذ ملاحظة من الفكرة القائلة بأن مهمة الفنان هى تبصيرنا بذاتنا
كما هى فى الواقع . ان عقولنا تعتبر لا شيء بالمرة لو أن فهمنا لها
قد افتقد فكرته وآراءه من حولها . ان الذى يضيف ولو مثقال ذرة
الى هذه المعرفة بالنفس البشرية انما يساعد على خلق فكر جديد . .
بالضبط كما تخرج المرأة من أحشائها رجلا جددا . وفى مجال
هذا الخلق يصبح الرجل متحجر القلب ، كالمرأة ، وخطرا عليها

كما هي خطر عليه ، وساحرا خطير السحر مثلها تماما . وإذا استعرضنا كل كفاحات الانسان فلن نجد ما أكثر طغيانا وإيلاما من ذلك الكفاح المحتدم بين الفنان الرجل والمرأة الأم . . أيهما يستنزف الآخر لصالحه ؟ تلك هي قضية الصراع بينهما دائما ، وهي دائما قضية دونها الموت لانهما . - كما في حالتك الخاصة يا « تيفي » - يحب أحدهما الآخر .

اوكتافوس : حتى ولو كان الأمر بهذه الصورة - وهو ما لا أستطيع الاقتناع به - فان استحواذنا على أكثر الشخصيات نبلا وسموا يعتبر أمرا بعيدا كل البعد عن الصراعات القاتلة .

تانر : تذكر يا « تيفي » أنك اذا صادفت الدب الأرقط أو النمر البنغالي للمرة الثانية . .

اوكتافوس : أقصد حيث يوجد الحب يا « جاك » .

تانر : أوه . . هب أن النمر سيحبك . . ليس هناك حبا أقوى من حب الطعام . أنا أعتقد أن « آن » تحبك بهذه الطريقة . وعندما ربتت على خدك فكأنها كانت تربت على قطعة من اللحم تنوى التهامها .

اوكتافوس : تأكد ، يا « جاك » ، اننى سأهرب من وجهك ان لم أستطع اقناع نفسى - كقاعدة ثابتة - بأن لا أصدق كل ما تقول . أنك تخرج علينا ببعض الأفكار البالغة الثورية بين الحين والآخر . (يدخل « ريمسدن » وبعده « آن » . . يدخلان مسرعين وعلى حالهما السابق من الصمت والأسى ، وقد تحولوا الى احساس بالاهتمام العبقري الذى يبدية « ريمسدن » بشيء من الضيق ، ويقف بين الرجلين ، ويهم بقول شيء ما « لاوكتافوس » ، ولكنه يفاجأ بوجود « تانر » فيصمت) .

ريمسدن : لم أتوقع أن تظل هنا حتى الآن يا « مستر تانر » .

تانر : لماذا ؟ أكان من الأفضل أن أنتظر فى الشارع ؟ . . عمت صباحا يا رفيق الوصاية (يتجه الى الباب) .

آن : قف يا جاك . جرينى . . يجب أن يعرف كل شيء ، ان عاجلا وان آجلا .

ريمسدن : « اوكتافوس » . لدى خبرا بالغ الخطورة أود اخبارك به ، وهو خاص جدا وحساس جدا ومؤلم جدا جدا فى نفس الوقت

ويؤسفني ابلاغك به . هل توافق على ابلاغك به فى حضور
« مستر تانر » ؟

اوكتافىوس : (بوجه شاحب) أنا لا أكتم سرا عن « جاك » .

ريمسدن : اسمح لى - قبل أن يستقر رأيك على ذلك - أن أقول لك ان
هذا الخبر يتعلق باختك ، وهو خبر خطير جدا .

اوكتافىوس : « فيوليت » ؟ ماذا حدث لها ؟ هل .. ماتت ؟

ريمسدن : لا . لكن ما حدث لا يقل خطورة عن الموت .

اوكتافىوس : هل أصابها مكروه ؟ هل أصيبت فى حادث ؟

ريمسدن : لا .. لا شئ من ذلك .

تانر : « آن » .. الديك من الانسانية ما يجعلك تحكين لنا ما حدث ؟

آن : (تكاد تهمس) لا أستطيع .. « فيوليت » فعلت أمرا خطيرا ،
ويجب أن نخرج بها من هذا الموقف بأية وسيلة (تتجه الى المكتب
وتجلس على كرسى « ريمسدن » ، تاركة الرجال الثلاثة لمناقشة
الأمر فيما بينهم) .

اوكتافىوس : (بشئ من الهياج) هل الموضوع كما قالت « آن »
يا « مستر ريمسدن » ؟

ريمسدن : نعم (يتهاوى على الكرسى محطما) أخشى أن تكون « فيوليت »
قد ذهبت الى « ايست بورن » منذ ثلاثة أسابيع ، فى الوقت الذى
كنا نظنها فيه عند آل « بارى واتيفيلد » . فقد زارت بالأمس طبيبا
غريبا لا أعرفه ، وكان فى اصبعها خاتم زواج ، ولقد قابلتها
« مسز بارى واتيفيلد » هناك صدفة ، ومن ثم عرفت الموضوع
كله .

اوكتافىوس : (ينهض وقد شد على قبضة يده) من هو هذا المجرم ؟

آن : (ترفض الكلام) .

اوكتافىوس : (يسقط على الكرسى مرة أخرى) : شئ فظيع .. فظيع .

تانر : (بسخرية غاضبة) فظيع .. رهيب .. أفضح من الموت كما يقول
« مستر ريمسدن » (يتجه الى اوكتافىوس) ما هو الشئ الذى
لم تفعله بحيث تحول الأمر كله وكأن قطارا قد حطم عظامها كلها
أو أى شئ آخر مما يستحق الاحترام ويثير الاشفاق ؟ .

اوكتافىوس : لا تكن فظا هكذا يا « جاك » .

تافر : فظ ! يا الهى .. على أى شىء تبكى أيها الرجل ؟ ها هى امرأة كانت فكرتنا عنها أنها مجرد فتاة ترسم اسكتشات رديئة بالألوان المائية ، وتندرب على تقليد « جريج » و « برامز » ، وتتردد على الحفلات الموسيقية وتضيع عمرها ونقودها سدى .. ثم ها نحن نعلم فجأة أنها تتحول عن هذه السخافات الى تحقيق جاد لأسمى أهدافها وأعظم وظائفها كأمراة .. انها تزيد .. تتكاثر .. تضاعف عدد الناس على وجه الأرض .. وبدلا من ابداء اعجابنا بشجاعتها واعلان سرورنا بنضجها العاطفى .. بدلا من أن نتوج تلك الأنوثة المتكاملة ونرفع صوتنا تشجيعا لهذه البادرة الظافرة قائلين : « لقد ولد لنا طفل .. أصبح لنا الآن ابنا » ، اذا بى أراك الآن - وانت فى حالك هذه وحتى فى وقت حدادنا على فقيدنا « وايفيلد » - تقطب الوجه وتلطح نفسك بالعار والفضيحة ، وكأن البنت قد ارتكبت أشد الجرائم شرا وأذى ؟

ريمسدن : (يزمجر غاضبا) : هذه الألفاظ الداعرة لن أسمح بسماعها فى بيتى (يصفع المكتب بيده) .

تافر : اسمع . اذا وجهت لى اهانة أخرى فلن أغفرها لك ، وأغادر بيتك فوراً .. « آن » ، أين « فيوليت » الآن ؟

آن : لماذا ؟ .. أتذهب إليها ؟

تافر : طبعاً اذهب إليها . انها بحاجة للمساعدة ، بحاجة الى النقود والاحترام والتهنئة ، بحاجة الى كل فرصة متاحة للمحافظة على طفلها يسدو أنها لن تنال شيئاً من ذلك منك ، بل ستناله منى أنا . أين هى ؟

آن : لا تكن عنيدا يا « جاك » . هى بالدور العلوى

تافر : ماذا تقولين ؟ .. تحت السقف المقدس لبيت «ريمسدن» ؟ اذهب وأد واجبك المشئوم يا « ريمسدن » . ارمها فى الشارع . نظف بيتك من دنسها . أثبت طهارة بيتك الانجليزى . أنا ذاهب لاحضار عربة لها .

آن : (بانزعاج) اوه . « جرينى » ، لا تفعل ذلك .

اوكتافىوس : (ينهض محطم القلب) . سأخرج بها يا «مستر ريمسدن» لن اسمح لها بدخول بيتك بعد ذلك .

ريمسدن : (بازدرء) ولكننى مشوق الى مساعدتها . (يتجه الى تانر)
كيف تجرؤ يا سيدى على وصى بهذه النوايا السيئة ؟ أنا أرفضها
جميعا . أنا مستعد للتضحية بآخر بنس فى جيبي لانقاذها من
الانزلاق فى حمايتك .

تانر : (يوافقه) لا مانع . موافق . أترون ؟ ها هو لا يتصرف حسب
مبادئه المعروفة عنه . اذن فنحن متفقون على الوقوف بجانب
« فيوليت » .

اوكتافىوس : لكن .. ما اسم الرجل الذى ارتكب هذه الفعل ؟ يجب أن
يصلح الأمر بالزواج منها . سيفعل ، والا أجبرته على دفع ثمن
جرمه ذاك .

ريمسدن : سيفعل يا «اوكتافىوس» . انت الآن تتكلم كالرجال .
تانر : المهم أن لا تحكم عليه بأنه سافل .

اوكتافىوس : لا . ليس سافلا وحسب .. بل سافل وعديم الاحساس .
ريمسدن : سافل ملعون . معذرة يا «آنى» .. ولكننى لا أستطيع وصفه
بأقل من ذلك .

تانر : اذن فنحن نزوج أختك من سافل ملعون كى نصلح من أمرها .
أقسم لكم بأنكم جميعا مجانين .

آن : لا تسخر منا «يا جاك» . الحق معك يا «تيفى» . لكننا لا نعرف من
هو ، و «فيوليت» لن تصرح لنا بذلك .

تانر : بالله ، بماذا يهكم اسمه ؟ لقد أدى دوره وانتهى ، وبقي أن تؤدى
« فيوليت » دورها .

ريمسدن : (مخاطبا نفسه) خبل ! جنون ! اننا أمام شخص سافل ..
فاسق .. شرير .. افطع من القتلة ، ثم نطالب بألا نعرف اسمه !
نعم ! نشد على يديه ونحن جاهلون باسمه ، ونستضيفه فى
بيوتنا ، ونثق فى معيشة ابنتنا معه و .. و ..

آن : (بطف) «جربنى» . لا تصرخ هكذا . صحيح انها صدمة كبرى .
يجب أن نعترف بذلك . ولكن اذا لم نخبرنا « فيوليت » ، فماذا
نفعل ؟ لا شئ . لا شئ بالمرة .

ريمسدن : اوف . لا أعتقد ذلك . ولكن اذا وجدنا من يحسن معاملة
« فيوليت » ، فسنعرف ذلك بسهولة . واذا كان بيننا شخص
يعتنق هذه المبادئ الهابطة المنحلة .

قافر : احم ..

ريمسدن : (يرفع صوته) نعم يا سيدى . وأقولها مرة أخرى .. إذا كان
بيننا شخص يعتقد هذه المبادئ الهابطة المنحلة .

قافر : أو شخص ينحدر الى حد عدم السيطرة على نفسه .

ريمسدن : (مدعورا) أتجرؤ على وصفى بما تقول ؟

قافر : عزيزى « ريمسدن » .. هذه الصفة تنطبق على جميع الناس ،
وهى ناتجة عن مواجهة أهداف الطبيعة فى ذواتنا . والشك الذى
تبديه فى شخص ما ينطبق علينا جميعا . انه يشبه الوحل عندما
يلطخ روب القاضى أو قلنسوة الكاردينال ، بنفس الطريقة والسرعة
التي يلطخ بها أسمال الشحاذين . تعال ، « تيفى » ، تعال .
لا تتزعج الى هذا الحد . هون عليك ، فقد يكون ذلك السافل
المزعوم هو أنا ، وربما يكون هو « مستر ريمسدن » .. بالضبط
كما يحتمل أن يكون هو أى شخص آخر . وإذا كان الأمر كذلك ،
فماذا بوسعنا أن نفعل غير أن نكذب على أنفسنا ونعارض ونشجب
.. بنفس الطريقة التى يعارض بها « ريمسدن » ويشجب ويرفض .

ريمسدن : (يكابد القدرة على الكلام) أنا . أنا . أنا ..

قافر : الرذيلة نفسها لا يمكن أن تتلعثم بأكثر مما تفعل انت الآن .
والغريب انك تعرف تماما أنه برئء يا « تيفى » .

ريمسدن : (بضيق) يسرنى اعترافك هذا يا سيدى . ومن جانبي فأنا
أعترف بأن هناك قدر من الحقيقة فى ما تقول ، وب نفس القدر الذى
تحاول تشويه الحقيقة بسخريتك البذيئة هذه . اننى أمل ،
يا « تيفى » ، ألا يكون الشك قد تسرب الى نفسك حول شخصى أنا .

اوكتافىوس : فيك أنت ؟ لا .. ولا للحظة واحدة .

قافر : (بجفاف) أحس أنه يشك قليلا فى أنا .

اوكتافىوس : جاك . انت لا تستطيع ذلك ، ولن تفعله .

قافر : ولم لا ؟

اوكتافىوس : (بانزعاج) لم لا ؟!

قافر : اوه .. حسن .. أقول لك لم لا . لأنك ستضططر الى التعارك
معى ، وثانيا : لأن « فيوليت » لا تحبنى ، وثالثا : لأننى اذا كنت

سأنا شرف ابوة طفل « فيوليت » فأنا مضطر ، سأعنتها ، الى
التفاخر بذلك بدلا من انكاره . والآن ، هون عليك . . لن تتعرض
صدقتنا لأية عواصف .

اوكتافوس : ربما استطعت استبعاد ذلك الشك المروع . فقط لو كان
تفكيرك فى هذه المسألة احساسك بها طبيعيا . معذرة يا « جاك » .

تاجر : تعتذر لى ؟ كلام فارغ ! . دعونا الآن نجلس معا على هيئة اجتماع
عائلى (يجلس ، فيقتدى به الآخرون سواء عن اقتناع أو اكراه)
ان « فيوليت » ستؤدى خدمة كبيرة للبلاد ، ولذلك لا يجب طردها
خارج البلاد ، كما يجرى مع المجرمين ، وذلك الى أن تنتهى من أداء
مهمتها . ماذا يحدث فى الدور العلوى الآن ؟

آن : « فيوليت » فى حجرة مديرة البيت ، لوحدها طبعاً .

تاجر : ولماذا لم تجلس فى الصالون ؟

آن : لا تسخر يا « جاك » . . لأن « مسز ريمسدن » جالسة مع أمى
فى الصالون تفكران فى الموضوع .

تاجر : أوه . الآن فهمت . غرفة الخادمة هى زنزانة السجن ، والسجين
هناك ينتظر المثل أمام القضاة . . القلط العجاز .

آن : أوه يا « جاك » !

ريمسدن : أنت الآن ضيف فى بيت واحد من هذه القلط العجاز
يا سيدى ، واختى هى سيدة هذا البيت .

تاجر : وتستطيع حبسى فى غرفة الخدم ان استطاعت يا « ريمسدن » .
على أية حال ، سأسحب كلمة القلط ، لأن القلط أكثر عظفا
ورحمة . « آن » ، بصفتى وصيا عليك ، أترك بالتوجه فورا الى
« فيوليت » ، وبأن تعاملها برفق وعطف .

آن : رأيتها يا « جاك » ، ويؤسفنى القول بأننى أخشى أن تصبح أكثر
عنادا فيما يتعلق بخروجها من البلاد . ولذلك أعتقد أنه من الأفضل
أن يحدثها « تيفى » فى هذا الموضوع .

اوكتافوس : يا الهى . . كيف أستطيع محادثتها فى هذا الموضوع (ينهار
باكيا) .

آن : كفاك انهيارا يا « تيفى » . حاول احتمال الموضوع ولو من أجلنا
نحن .

ريمسدن : الحياة ليست كلها مسرحيات وقصائد شعر يا « اوكتافىوس »
.. قم ! واجه الموضوع . انت رجل .

تائر : (يفضب مرة أخرى) أخى العزيز المسكين ! أصدقاء الأسرة المساكين
الأعزاء . أيتها القطط الشرسة والقطط العجاز المساكين ! . أيها
المساكين الأعزاء ، كلكم بائسون ، ماعدا تلك المرأة التى تضحي
بحياتها من أجل خلق حياة جديدة ! وانت يا « تيفى » ، لا تكن
جحشا أنانيا . اخرج وأحضر « فيوليت » هنا . هنا . أحضرها هنا ،
إذا كانت تسمح بالحضور الى هنا (ينهض اوكتافىوس) أخبرها
أننا سنقف جميعا بجانبها .

ريمسدن : (ينهض) لا يا سيدى ..

تائر : (ناهضا ومقاطعا إياه) اوه .. نعرف ذلك . هذا أمر ضد مبادئك
ولكنك ستفعل ما نريده نحن .

اوكتافىوس : أوكد لكم ، صادقاً ، أننى لم أقصد أبدا أن أكون أنانيا .
صعب على الانسان أن يحدد ما يريد فعله خصوصا إذا كان يأمل
فى سلوك التصرف الصحيح .

تائر : ان عادتك الانجليزية الورعة فى النظر الى العالم وكأنه «جيمنازيوم»
أخلاقي أقيم خصيصا كى تكون شخصيتك بين أرجائه .. انما
يقودك - دون وعى منك - الى الانغلاق داخل مبادئك الذاتية
المبهمه ، فى الوقت الذى يجب فيه أن تشغل بالك باحتياجات
الآخرين . أما الحاجة التى يجب التفكير فيها فى التو واللحظة فهى
توفير الظروف المناسبة كى تصبح هذه السيدة أما قريرة العين ،
وتلد طفلا صحيح الجسم . ركز طاقاتك كلها فى ذلك ، وعندئذ
ترى الطريق أمامك واضحا لا يكتنفه الضباب . (يخرج اوكتافىوس
مضطربا) .

ريمسدن : (لتائر ، وبشئ من التعاطف) والأخلاق يا سيدى . ما هو
نصيها من ذلك كله ؟

تائر : تقصد بكاء مريم المجدليلة وطفل برىء لطفه عارها . شكرا لك على
تصورك هذا الذى لا يدخل فى دائرة اهتمامنا ، ولتذهب الأخلاق
الى أبيها الشيطان .

ريمسدن : أظن ذلك يا سيدى . تذهب الأخلاق الى الشيطان كى يسعد
الداعرون من بيننا رجالا ونساء . وهكذا يكون مستقبل إنجلترا .
أليس كذلك ؟

تافر : اوه .. كأن انجلترا لن تخلد الا بما تبديه أنت من رفض وشجب .
ومع ذلك فانا أعتقد أنك تتفق معى على الأقل فى هذا الموقف العملى
الذى نتخذه الآن .

ريمسدن : ليس بمنطقتك انت يا سيدى . وليس اعتقادا منى فى مبادئك

تافر : وجهة نظر تستطيع الاعلان عنها اذا طلب أحد منك الجهر بها .
(يدور ويقف أمام التمثال هربرت سبنسر ويحملق فيه بكآبة) .

آن : (تنهض وتتجه الى ريمسدن) « جرينى » . ألا يجدر بك الصعود
الى الصالون واخبارهم بما تنوى عمله ؟

ريمسدن : (ينظر بثبات الى تافر) يشق على أن أتركك وحدك مع هذا
السيد . هلا حضرت معى ؟

آن : ربما لا تود « مسز ريمسدن » مناقشة هذا الموضوع فى حضورى
يا « جرينى » . يجب ألا أكون موجودة .

ريمسدن : صحيح .. كان يجب أن أفكر فى ذلك .. أنت فتاة طيبة .
يا « آنى » .

(يربت على كتفها ، وتتطلع هى اليه بعينين ناعستين ، ثم يخرج .
تنظر الى تافر الذى يوليها ظهره فتصدر نهضة تشعره بوجودها ،
ثم تتجه اليه وتحدثه بصوت خافت يكاد أن يكون همسا) .

آن : « جاك » (يتحول اليها مفاجأ بها) هل انت راضى بالوصاية على ؟
أمل الا تكون مهموما بمسئوليتك عنى .

تافر : آه .. اضافة أخيرة تتقمصين بها شخصية كبش الفداء .. هه ؟

آن : اوه ! نكتة سخيفة .. اسحبها لو سمحت . لماذا تقول أشياء انت
تعلم انها تؤلمنى ؟ اننى أبذل كل جهدى لاسعادك يا « جاك » .
أعتقد انه يجب على تذكرك بانك الآن وصى على ، وستصيبنى بخيبة
أمل شديدة اذا انت رفضت صداقتى .

تافر : (متطلعا اليها بنفسى القدر من الكآبة التى كان ينظر بها الى
التمثال) لست بحاجة لأن تستدرين عطفى عليك . يالزيف
احكامنا الأخلاقية ! . انت تبدين لى وكأنك عديبة الضمير بالمرّة .
نفاق صارخ . والمصيبة انك لا تعلمين الفرق بين هذا وذاك . ورغم
كل ذلك ، فيك شىء من السحر . سأكون دائم الاهتمام بك بشكل
أو بآخر ، وسأفتقدك ان غبت عنى .

آن : (تتسلل يدها برفق لتمسح على يده ويسيران معا خطوات) لكن ،
اليس هذا شيء طبيعي يا « جاك » ؟ • نحن نعرف أحدا الآخر منذ
كنا أطفالا •• هل تذكر •

تافر : (مقاطعا) قف •• اتذكر كل شيء •

آن : اوه •• كنا سخيخين جدا •• لكن •

تافر : « آن ، •• لو أنني عشت عمرا مديدا فلن أزيد عن ذلك الطالب
الذي ترينه الآن ، والذي سيظل على حاله هذه حتى يبلغ التسعين
من عمره • كل شيء راح وانقضى • ساعدني على نسيانه •

آن : ألم يكن وقتا سعيدا ؟ (تحاول الإمساك بيديه مرة أخرى)

تافر : اجلسي وتصرفي بحكمة (يجلسها على الكرسي المجاور للمكتب)
لا شك انه كان وقتا سعيدا بالنسبة لك انت •• كنت فتاة صغيرة
ولم تحاولي وزن تصرفاتك أبدا • ولقد آن الأوان كي تتركي الطفل
الشرير الذي كان يتلقى منك الصفعات دائما ، كي يحاول الحياة
بطريقة أفضل • أنا أعرف كيف كنت تنجحين في خداع الفتيات
الأخريات •• تعرضين فضيلتك عليهن • لكن ، اجيبي هذا السؤال
•• ألم تتعرفي أبدا على شاب طيب ؟

آن : حدث طبعًا • جميع الفتيان سيتصرفون بغباء أحيانا • لكن « تيفي »
كان دائما ولدا طيبا •

تافر : (يصدمه تصريحها هذا) • فعلا • انت على حق • ولسبب ما فانت
لم تحاولي اغراء « تيفي » أبدا •

آن : اغراء ؟ •• « جاك » !! •

تافر : نعم يا عزيزتي « مفيستوفيليس » •• اغراء • لقد كنت متحرفة
دائما الى معرفة ما يستطيع الشاب أن يفعل وكنت شيطانية الذكاء
في أن تصبحي وصية عليه ، ثم تنبشين أدق أسرار حياته •

آن : هراء كل ذلك لأنك تعودت أن تحكي لي قصصا طويلة عن أشياء
شريرة فعلتها •• مقالبي شيطانية شريرة ! •• تسميها أدق الأسرار
•• ان أسرار الأولاد تشبه أسرار الرجال بالضبط ، وانت تعلم
ما يفعله الأولاد •

تافر : (بعناد) لا •• لا أعلم • استحلفك بالله قولي لي •• ما هي ؟

آن : يا الهي •• الأشياء التي يحكونها لبعضهم البعض طبعًا •

قافر : أقسم لك الآن اننى قلت لك أشياء لم أقلها لأحد سواك ، لكنك خدعتنى .. كانت العلاقة بيننا تفرض علينا ألا يخبىء أحدا سرا عن الآخر . المفروض أن كلينا كان يخبر رفيقه بكل شيء ، لكنك لم تخبرينى بأى شيء .

آن : لآنك كنت لا تحب التحدث عنى يا « جاك » . كنت دائما تحب التحدث عن نفسك .

قافر : أم .. حقا .. حقيقة مفاجئة . كم كنت طفلة شيطانة تعرفين هذا الضعف فى ، ثم تلعبين عليه لأرضاء شهوتك الى حب الاستطلاع ! . كنت أريد أن أصرخ لك بما يعتمل فى نفسى .. أن أجعل نفسى مهما .. لكننى وجدتنى ارتكبت كثيرا من الحماقات ، وببساطة شديدة ، لا لشيء الا لكى أجد ما أحكيه لك .. تشاجرت مع أولاد لم أكن أبغضهم ، وكذبت فى أشياء كان يجب الصدق فيها ، وسرقت أشياء لا أحتاجها ، وقبلت بنات صغيرات لا أكن لهن أى عاطفة .. كل هذا فعلته من أجل سماع كلمة « برافو » منك .. وكلها أفعال لم تصدر عن أية عاطفة ، ولذلك كانت زائفة .

آن : لكننى لم أتكلم عنك أبدا يا « جاك » .

قافر : صحيح .. لأنك لو كنت تريد منى أن أكف عن ذلك لكنت تحدثت عنى . كنت تريد منى أن استمر ، واستمر فى الكلام .

آن : (بغضب) اوه .. ليس هذا صحيحا .. غير صحيح يا « جاك » . أنا لم أرض لك أبدا أن تفعل كل هذه الأشياء الغبية المدمرة الوحشية الغوغائية . كنت أمل دائما أن تفعل أشياء بطولية حقا . (تستعيد هدوءها) معذرة يا « جاك » .. لأن الأشياء التى فعلتها لم تكن أبدا على المستوى الذى كنت أتمنى أن يصدر عنك . كانت تسبب لى دائما شيئا من عدم الارتياح . لكننى ما كنت أستطيع مصارحتك بذلك كى لا أسبب لك أية متاعب . كنت لا تزال صبيبا ، وكنت أعلم أنك ستكبر وتتجاوز حماقاتك تلك ، وقد أكون مخطئة فى ظنى ذاك .

قافر : (بتهكم) لا تفتحى للأحزان بابا الى قلبك يا «آن» . تسعة أعشار الحماقات التى حكيتها لك كانت أكاذيب ، لأننى عرفت وقتها أنك لا تحبين القصص الصادقة .

آن : طبعاً . كنت أعرف أن بعض هذه الأشياء لا يمكن أن يحدث . لكن

تافر : آه .. ها انت تحاولين اقتاعى بأن بعض هذه الحماقات يمكن أن يحدث ..

آن : (ترد على انفعاله بشيء من التودد) لم أرد اقناعك بأى شيء . فقط كنت أعرف بعض الأشخاص الذين حدثت معهم تلك الحماقات وسمعتها منهم .

تافر : نعم . لكن حتى القصص الصادقة كنت أحكيها لك لا لشيء الا لأخبرك بها . أما شعور الولد الحساس بالمهانة فقد يكون تسلية طريفة للكبار ذوى القلوب المتحجرة . أما الولد نفسه فقد تكون هذه التصرفات - بالنسبة له - شيئا مؤلما ومخزيا جدا لدرجة أنه لا يستطيع الاعتراف بها . وربما لهذا السبب أكون قد تخيلت تلك الأكاذيب لأننى فى المرة الوحيدة التى أخبرتك فيها بالحقيقة أنذرتنى بالوشاية بى .

آن : اوه .. لم يحدث ذلك أبدا ، ولو لمرة واحدة .

تافر : بل حدث . هل تذكرين ألبننت ذات العينين السوداوتين : «راشيل روزيتى» ؟ .. مارست معها الحب ، والتقيننا ذات ليلة فى احدى الحدائق ، وسرنا هناك ويدانا متشابكتان حول خصر أحدها الآخر ، وبدون أى احساس بالارتياح ، وتعانقنا عند الرحيل ، وكنا رومانسيين جدا . ولو أن هذا الحب استمر فيما بيننا لقادنى الى الهلاك ، لكنه لم يستمر ، لأن الذى حدث أن « راشيل » قاطعتنى لأنها اكتشفت اننى حكيت لك عنها . كيف عرفت ذلك ؟ منك انت . ذهبت اليها وألقيت بالسر الأثيم فوق رأسها ، فمارست نوعا من الحياة المفعمة بالرعب الذليل والاحساس بالمهانة بسبب تهديدك لها بأفشاء سرها .

آن : هذا جميل اسديته اليها هى الأخرى . كان من واجبى أن أوقف سلوكها الطائش ذاك ، وهى الآن تقدر لى هذا الجميل .

تافر : هى ؟

آن : واجب على كل حال .

تافر : أعتقد ان إيقاف أعمالى الطائشة ليس من واجباتك .

آن : أوقفت طيشك بمنعها عن طريقك .

تافر : أمتأكدة أنت من ذلك ؟ الذى استطعت الحيلولة دونه هو امكان اخباري اياك بمغامراتى . ولكن كيف تعرفين أنك أوقفت المغامرات .

آن : أتقصد القول بأنك سلكت نفس الطريق مع فتيات أخريات ؟

تافر : لا . . يكفينى ما مارست من طيش مع « راشيل »

آن : (لا تفهم) اذن لماذا فقدت ثقتك فى وأصبحت غريبا عني ؟

تافر : (بغموض) الذى حدث هو أننى آثرت الاحتفاظ لنفسى بكل اسرارى ، دون الحاجة الى مشاركتك معى .

آن : أنا متأكدة اننى لو سألتك عن أى شىء من ذلك لبادرت الى الثرثرة أمامى بكل اسرارك .

تافر : المسألة ليست علبة حلوى يا « آن » . انها شىء لم تحاول أبدا مناقشته كشىء ذاتى خاص بى .

آن : (بعدم فهم) ماذا ؟

تافر : روحى .

آن : أوه . كن عاقلا يا « جاك » . ليتك تعرف انك تثرثر بكلام فارغ

تافر : بل اننى أكثر ما أكون الآن رزانة ويقة يا « آن » . انت لم تدركى ، فى ذلك الوقت ، انك كنت تعبثن بروحى أيضا . لكن هذا هو ما فعلته . أما احساسك المفاجئ بواجبك الأخلاقى لاعتراض « راشيل » واصلاحها ، فلم يكن ناشئا من فراغ . كنت حتى ذلك الوقت تشقين على نفسك كى تظهرى بمظهر الطفلة البريئة . والواقع انك لم تقدمى لأحد أبدا أى احساس بالواجب . لا أنت ولا أنا . كنت آنذاك ألعب دور الولد المغامر الذى لا يزيد ضميره براة عن ضمير الثعلب اذ يقتحم عش الدجاج . أما الآن فقد بدأت أشعر بالشك ، بالضوابط ، باكتشاف أن الصدق والأمانة لم يكونا أبدا من التعبيرات البراقة التى تلوكلها أفواه الكبار وحسب ، بل كانا مبدأ ملزما عندى فى أعماقى .

آن : (بهدوء) صحيح . أعتقد أنك على حق . كنت وقتها على أعتاب الرجولة ، وكنت أنا على أعتاب الانوثة .

تافر : أواقفة أنت أننا لم نكن على أعتاب شىء أكبر من ذلك ؟ ما معنى أعتاب سن الرجولة والانوثة فى أفواه معظم الناس ؟ انت تعرفين . يعنى بداية سن الحب . لكن الحب ، بالنسبة لى ، بدأ قبل ذلك بكثير . الحب لعب دوره فى الأحلام والحماقات والخيالات المبكرة كما أذكر . بل اننى أستطيع القول : فى الأحلام والحماقات والخيالات المبكرة التى نستطيع - كلانا - تذكرها ، رغم أننا لم نفهم

ذلك وقتها . لا ، لا . ان التغيير الذى أصابنى هو ميلاد الغريزة الأخلاقية فى داخل نفسى ، وأنا أعلن هنا أن الغريزة الأخلاقية عندى هي الغريزة الحقيقية الوحيدة .

آن : كل الغرائز يجب أن تكون أخلاقية .

قافر : يجب ! هل تعتقدين أن وضع عدة ألفاظ من كلمة « يجب » أمام أى غريزة يجعلها قوية ما لم تكن هذه الغريزة قوية من ذات نفسها ؟

آن : ان غريزتنا الأخلاقية توجه انفعالاتنا يا « جاك » . لا تكن غيبيا .
قافر : غريزتنا الأخلاقية !! أليس هذا انفعال ؟ هل من الشر أن نمتلك كل الانفعالات وكل الأحاسيس الطيبة فى نفس الوقت ؟ وإذا لم تكن هذه الغريزة قوية ، بل أقوى من جميع الغرائز على الإطلاق فإن كافة الغرائز الأخرى تستطيع العصف بها كما أوراق الشجر أمام الاغصان . ان ميلاد هذه الغريزة هو الذى يحول الطفل فيصبح رجلا .

آن : هناك غرائز أخرى يا « جاك » . وغرائز قوية جدا .

قافر : كلها كانت فى اعماقى قبل ذلك ، لكنها كانت خاملة وبلا هدف يحدد مسارها . من ذلك : الجشع الطفيلى ، القسوة ، حب الاستطلاع ، الخيالات ، العادات ، الانحرافات ، المبالغة ، والسخرية من سن البلوغ العقلى . وعندما بدأت هذه المشاعر فى الظهور كشعلة وشبكة الاضياء لم تكن لها اشعاعاتها الخاصة بها ، ولكن يزوغ فجر الغريزة الأخلاقية هو الذى أضاءها . . أحاطها بهالة من الوقار . . أكسبها الوعى والقصد . . وجدها كغابة من الشهوات والنزوات فنظمها فى خضم من الأهداف والمبادئ . . لقد بعثت روحى عن هذه الغريزة .

آن : أحس الآن أنك أصبحت أكثر تعقلا . كنت ولدا مدمرا مخيفا قبل ذلك .

قافر : مدمر ؟ . أسكتى . . كنت مخطئا وحسب .

آن : أوه . . بل كنت مدمرا جدا يا « جاك » . دمرت جميع شجيرات التنوب واجتذذت جذورها بسيف خشبي . . حطمت مزارع القناء بالمنجنيق . . أشعلت النار فى مكان عام فالقى البوليس القبض على « تيفى » لأنه ولى هاربا عندما فشل فى منعك عن ذلك . . أنت .

تافر : تتعاملين معي بجدية • أنا الوصي عليك ، ومن واجبي أن أنهض رأسنا من أيدي الهنود الحمر • وبهذه المناسبة أنت لا تملكين أى قدرة على الخيال يا « آن » • اننى الآن أكثر تدميرا من الماضى بعشرة أضعاف • ان الغريزة الأخلاقية قد تناولت غريزتى التدميرية ووجهتها الى أهداف أخلاقية ، فأصبحت الآن مصلحا ، وأصبحت - كغيرى من المصلحين - محطما للأوثان ، للمعتقدات القديمة • لن أحطم مزارع القثاء ، ولن أحرق شجيرات التنوب بعد ذلك ، بل سأدمر المعتقدات ، سأحطم الأوثان •

آن : (بخوف) أنا خائفة • أنا أنثى ، ولا أحتمل تجربة أى احساس بالتدمير • التدمير لا يفعل غير أن يدمر •

تافر : فعلا • وهذا هو سر فائدته • ان البناء يرهق الأرض بالقوانين التى يسنها الفضوليون ، أما التدمير فينظفها منهم ويهبها الهواء الطليق •• الحرية •

آن : لا فائدة يا « جاك » • لن تحتمل امرأة أفكارك هذه •

تافر : لانك تسيئين فهم البناء والتدمير كما لو كانا هما الخلق والقتل انهما يختلفان تماما • أنا أعشق الخلق وأبذ القتل • نعم ، أعشقه فى الشجر والزهر ، فى الطير والوحش ، حتى فيك أنت (تبدو على وجهها مسحة من الاهتمام والرضا التى تغمر احساس الضيق والارتباك فتمحوها عن وجهها) • ان الغريزة الأخلاقية الخلاقة هى التى دفعتنى الى الارتباط بك بروابط تركت آثارها على نفسى حتى يومنا هذا • نعم يا « آن » •• ان العلاقة الطفولية القديمة بيننا كانت رباطا لا شعوريا من الحب ••

آن : « جاك » !

تافر : أوه •• لا تنزعجى هكذا ••

آن : لست منزعة •

تافر : (بشهوة) إذن انزعجى •• أين مبادئك ؟

آن : « جاك » •• هل تعنى ما تقول أم لا ؟

تافر : تقصدين الغريزة الأخلاقية ؟

آن : لا • لا • الثانية •• (بارتباك) أوه • انت سخي • ان الانسان لا يعرف كيف يتعامل معك •

قائر : تتعاملين معى بجدية • أنا الوصى عليك ، ومن واجبى أن أنهض
بتفكيرك •

آن : اذن ، انتهت رابطة الحب ، اليس كذلك ؟ هل ضقت بى ؟

قائر : لا • لـأنا الغريزة الأخلاقية هى التى جعلت حينا الطفولى مستحيلا •
لقد ولد فى نفسى احساس جديد وغيور بالذات •

آن : مسكين ! بل أنت تكره أن تعامل كطفل صغير •

قائر : نعم ، لأن معاملتى كطفل صغير تعنى أننى لا أزال على الدرب
القديم • لقد أصبحت شخصا جديدا • أما الذين يعرفون الشخص
القديم فهم يسخرون منى • وأما الشخص الوحيد الذى يعاملنى
بتعقل وفهم فهو الخياط الذى أحبك ملابسى عنده • نعم • لقد ظل
ياخذ مقاسات جسمى من جديد فى كل مرة يرانى فيها ، فى حين
كان الباقون يحتفظون بمقاساتى القديمة معهم ويظنون أنها لا تزال
مناسبة لى •

آن : أصبحت خجولا بشكل رهيب •

قائر : عندما تصعدين الى السماء - يا « آن » - ستصبحين خجولة جدا
من جناحيك خلال السنة الأولى أو هكذا • وعندما تقابلين أقاربك
هناك ، ويصرون على معاملتك كما لو كنت لا تزالين من المخلوقات
المعرضة للفناء ، فلن تستطيعين احتمالهم • ستحاولين الدخول الى
دائرة لا يتوقع أحد دخولك اليها بعد أن أصبحت ملاكا •

آن : اذن ، فهو غرورك الذى دفعك الى الهروب منى •

قائر : بالضبط • غرورى كما تقولين •

آن : اطمئن • لست بحاجة الى الابتعاد عنى •

قائر : الابتعاد عنك قبل الآخرين جميعا • كنت دائما تناضلين ، أكثر من
الجميع ، للحيلولة دون تحررى من تلك القيود التى كبلت روحى •

آن : (بجدية) أوه • كم أنت مخطئ ! • كنت أريد فعل أى شىء من
أجلك •

قائر : أى شىء غير أن تدعينى أفلت منك • حتى فى ذلك الوقت كنت
تستخدمين - وبالغريزة - تلك الخدعة اللعينة التى تمارسها المرأة
مع الرجل بائقال كاهله بالواجبات ، بأن تضع نفسها بكل القوة
والاستسلام - اذا لزم الأمر - تحت رحمته ، حتى لا يستطيع -

فى النهاية - اتخاذ خطوة واحدة دون أن يهرع إليها مستأذنا ••
أعرف رجلا مسكينا كل أمله فى الحياة هو أن يهرب من زوجته •
إنها تمنعه - بالتهديد - من القائها تحت عجلات القطار الذى يحلم
بتركها فيه •• هكذا تفعل النساء جميعا • إذا حاولنا - نحن
الرجال - الذهاب إلى مكان لا يردن ذهابنا إليه ، فليس هناك قانون
يمكننا من ذلك • ولكن إذا حاولنا اتخاذ الخطوة الأولى فأننا نفاجأ
بصدوركن ملقاة تحت أقدامنا ، وأجسادكن تحت عجلات عرباتنا •
أما أنا فلن تستعبدنى امرأة بهذه الطريقة •

آن : لكنك لا تستطيع الحياة بين الناس - يا « جاك » - دون أن تنال
احترام الآخرين •

تافر : آه •• أى نوع من الناس الآخرين ؟ هل هذا الاحترام للآخرين -
أو قولى : هذا التفكير الرعديدي فيهم والذى نسميه الاحترام هو
الذى يجعل منا عبيدا للعاطفة كما نحن الآن ؟ احترامك - كما
تسمينه - معناه أن استبدل ارادتي بأرادتك انت • فكيف يتم ذلك
إذا كانت ارادتك أكثر انحطاطا من ارادتي ؟ هل النساء متعلقات
أكثر من الرجال أم أسوأ منهم ؟ بالطبع ، أسوأ ، وفى جميع
الحالات • وعلى هذا الأساس ، ما هو نوع العالم الذى تحلمين
بتحقيقه ، والعامه فيه رجال يفكرون فى جماهير الناخبين ، والخاصة
من رجاله يفكرون فى زوجاتهم ؟ • ما معنى الكنيسة والدولة فى
هذه الأيام ؟ •• معناهما : المرأة وممول الضرائب •

آن : (بهدوء) يسرنى أن تفهم فى السياسة يا « جاك » • سيفيدك ذلك
كثيرا عندما تنتخب عضوا فى البرلمان • (ينهار تافر كما تتحطم
بالونة ثقبها دبوس) • لكن يؤسفنى اعتقادك بأن تأثيرى عليك
كان سيئا •

تافر : لم أقل كان سيئا • ولكن سواء أكان التأثير محمودا أم مذموما فانا
لم أختار أبدا أن أكون رهن اشارتك ، ولن يحدث ذلك أبدا •

آن : لم يطلب أحد منك ذلك يا « جاك » • أوكد لك - وأنا صادقة فى
كلامى - أننى لم أفكر فى آرائك السخيفة هذه ولو لحظة واحدة •
أنت تعلم أننا نشأنا جميعا كى نعتق آراء تقدمية ، فلماذا تصر على
اعتبارى فتاة ضيقة الأفق ؟

تافر : هذا هو مكمن الخطورة فى الموضوع • أنا أعلم أنك لا تفكرين
لأنك اكتشفت أن المسألة لا تستأهل منك التفكير • ان الأفعى

الرقطاء اذا أحكمت لف جسدها حول ذكر الأيل ، فما هي قيمة
آرائه بعد ذلك ؟

آن : (تنهض مع احساس ضئيل بالاستنارة) أووووه .. الآن فهمت
لماذا تخيف « تيفى » منى بوصفى أننى حية رقطاء . هو أخبرنى
بذلك . (تضحك وتلقى وشاحها حول رقبتها) .. ناعم وجميل .
أليس كذلك يا « جاك » .

قانو : (بازدرء) انت امرأة فاضحة . هل ترمين بكل شىء ، حتى
نفاقك ؟

آن : لم أكن منافقة أبدا ، خصوصا معك يا « جاك » . هل غضبت ؟
(تسحب اللوشاح من حول رقبتها وترميه على الكرسي) ربما أخطأت
فى ذلك .

قانو : (باحتقار) أف . منتهى الاحتشام . ولماذا لا تفعلين ما يحلو لك
إذا كان يرضيك ؟

آن : (بحياء) حسن . لأننى .. لأننى أفهم ما تعنيه بفولك الاعمى
الرقطاء . (تلف رقبتها بذراعيها)

قانو : (يحملق فيها) وقاحة مدهشة ! (تضحك وتربت على خديه) فكرى
الآن . لو أننى حكيت تصرفاتك هذه فلن يصدقنى أحد الا أولئك
الذين يريدون منعى أنا من البوح بها ، فى حين أنه لو حكيتها أنت
فلن يصدقنى أحد اذا حاولت أنا انكارها .

آن : (تبعد يديها عنه باحترام تام) أنت لا تخطئ يا « جاك » . لكن
لا تسخر من عاطفة أحدهنا تجاه الآخر . لن يسئ أحد فهمها ، وأمل
ألا تسيء فهمها أنت .

قانو : قلبى يقول لى ذلك يا « آن » . ولكن ماذا عن « ريكى تيكى تيفى »
المسكين ؟

آن : (تنظر اليه مبهورة كما لو سلط عليها ضوء مفاجئ) أرجو ألا تبالغ
فتغار من « تيفى » .

قانو : أغار ! لماذا ؟ .. أنا لا يدهشنى استحواذك عليه ، بل أحس أن
القيود تحيط بكيانى كله رغم أنك انما تلعبين معى .

آن : هل تعتقد أن عندى بعض الخطط مع « تيفى » ؟

قانو : طبعا .

آن : (جوقار) حذار يا « جاك » ! قد تسيب ل : « تيفى » الكثير من
التعاسة اذا حاولت التأثير عليه من جهتي .

تافر : لا تخافى . . لن يفلت منك .

آن : أنا مندهشة . هل أنت ذكى فعلا ؟

تافر : ولماذا هذا التشويه المفاجيء للموضوع ؟

آن : لأنك تبدو وكأنك تفهم كل ما لا أفهمه أنا . أما فى الأشياء التى
أفهمها أنا فانت لا تزال بالنسبة لى طفلا .

تافر : أعرف مشاعر « تيفى » تجاهك يا « آن » . وبوسعك الارتياح الى
ذلك .

آن : وتعتقد أنك تفهم مشاعرى تجاه « تيفى » . . ليس كذلك ؟

تافر : بل أعرف جيدا ما سيحدث له ، المسكين .

آن : لو لم يكن والدى متوفيا لضحكت من كلامك هذا يا « جاك » . فكر
فى الأمر جيدا . هل سيكون « تيفى » تعيشا حقا ؟

تافر : طبعا . . لكن المسكين لا يريد أن يفهم ذلك . انه أحسن منك
ألف مرة ، ولهذا السبب فهو مقدم على ارتكاب أكبر خطأ فى حياته
بارتباطه بك .

آن : اعتقد أن الرجال اذا كانوا أذكيا فهم يرتكبون من الأخطاء أكثر مما
يقعون فيه لو كانوا طيبين . (تجلس ، وبدخلها ازدراء عميق
لجنس الرجال كله) .

تافر : أنا أعرف أنك لا تهتمين كثيرا ب : « تيفى » . لكن يبقى هناك دائما
شخص يقدم القبله وآخر يسمح بقبولها . و « تيفى » هو الذى
سيقبل دائما ، وانت لن تفعل غير أن تتركى له خدك ، ولا مانع من
الاستغناء عنه اذا عرف شخص آخر كيف يدير خدك بطريقة أفضل
مما كان يفعل « تيفى » .

آن : (تشعر بالاهانة) « جاك » . لاحق لك فى قول مثل هذه الأشياء
عنى . تلك أقوال غير صحيحة ، بل غير مهذبة . فاذا اخترت انت
و « تيفى » أن تتصرفا بغباء معى ، فما ذنبى فى ذلك ؟

تافر : (بحزن عميق) اغفرى لى حماقاتى يا « آن » ، فهى تناسب هذا
العالم الشرير ولا تناسبك أنت (تتطلع اليه مسرورة وغافرة له ،

ثم يفيق الى نفسه فجأة (كل شيء سواء . أرجو أن يعود
«ريمسدن» . لن أشعر معك بالأمان . ان فيك سحرا شيطانياً ..
لا .. ليس سحرا ، بل اهتمام شديد (تضحك) هكذا . تقابلين
الاهتمام بك بالاحساس بالانتصار .. الانتصار الفاضح المخزى .

آن : يا لك من مغازل معذب يا « جاك » .

تائر : مغازل ! .. أنا ؟

آن : نعم .. مغازل .. تسب الناس وتفسدهم ، ولكن دون السماح لهم
بالافلات من قبضتك .

يعود الى المسرح : «ريمسدن» ، و «اوكتافوس» ، ومعهما «مسز ريمسدن» :
وهي سيدة عجوز عنيدة ، ترتدى فستانا حريريا لونه بني فاتح ،
مع كثير من الخواتم والسلاسل ودبابيس الصدر ، وكأنها تقصد
باختيارها اللون الفاتح للفرسان أن يكون بمثابة اعلان عن التمسك
بالبداية وليس بالحداد الذي تعيشه الأسرة منذ توفي « مستر
واتيفيلد » . تدخل الى الغرفة بثبات واع ، ومن خلفها الرجلين
مدعنين مضطربين . تنهض « آن » وتتجه اليها وتستقبلها بشوق .
اما « تائر » فيسحب باتجاه الجدار الواقع بين التمثالين ويتظاهر
بمطالعة الصور . ويتجه « ريمسدن » الى مكتبه كالعادة ، بينما يتجه
« اوكتافوس » الى « تائر » .

مسز ريمسدن : (تسحب «آن» معها ، وتتجه الى كرسي «مسز واتيفيلد»
وتجلس بثبات) أنا نفضت يدي من الموضوع كله .

اوكتافوس : (بمسكنة) أعرف أنك تريدين أن أطرد «فوليت» من البيت .
سأفعل (يتجه الى الباب) .
ريمسدن : لا . لا .

مسز ريمسدن : « روبيك » . ما فائدة كلامك هذا ؟ . « اوكتافوس »
يعلم جيدا أنني لن أطرد أى امرأة نادمة وتائبة عند بابك ، ولكن
عندما لا تكون المرأة شريرة فحسب بل وتصبر على الاستمرار فى غيرها
.. عندئذ لا يمكن أن تربطنى بها أى علاقة .

آن : « مسز ريمسدن » . ماذا تقصدين ؟ ماذا قالت « فيوليت » ؟

ريمسدن : « فيوليت » عنيدة جدا . لن ترضى بمغادرة لندن . أنا لا أفهم
ماذا تريد .

مسز ريمسدن : لكننى فهمت . الأمر واضح كوضوح أنفك فى وجهك

يا « روبيك » • هي لا تريد أن ترحل لكى لا تبتعد عن ذلك الرجل
مهما كان اسمه •

آن : أوه • طبعاً طبعاً • « اوكتافيوس » ، هل تكلمت معها ؟

اوكتافيوس : لم تقل شيئاً • لكنها تصر على عدم التصرف فى أى شىء قبل
أن تستشير شخصاً ما • ولن يكون هذا الشخص الا ذلك السافل
الذى خدعها •

تائر : (محدثاً اوكتافيوس) حسن • دعها تشاوره • وسيسريه جداً
خروجها من البلاد • أى مشكلة فى ذلك ؟
مسز ويمسدن : (تسبق اوكتافيوس الى الاجابة) الصعوبة ، يا « مستر
تائر » ، هى أننى عندما عرضت عليها المساعدة لم أعرض الاشتراك
معه فى ضرورها • فهى اما أن تقسم ألا تقابل هذا الرجل مرة
أخرى واما أن تبحث لنفسها عن أصدقاء غيرنا •

(تظهر الخادمة عند الباب • تعود « آن » الى كرسيها بسرعة وتبدو
غير مهتمة بشئ • « اوكتافيوس » يقلدها دون وعى) •

الخادمة : مدام • العربة عند الباب •

ريمسدن : عربة لمن ؟

الخادمة : ل : « مسز روبنسون » •

مسز ويمسدن : أوه (تستعيد أنفاسها) لا بأس (تخرج الخادمة)
أرسلت فى طلب عربة يا « اوكتافيوس » •• أترى !

تائر : كنت سارسل أنا فى طلب عربة منذ نصف ساعة •

مسز ويمسدن : يسرنى أنها تفهم الموقف الذى وضعت نفسها فيه •

ريمسدن : أنا لا أوافق على خروجها بهذه الطريقة يا « سوزان » • الأفضل
أن نتجنب العنف معها •

اوكتافيوس : لا •• أشكرك • أشكرك • أشكرك •• « مسز ويمسدن »
على حق ، و « فيوليت » ليس من حقها البقاء هنا •

آن : ألن تذهب معها يا « تيفى » ؟

اوكتافيوس : لا تريدنى معها •

مسز ويمسدن : طبعاً لا تريد ، لأنها ذاهبة اليه فوراً •

قافر : نتيجة طبيعية للاستقبال الفاضل الذى لقيته هنا .

ريمسدن : (بانزعاج شديد) هيا ، « سوزان » . سمعت ؟ قد يكون على حق . أرجو أن تهدئى خاطرها بشئ من مبادئك ، وأن تتذرعى بالصبر مع هذه الفتاة المسكينة . انها لا تزال صغيرة ، والوقت كاف لاصلاح كل شئ .

مسز ريمسدن : اوه . ستنال كل ما تحتاجه من عطف من الرجال . انت تدهشنى يا « رويبك » .

قافر : وأنا أيضا يا « ريمسدن » .

(تظهر « فيولت » عند الباب . فتاة فى عمر الشباب ، واثقة من نفسها ، لا يبدو عليها احساس بالندم ، وكأنها تريد أن تبدو على أفضل أحوال انوثتها . لها رأس صغير ، وفم دقيق ، وذقن مدبب ، ونضارة متفطرة عند الكلام ، وشجاعة جسورة ، مظهرها العام لا أثر للخوف فيه . يتكون زيها من قبعة أنيقة يعلوها طائر محنط . ولنا أن نتخيل مثل هذه السيدة القوية الشخصية ، والتي على هذا القدر من الجمال ، لكنها لا تشبه « آن » الخاضعة ، بل تستحوذ على اعجاب الآخرين دون استجدائه أو حتى ابداء أى اهتمام به من جانبها . . الى جانب انه فى شخصية « آن » شئ من المرح . أما فى هذه المرأة فلا شئ من ذلك ، وربما لا شئ من الرحمة أيضا . وإذا كان هناك ما يعيها فهو الذكاء والاعتداد بالنفس ولكن بلا عاطفة . صوتها كصوت المدرسة عندما توبخ التلميذات على خطأ ارتكبه . تتغمد بغطى ثابتة ، وبشئ من الاشمئزاز ، لقول ما جاءت للتصريح به)

فيوليت : جئت لأخبر « مسز ريمسدن » أنها ستجد هديتها فى عيد ميلادى - السوار المثقب - فى غرفة الخادمة .

قافر : « فيوليت » . ادخلى وحديثنا بهدوء .

فيوليت : شكرا تكفينى المناقشات العائلية التى شهدتها هذا الصباح . هذا ما قالته أمك يا « آن » . على كل حال يكفينى أننى اكتشفت قيمة هؤلاء الذين يدعون أنهم أصدقائى . . وداعا .

قافر : لا . لا . لحظة واحدة . لدى شئ أرجوك سماعه . (تنظر اليه بدون أدنى رغبة فى حب الاستطلاع ولكنها تقف - بشئ من التحدى - لاستكمال ارتداء قفازها ، وتستمع له ولكن بما لا يزيد عن اهتمامها بما تفعل) . أنا أوافقك تماما على هذا الموضوع . اهنتك بكل احترام لأن لديك الشجاعة لفعل ما تريدين . انت على

حق تماما ، والعائلة مخطئة على طول الخط . (يتوتر الجو . .
تنهض «آن» و «مسز ريمسدن» وتتجهان اليها . تنسى «فيوليت»
- في دهشتها بما يحدث - أن تكمل ارتداء قفازها ، وتتجه الى
وسط الغرفة . اما السيدتان فهما منزعتان مرتبكتان . الوحيد
الذى لم يتحرك من مكانه ، ولم يرفع رأسه هو «اوكتافىوس» ،
لأن الخجل يعتصره تماما) .

آن : (معتذرة لتانر) « جاك » !

مسز ريمسدن : (غاضبة) حسن . . أريد أن أقول !

فيوليت : (بحدة لتانر) من أخبرك بالموضوع ؟

تانر : ماذا ؟ « ريمسدن » و « تيفى » . ولم لا ؟

فيوليت : لأنهما لا يعرفان

تانر : لا يعرفان ماذا ؟

فيوليت : أقصد ، لا يعرفان أننى على صواب .

تانر : اوه . . يعرفان ذلك فى أعماقهما ، بل ويعرفان أنهما مضطرين
للقاء اللوم عليك ، انطلاقا من خزعبلاتهم عن الأخلاق والصلاح
وما شابه ذلك . لكننى أعرف . والعالم كله يعرف . ومع ذلك
لا يجرؤ أحد على الجهر بأنك كنت على حق فى استجابتك
لغريزتك ، وبأن الحيوية والشجاعة هما أعظم ما يمكن أن تتصف
به امرأة ، وكما أن للأمم مبادراتها الواعية فى الأنوثة فإن الحقيقة
القائلة بأن زواجك غير شرعى لا تعنى أحدا . . اللهم الا شخصك
أنت وحرصنا الصادق عليك .

فيوليت : (تحمر خجلا) اوه . . تظننى امرأة سيئة كفى من النساء .
انت تعلم اننى ما كنت شريرة أبدا الا فى قبولى لأفكارك الشائنة
هذه . « مسز ريمسدن » . لقد احتملت كلماتك القاسية لأننى
أعلم أنك ستندمين عليها عندما تعلمين الحقيقة ، لكننى لا أحتمل
أبدا هذه الاهانة الرهيبة فى موافقة « جاك » على فعلتى هذه ،
وكاننى واحدة من الشريرات اللاتى يوافق هو على أفعالهن الشائنة .
لقد احتفظت بخبر زواجى سرا من أجل خاطر زوجى . . والآن أعلن
أمامكم أننى - كامرأة متزوجة - لن أقبل اهانة من أحد .

اوكتافىوس : (يرفع رأسه بشئ من الاحساس بالخلاص لا يمكن وصفه
بالكلمات) متزوجة ؟

فيوليت : نعم • كنت أرجو أن تفهم ذلك • كيف فات عليكم جميعا انه لاحق لى فى لبس خاتم الزواج دون أن أكون متزوجة بالفعل • لم يسألنى واحدا منكم • ولن أغفر لكم ذلك •

تافر : (محطما) لقد سحقت تماما •• كنت حسن النية فى ما أقول •

آسف • آسف بشدة •

فيوليت : أرجو – فى المستقبل – أن تكون أكثر حذرا فى ما يصدر عنك من أقوال • مما لا شك فيه أن الانسان لا يناقش أقوالك بشيء من الجدية لأنها سخيفة ومرفوضة •

تافر : (ينحنى للعاصفة) ليس عندى دفاع • أحسن شيء أتعلمه للمستقبل هو أن لا أذافع عن أى امرأة • لقد اخرجنا أنفسنا جميعا فى حضورك ماعدا « آن » •• فقد تعاطفت معك فى محنتك • ولذلك ، ومن أجل « آن » •• سامحينا •

فيوليت : لا مانع • « آن » كانت اقيقة معى •• ولكنها عرفت كل شيء بعد ذلك •

تافر : (بحركة يا ئسة) اوه !!! • خداع غريب •• خيانة !

مسز ريمسدن : (بجفاء) ومن هو ذلك الرجل الذى لا تريد زوجته الاعلان عن اسمه ؟

فيوليت : (بحزم) « مسز ريمسدن » • هذا يخصنى أنا •• ولا شأن لك به •• لدى أسبابى الخاصة لعدم اعلان زواجى فى الوقت الحاضر •

ريمسدن : كل ما أستطيع قوله هو أننا أسفون جدايا « فيوليت » •

تؤسفنى الطريقة التى عاملناك بها •

اوكتافىوس : (بجبن) معذرة يا « فيوليت » • لا أقول أكثر من ذلك •

مسز ريمسدن : (رافضة الخضوع للموقف) ان كلامكم هذا يزيد الموقف تعقيدا • لا بأس • أنا أحتفظ برأىى لى نفسى ••

فيوليت : (تقاطعها) انت مدينة لى بالاعتذار يا « مسز ريمسدن » •

أنتما مدينان لى بالاعتذار • ولو انك كنت امرأة متزوجة لكرهت الجلوس فى غرفة الخادمة وأن تعاملى كطفل مشاغب تعاقبه فتيات صغار وسيدات كبار بدون أى احساس بالواجبات والمسئوليات الجادة •

تافر : الضرب فى الميت حرام يا « فيوليت » . واذا كنا قد وضعنا أنفسنا
فى موقف حرج فالواقع انك انت التى وضعتنا فيه .

فيوليت : على أية حال هذا الموضوع لا يهمك بالمرّة يا « جاك » .

تافر : لا يهمنى .. كيف ، وقد شرفنى « ريمسدن » فاتهمنى بأننى
أنا الرجل الذى نبحت عنه .

(تند عن «ريمسدن» آهه تدل على الضيق الشديد . لكن الهدوء الواعى
الغاضب من «فيوليت» يغطى عليها) .

فيوليت : أنت ؟ اوه .. ياللعار ! يالها من إهانة . كم كنتم مبالغين
ومجرمين فى الحكم على . لو عرف زوجى بما حدث فلن يسمح لى
بمخاطبة أى واحد منكم . (تخاطب ريمسدن) اما أنت فاعتقد انك
كنت تستطيع - على الأقل - اعفائى من هذا الموقف .

ريمسدن : اؤكد لك اننى لن .. الموضوع .. أقل ما يوصف به هو أنه
تشويه خطير لشيء ما .. وأنا قلته انه ..

مسز ريمسدن : لا تعتذر يا « ريمسدن » .. هى التى جلبت على نفسها
كل ذلك ، والواجب عليها هو الاعتذار لنا عن تضليلها ايانا .

فيوليت : قد أغفر لك يا « مسز ريمسدن » ، لأنك لا تعرفين مشاعرى
تجاه هذا الموضوع .. لكننى كنت أتوقع شيئا من اللباقة والتعقل
من اناس لهم تجاربكم العريضة فى الحياة . على كل حال أنا أشعر
انكم وضعتم أنفسكم فى موقف مؤلم جدا .. اما أول شيء يجب
على عمله الآن فهو الخروج من هنا ، وفورا .. عمتم صباحا .

(تخرج تاركة اياهم يحملقون فى ذهول)

مسز ريمسدن : حسن .. أستطيع القول بأنه ..

ريمسدن : (بكآبة) لا أعتقد أنها أنصفت فى حكمها علينا .

تافر : « ريمسدن » يجب أن تنحنى احتراماً لخاتم الزواج كما نفعل
جميعا .. لقد طفح العار من كأسنا .

الفصل الثانى

المنظر :

موقف عربات عند بيت ديفى قرب ويتشموند • توجد عربة صيفية مكسورة تقف امام اكبة من الأشجار التى تحيط بالموقف وتمتد حتى تصل الى البيت الذى يكاد يختفى بين الأشجار •

يقف « تانر » فى موقف العربات وظهره للجمهور ، ويكاد لا يرى الركن الغربى من البيت ، وهو مشغول فى مراثة اثنين من العمال يستلقيان على ظهريهما تحت السيارة فى ترواخ ويرتديان « أوفرول » من التطن ، وهو يراقبهما بانتباه ، وقد اسند كفيه الى ركبتيه ، ومظهره يدل على انه مسافر توقف فى الطريق لعطب اصاب سيارته •

العامل : آها • • أخيرا أصلحته •

تانر : كله تمام ؟

العامل : تمام •

(ينحنى « تانر » ويسحب العامل من كعبي قدميه كما يسحب عجلة قطع الحشائش بالحديقة فيخرجه من تحت السيارة زاحفا على يديه وفى فمه مطرقة • وهو شاب جيد الهندام يرتدى صديريا أزرقا • وهو حليق الذقن ، أسود العينين ، سمين الأصابع ، ذو شعر أسود مصفف ، وجفنان مرتعشان يوحيان بالشك والتوجس • اما عندما كان يقوم باصلاح السيارة فقد كانت حركاته سريعة وفورية ولكنها واعية ومدربة • وأما مع « تانر » وأشباهه فلا اختلاف فى سلوكه معهم ، فهو بارد ، متحفظ فى الكلام ، يبعدهم عنه الى المسافة التى لا تسمح لهم بالشكاية اليه ، ومع ذلك فعينه تراقبهم بحرص وبمزيد

من السخرية وكأنه رجل يعرف العالم جيدا من زاويته المظلمة ، وهو يتكلم ببطء ، وفى لهجته مسحة من التهكم ، لا يقلد الجنتلمان فى حديثه أبدا . وقد تجدر الإشارة الى أن تأنقه بمظهره انما يصدر عن احترامه لنفسه ووظيفته أكثر من احترامه لأولئك الذين يعمل عندهم . يدخل فى السيارة لتصفيف أدواته وهندامه . أما « تانر » فيخلع « الاوفرول » الجلدى الذى كان يرتديه ويدسه فى السيارة مع آهة بالخلاص ورضا بالتخلص منها . ومع ملاحظة السائق لذلك يهز رأسه بازدراء ويمطر صاحب العمل بنظرات ملؤها السخرية) .

السائق : ألسنت بحاجة اليه الآن ؟

تانر : أود لو ذهبت الى البيت كي أمدد ساقاى وأريح أعصابى قليلا (ينظر الى ساعته) ربما تعرف أننا جئنا من « هايد بارك كورنر » الى « ريتشموند » فى واحد وعشرين دقيقة .

السائق : أستطيع قطع هذه المسافة فى خمس عشرة دقيقة اذا كان الطريق خاليا أثناء السفر .

تانر : ولماذا ؟ حب فى الرياضة أم للتسلية بارهاب سيدك التعس الحظ ؟

السائق : مم تخاف ؟

تانر : من البوليس ، ومن كسر رقبتى

السائق : حسن . اذا أردت السفر بسهولة وأمان فاركب الاتوبيس ، فهو أرخص كما تعلم . لكنك تدفع لى مرتبا لتوفير وقتك ولمنحك ذلك المركز الاجتماعى الذى من أجله اشتريت السيارة .
(يجلس هادئا) .

تانر : أنا عبد للسيارة ولك أيضا .. حلم لعين يطاردنى فى صحوى ونومى .

السائق : سيتم كل شئ على ما يرام . اذا كنت صاعدا الى البيت فهل لى أن أسألك كم من الوقت تمكث هناك ؟ لأنك اذا كنت تنوى قضاء الصباح كله هناك تثرثر مع السيدات ، فسأدخل السيارة الى الجراج وأسعد نفسى بالتجول فى المناطق القريبة من هنا الى أن يخين وقت الغداء . واذا كان الأمر غير ذلك ، فسأترك السيارة هنا جاهزة للرحيل حتى تحضر .

تانر : انتظر هنا أفضل . لن تتأخر كثيرا .. فهناك شاب أمريكى يدعى

« مستر مالون » ، سائق « مستر روبنسون » ، ومعه سيارته الأمريكية الجديدة .

السائق : (يقفز خارجا من السيارة متجها الى تانر) سياراة بخارية أمريكية جديدة ؟ ماذا ! التى سبقتنا ونحن فى طريق لندن ؟

تانر : ربما يكونوا قد وصلوا منذ فترة قصيرة .

السائق : آه لو عرفتها . (باحتقار شديد) لماذا لم تخبرنى بذلك يا « مستر تانر » ؟

تانر : لأننى عرفت ان هذه السيارة تجرى بسرعة أربعة وثمانين ميلا فى الساعة ، وأنا أعرف ما تفعله عندما تجد سيارة منافسة لك على الطريق . لا يا « هنرى » . هناك أشياء يجدر بك ألا تعرفها ، وهذا واحد منها . على أية حال ، أبشر ، فسوف تقضى يوما حسب مزاجك . الأمريكى سيصحب معه « مستر روبنسون » واخته و « مس واتيفيلد » ، وسنأخذ نحن معنا « رودا » .

السائق : (يبتهج ويحول الحديث الى موضوع آخر) . أخت « مس واتيفيلد » . أليس كذلك ؟

تانر : نعم .

السائق : وستذهب « مس واتيفيلد » فى السيارة الأخرى ، ليس معك ؟

تانر : ولماذا تحضر معنا بحق الشيطان ؟ « مستر روبنسون » سيركب السيارة الأخرى . (ينظر السائق الى تانر بتكذيب بارد ، ثم يتحول الى السيارة ويسلئ نفسه بتصفير لحن شعبي . أما « تانر » ، الذى يضيق به قليلا ، فيوشك على اكمال الحديث معه لولا سماعه لوقع أقدام « اوكتافىوس » على الحصى الذى يفتشرش ممر الحديقة . يخرج « اوكتافىوس » من البيت وقد ارتدى ملابس السفر ولكن بدون معطف) . . . خسرنا السباق والحمد لله . ها هو «مستر روبنسون» . حسن . هل أثبتت السيارة الاوتوماتيكية وجودها يا « تيفى » ؟

اوكتافىوس : أعتقد ذلك . فقد جئنا من « هايد بارك كورنر » الى هنا فى سبعة عشر دقيقة (يغضب السائق فيرفس السيارة ويصدر عنه أنين ينم عن الضيق) . كم استغرقت رخلتكم ؟

تانر : أوه . حوالى ثلاثة أرباع الساعة .

السائق : (باحتجاج) الآن . الآن . الآن . تعال الآن يا «مستر تانر» ، وسنقطع هذه المسافة فى أقل من خمسة عشر دقيقة .

تافر : على فكرة ، دعنى أعرّفكما بأحدكما الآخر . « مستر اوكتافىوس
روبىسون » ، « مستر انرى ستريكر » .

ستريكر : مرحبا بك يا سيدى . « مستر تافر » يعرفك على باسم « انرى
ستريكر » كما سمعت ، وأنت تنطقه « هنرى » ، لكن لا يهم

تافر : أظنك تعتقد ببساطة يا « تيفى » أن من سوء التصرف أن أمزح معه .
لكنك تخطئ ، لأن اهتمام هذا الرجل بأسقاط نطق حرف الهاء
يعتبر أكثر من الاهتمام الذى بذله والده فى تعليمه النطق به ،
وذلك دليل انغلاق عنده . ان لم أقابل شخصا يكاد ينفجر تفاخرا
بطبقته الاجتماعية من « انرى » هذا .

ستريكر : بسيطة ، بسيطة . قليل من الاعتدال يا « مستر تافر » .

تافر : قليل من الاعتدال ، كما تسمع يا « تيفى » . ربما أمرتنى بقليل
من الاعتدال معه انت الآخر . ولكن هذا الغلام متعلم ، بل انه يعرف
أننا لم نزل قسما وافيا من التعليم مثله . ما هى المدرسة الداخلية
التي كنت فيها يا « ستريكر » ؟

ستريكر : « شيربروك رود » .

تافر : « شيربروك رود » ! هل يستطيع أى منا الجهر باسم مدرسة
« رجبى » أو « هارو » أو « ايتون » بهذه الطريقة من التفاخر
الثقافى ؟ ان « شيربروك رود » مكان يتعلم فيه الأولاد شيئا ينفعهم .
أما « ايتون » فهى مزرعة أطفال ، نذهب اليها لأننا مجرد أطفال
مزعجين لأهلنا فى البيت ، ولكى نستطيع ، فى المستقبل ، التفاخر
ادعاء - عند سماعنا لاسم دوق معروف - بأنه كان زميلا قديما لنا
فى أيام الدراسة .

ستريكر : أنت لا تعرف شيئا عنها يا « مستر تافر » . ان ما يساعدنا
فى تعليمنا ليس المدرسة الداخلية ولكن الفنون التطبيقية .

تافر : الجامعة التى كان يدرس بها يا « اوكتافىوس » ليست « اوكسفورد »
أو « كامبردج » أو « دورهام » أو « دبلن » أو « جلاسجو » ، ولا هى
مخابئ المنشقين على الكنيسة فى « ويلز » . لا يا « تيفى » ، بل
هى « ريجنت ستريت » ! ، « تشلسى » ، « بورو » . أنا لا أعرف
نصف أسمائها . تلك هى الجامعات التى تخرج فيها . لم يتخرج
فى محلات بيع التقاليد الطبقية التى تخرجنا نحن فيها . انت تحتقر
جامعة « اوكسفورد » يا « انرى » ، أليس كذلك ؟

ستريكر : لا • لا • « اوكسفورد » مكان جميل جدا لأولئك الذين يحبون مثل هذه الأماكن • هناك يعلمونك كيف تصبح جنتلمان • أما فى الفنون التطبيقية فهم يعلمونك كيف تصبح مهندسا أو ما شابه ذلك فهمت ؟

تافر : تهكم يا « تيفى » • • تهكم ! أوه ! لو أنك استطعت النفاذ الى أعماق « انرى » ، فستعرف كوامن احتقاره للجنتلمان ، ومدى غطرسته وكبريائه • • لمجرد أنه مهندس • انه يتمنى أن تتعطل السيارة ، حتى تسقط عنى صفة الجنتلمان العاجزة وتتفوق مهارته العاملة ونبوغه •

ستريكر : لا عليك منه يا « مستر روبنسون » • انه يحب كثرة الكلام ، وكلانا يعرفه تماما • أليس كذلك ؟

اوكتافىوس : (بوقار) لكن آراءه تتضمن حقائق كبرى • أما أنا فأحترم قيمة العمل •

ستريكر : (دون تأثر بكلام اوكتافىوس) لأنك لم تؤد أى عمل يا « مستر روبنسون » • أما أنا فكل اهتمامى هو القيام بكافة الأعمال • انت تستطيع الاستفادة منى ومعى ماكينة واحدة أكثر من استفادتك من عشرين عاملا معا •

تافر : أستحلفك بالله يا « تيفى » ، لا تناقشه فى الاقتصاد السياسى فهو يعرف كل شىء فيه • وهو ما لا نعرفه نحن • انت شاعر اشتراكى يا « تيفى » ، وهو انسان علمى •

ستريكر : (بعدم اكتراث) نعم • • حسن ، هذه مناقشة مفيدة جدا ، لكننى مضطر الى رعاية السيارة وانتما تريدان التحدث عن فتاتيكما ، أنا أعرف ذلك (يتظاهر باصلاح السيارة ، ثم يتباعد عنهما ويشعل سيجارة) •

تافر : هذه ظاهرة اجتماعية بالغة الخطورة •

اوكتافىوس : ما هى ؟

تافر : « ستريكر » • ان الكثيرين من الشخصيات الأدبية والثقافية قد شغلوا أنفسهم ، ولسنوات عديدة ، بالمناداة بما يسمونه « المرأة الجديدة » كلما صادفوا امرأة من الطراز القديم ، دون أن يلاحظوا وجود « الرجل الجديد » • و « ستريكر » « الرجل الجديد » •

اوكتافىوس : أنا لا لاحظ فيه أى شىء جديد ، اللهم الا طريقتك فى المزاح

معه . لكننى ما جئت الآن للتحدث عنه ، أريد أن أحدثك عن «آن» .

تافر : حتى «آن» ، عرفها «ستريكر» . ربما يكون قد تعلمها فى الفنون التطبيقية . حسن . ماذا عن «آن» ؟ هل خطبتها ؟

اوكتافىوس : (بازدرء لنفسه) بمنتهى الوحشية ، فعلت ذلك أمس

تافر : منتهى الوحشية ! ماذا تقصد ؟

اوكتافىوس : (بحناس وشاعرية) « جاك » . نحن معشر الرجال كلنا فظاظ القلب قساة . لا نفهم أبدا كم هى رقيقة مشاعر المرأة كيف أفعل شيئا كهذا ؟

تافر : فعلت ماذا ، أيها الأبله المافون ؟

اوكتافىوس : فعلا أنا أبله . « جاك » . آه لو سمعت صوتها ورأيت دموعها ! لم أنم . . . طول الليل وأنا أفكر فيها . لو أنها أهانتنى لقابلت أهانتها بطريقة أفضل مما فعلت معها .

تافر : دموع ؟ هذا أمر خطير . ماذا قالت ؟

اوكتافىوس : قالت ، كيف تستطيع الآن التفكير فى أى شىء بعد والدها ثم راحت فى البكاء (يبكى هو الآخر) .

تافر : (يربت على ظهره) تحمل . . انت رجل ، حتى ولو كنت تعالج الموضوع كجحش صغير . « تيفى » . انها اللعبة القديمة . ويبدو أنها لم تتعب من اللعب بك حتى الآن .

اوكتافىوس : (نافذ الصبر) اوه . لا تكن أحمق يا « جاك » . هل تعتقد أن هذه السخرية الأبدية الضحلة التى تبديها الآن قد يكون لها أثرها على انسانية فى مثل طبيعة «آن» ؟ .

تافر : هيه . . ماذا قالت غير هذا ؟

اوكتافىوس : قالت . . هذا هو سبب تعرضنا . أنا وعي . لسخرينك مادمننا نخبرك بما تم بيننا .

تافر : (بحزن) لا يا عزيزى « تيفى » . أقسم بشرفى أنها ليست سخرية . على أى حال لا يهم . أكمل .

اوكتافىوس : احساسها بالواجب مخلص ومتكامل و . .

تافر : أجل . أعرف ذلك . اكمل .

اوكتافىوس : تعلم أنك انت و « مستر ريمسدين » وصيان عليها ، وهى
تمتقد ان كل واجباتها تجاه والدها يجب أن تنتقل اليكما الآن .
قالت اننى يجب أن آخذ رأيكما أولا . لا شك انها على حق .
لكن الأمر يبدو مضحكا . كيف أمثل بين يديكما وأسألكما أن
ترتبا لى استقبالا رسميا بصفتى « عريس » جاء لخطبة الفتاة التى
ترعيانها .

تاجر : أنا سعيد لأن الحب لم يغير حاسة المرح فيك يا « تيفى » .
اوكتافىوس : لن ترضى بهذه الاجابة .

تاجر : اجابتي الرسمية هى : موافق . مبروك يا أولادى . أتمنى لكما
السعادة !

اوكتافىوس : أرجو أن تقلع عن تمثيل دور الأبله فى هذا الموضوع .
واذا لم يكن الموضوع مهما بالنسبة لك فهو كذلك بالنسبة لى ولها .
تاجر : أنت تعلم جيدا أن لها الحرية المطلقة فى اختيارك .
اوكتافىوس : لكنها لا تصدق ذلك .

تاجر : أوه . صحيح ؟ . تمام ! . على أى حال قل لى . ماذا تريدنى
أن أفعل ؟

اوكتافىوس : اريدك أن تخبرها باخلاص وجدية عن رأيك فى . اريدك
أن تقول لها انك تضمننى عندها . هذا اذا استطعت .

تاجر : أستطيع ضمانها عندك دون شك . اما ما يزعجنى فهو التفكير فى
ضمانك أنت عندها . هل قرأت كتاب « ميترلنك » عن النحل ؟
اوكتافىوس : (يكبت غضبه) أنا لا أناقش الأدب الآن .

تاجر : اصبر قليلا . وأنا لا أتحدث فى الأدب . كتاب النحل فى التاريخ
الطبيعى ، وهو درس عظيم للجنس البشرى . فانت تعتقد انك قد
خطبت « آن » ، وانك الصياد وهى الفريسة ، وأن مهمتك هى
أن تطارد وترضى وتسود وتنتصر . مغفل ! لأنك انت الذى
سيطارد . انت الضحية التى ستسقط . الفريسة المقصودة .
لست بحاجة الى الجلوس والنظر بشوق وحنين الى الخفاش من وراء
أسلاك المصيدة . الباب مفتوح الآن وسيظل على حاله حتى ينغلق
من ورائك والى الأبد .

اوكتافىوس : أرجو الاقتناع بآرائك بهذه الطريقة الوضعية التى تتكلم
بها .

تائر : لماذا يا رجل .. ؟ أى هدف آخر يشغلها فى حياتها غير الحصول على زوج ؟ هدف المرأة هو أن تتزوج ، وبأسرع طريقة ممكنة .
أما هدف الرجل فهو أن يظل أعزبا ، ولأطول مدة ممكنة . ان لديك من القصائد والتراجيديات ما يشغلك .. أما «آن» فلا يشغلها شيء .
اوكتافىوس : لا أستطيع الكتابة بدون الهام . ولن يستطيع شخص آخر توفيره لى غير « آن » .

تائر : حسن .. ألا تستطيع الحصول عليه وانت بعيد عنها ؟ .. ان « بترارك » لم ير « لورا » ، ولا رأى « دانتي » .. « بتريس » نصف عدد المرات التى رأيت فيها « آن » ، ومع ذلك فقد قال شعرا من الطراز الأول .. على الأقل فى رأى أنا . انهما لم يعرضا جبهما الأعمى لاختبارات العلاقات العائلية ، ومع ذلك فقد استمر معهما حتى دخلا قبريهما . تزوج « آن » ، وبعد أسبوع واحد لن تجد فيها من الالهام أكثر مما تجد فى طبق من الفطائر .

اوكتافىوس : أظن أننى سأمل منها ؟

تائر : مطلقا .. أنت لا تمل من الفطائر ، ولكنك لا تجد فيها الهاما ، ولن تجده فيها هى الأخرى ، حضورها عندما لا تصبح بالنسبة لك هى حلم الشاعر ، بل تمثال حجرى للزوجة - عندئذ تضطر الى الحلم بأى امرأة أخرى ، وستجد منهن طابورا طويلا .

اوكتافىوس : هذا كلام لا يفيد يا « جاك » . انت لا تفهم لانك لا تحب .

تائر : أنا ! أنا لم أتوقف عن الحب أبدا . لماذا ، وأنا أحب « آن » نفسها . لكننى لست عبدا للحب ولا مجنونا به . اذهب الى النحلة أيها الشاعر .. فكر فى أساليبيها ، وكن عاقلا . والله لو أن النساء استطعن الحياة بدوننا يا « تيفى » ، وقمنا نحن الرجال بأكل طعام أطفالهن بدلا من توفيره لهم ، فانهن يقتلنا كما تقتل أنثى العنكبوت ذكرها ، أو كما تصرع النحلة الدبور . اما اذا استطعن اتقان أى شيء غير الحب ، عندئذ يصبحن أحسن حالا .

اوكتافىوس : آه لو كنا ، معشر الرجال ، طيبين بما فيه الكفاية ! ليس هناك شيء كالحب ، ولا شيء غير الحب . بدونه يصبح العالم كابوسا رهيبا مروعا .

تائر : هذا ، هذا هو الرجل الذى يطلب المساعدة كى يخاطب كفيلى !
« تيفى » .. الا ترى أننا قد تغيرنا كثيرا بعد ان كبرنا ! اننى أراك الآن سليلا حقيقيا ل : « دون جوان » .

اوكتافىوس : اتوسل اليك ، لا تقل هذا الكلام لـ : « آن » .
تائر : لا تخف ، لقد اختارتك لنفسها ، ولن يمنعها شىء عن ذلك . لقد
هلكت وانتهى الأمر .

(يعود ستريكر ومعه صحيفة يومية) ها هو « الرجل الجديد »
.. يتواضع كعادته فيحمل جريدة ثمنها نصف بنس .

ستريكر : هل تصدق يا « مستر روبنسون » أننا عندما كنا فى الطريق
الى هنا اشترينا جريدتين : « تائر » له ، و « ليدر » أو « ايكو »
لى . وهل تصدق لم اقرأ جريدتى ؟ .. مطلقا .. هو يتصفح ال :
« ليدر » ويتركنى للعذاب مع ال « تايمز » .

اوكتافىوس : هل أعلنت ال « تايمز » عن أسماء الفائزين فى المراهنات ؟
تائر : « انرى » لا يهتم بالمراهنات . نقطة الضعف فيه هى نتائج سباق
السيارات . ما هو آخر أخبارها ؟

ستريكر : سباق من باريس الى « بيسكرا » بسرعة ٤٠ ميل فى الساعة ،
مع عدم اضافة البحر الأبيض المتوسط .
تائر : وكم عدد الضحايا ؟

ستريكر : خروفان سخيفان . ما قيمتهما ؟ الخرفان ليست غالية هنا ،
وقد سرهم ان يقبضا ثمنهما دون تحمل مشقة الذهاب الى السوق
أو بيعهما الى الجزار . هكذا ترى ان الأمور عادية ، ولكن سوف
يثير السباق نوعا من المتاعب ، ثم تقرر الحكومة الفرنسية ايقافه ،
وترد حكومتنا على ذلك بسحب سفيرها .. فهمت ؟ أكاد أجن !
الغريب أن «مستر تائر» يستطيع اقامة سباق ممتاز لكنه لا يريد .
لماذا ؟ لا أعلم .

تائر : « تيفى » . هل تذكر عمى « جيمس » ؟
اوكتافىوس : أجل . لماذا ؟

تائر : كانت عند العم « جيمس » طبخة ممتازة ، ولم يكن يأكل طعاما الا
من طبخها هى . حسن . كان المسكين رجلا خجولا ينفر من
المجتمعات ، لكن الطباخة كانت مغرورة بمهارتها ، فكانت تجبره
دائما على دعوة الأمراء والسفراء الى الغداء . ولكى يتجنب المسكين
خروجها من خدمته كان يضطر الى اقامة حفلى غداء كل شهر ،
ومن ثم يعانى ما لا يطيق من آلام واخفاقات من هذه الأجواء
الاجتماعية الصاخبة . والآن ، ها أنذا ، وهذا الولد « ستريكر » :
« الرجل الجديد » . أنا لا أحب السفر ولكننى أحب « انرى » .
وهو لا يهتم بأى شىء سوى بارتداء جاكيت جلد ونظارة شمسية

والانطلاق بالسيارة بسرعة ٦٠ ميلا فى الساعة وقد غطى الغبار جسمه وملابسه ، والمغامرة بحياته وحياتى معا . وفيما عدا ذلك ، فهو يقضى وقت فراغه تحت السيارة يفتش عن أى عطب فيها كى يصلحه . ولذلك فاذا لم أسمح له بقيادة السيارة لمسافة ١٠٠٠ ميل كل اسبوعين فلا شك اننى سأفقدته ، يرد لى المفاتيح ويذهب للعمل عند مليونير أمريكى ، وبالطبع أفقد وضعا محترما يجسده عمله عندى سائس خيل وبستانى وسائق سيارة . . يقابلنى وقد أمسك بطرف قبعته احتراما ، ويعرف بالضبط وضعه هنا . الواقع أننى عبد عند « ستريكر » . . بالضبط كما كان العم « جيمس » عبدا عند طباخته .

ستريكر : (بانفعال) اوه . . أتمنى لو أننى أملك سيارة أجرى بها بنفس السرعة التى تتكلم بها يا « مستر تانر » . ما أريد قوله هو أن احتفاظك بالسيارة سيتسبب فى ضياع نقودك ما لم تحاول استثمارها فى أى شىء آخر . وإذا كنت تريد التخلص منى ومن السيارة اشتر عربة بعجلتين واستأجر سيدة تدفعك بها وانت راكب .

تانر : (بغضب) لا بأس يا « هنرى » ، لا بأس . دعنا الآن نتنزه نصف ساعة بالسيارة .

ستريكر : (بازدرء) نصف ساعة (يعود الى السيارة ، ويجلس أمام عجلة القيادة ، ويقلب صفحات الجريدة بحثا عن أخبار جديدة) .

اوكتافىوس : اوه . . تذكرت . لك معنى رسالة من « رودا » (يعطيها ل : تانر) .

تانر : (يفض الرسالة ويقرأها) أعتقد أن « رود » تنوى الاصطدام ب : « آن » . المتعارف عليه هو أن هناك شخصا واحدا تكرهه الفتاة الانجليزية أكثر من كراهيتها لأختها الكبرى . . تلك هى أمها . لكن الغريب أن « رودا » تحب أمها فعلا أكثر من حبها ل : « آن » . انها (باحتقار) اوه . . أقصد ! . .

اوكتافىوس : ما الحكاية ؟

تانر : كان المفروض أن تقابلنى « رودا » للخروج معى بالسيارة . لكننى تقول ان « آن » منعتها عن الخروج معى .

(يصفر « ستريكر » بلحنه الشعبى المفضل)

اوكتافىوس : هل أبدت أى أسباب ؟

تاجر : أسباب ! الاهانة لا تحتاج لتبريرات . « آن » تمنعها من الانفراد
بى فى أى ظروف ، وتقول اننى لست الشخص المناسب للاختلاء
بفتاة صغيرة مثلها . والآن ما رأيك فى مثلك الأعلى هذه ؟

اوكتافىوس : لا تنس ان عليها مسئولية كبرى الآن بعد وفاة والدها ،
بالإضافة الى أن « مسز واتيفيلد » من الضعف بحيث لا تستطيع
التحكم فى « رودا » .

تاجر : (يحملق فيه) باختصار .. هل توافق على تصرفات « آن » ؟
اوكتافىوس : لا . بل أعتقد اننى أفهمها . يجب أن تفهم أن آرائك
لا تصلح أبدا بالنسبة لتكوين عقلية وشخصية فتاة صغيرة .

تاجر : لا أدعى شيئا من ذلك . ان ما أوكدته هو أن تكوين عقلية وشخصية
الفتاة الصغيرة لا يخلو من حشو رأسها بالأكاذيب . لكننى أرفض
تلك الأكاذوبة الشائعة حول هوايتى لتدمير ثقة الفتيات فى أنفسهن .

اوكتافىوس : « آن » لم تقل ذلك يا « جاك » .

تاجر : اذن ، فماذا قالت ؟

ستريكز : (يلمح آن قادمة من البيت) « مسز واتيفيلد » يا سادة
(ثم يبتعد عن المكان الى طرف الطريق كما لو كان يشعر بأنه انسان
غير مرغوب فى وجوده) .

آن : (تقف بين اوكتافىوس وتاجر) صباح الخير يا « جاك » . جئت
أخبرك بأن « رودا » المسكينة قد اصببت بالصداع ، ولذلك
لن تستطيع الخروج معك بالسيارة اليوم .. سيئة الحظ تلك
الطفلة المسكينة .

تاجر : ما رأيك يا « تيفى » ؟

اوكتافىوس : مؤكد أنت لم تفهم يا « جاك » . « آن » تبدى اهتماما عطوفا
بك ، ولو على حساب خداعك .

آن : ماذا تقصد ؟

تاجر : هل تحبين أن تشفى « رودا » من الصداع يا « آن » ؟

آن : طبعا .

تاجر : اذن ، أخبريها بما قلته الآن ، وأضيفى اليه انك وصلت بعد وصول
رسالتها الى قراءتها بدقيقتين .

آن : « رودا » كتبت لك ؟

تافر : خطابا كله خصوصيات .

اوكتافىوس : لا عليك منه « يا آن » . انت على حق دائما . « جاك » :
« آن » تؤدى واجبها ، وانت تعرف ذلك . بل انها تؤديه بأكبر قدر
ممكن من العطف .

آن : (تتجه الى اوكتافىوس) كم انت رقيق ومتعاون يا « تيفى » .
بل وسهل الاقتناع . (اوكتافىوس يسعد بذلك) .

تافر : آه . . الحصار يضيق « تيفى » . انت تحبها ، أليس كذلك ؟

اوكتافىوس : هى تعلم ذلك .

آن : اسكت . استج « يا تيفى » !

تافر : أنا أذن لك . . أنا الوصى عليك ، وسأتركك فى رعاية « تيفى »
خلال الساعة القادمة . أما الآن ، فسأذهب فى جولة بالسيارة .

آن : لا يا « جاك » . يجب أن أحدثك عن « رودا » . « ريكى » . . هلا عدت
الى البيت لتسلية صديقك الأمريكى ؟ لقد كان فى صحبة ماما منذ
الصباح الباكر ، وهى تريد الآن الانتهاء من شئون البيت .

اوكتافىوس : فورا يا عزيزتى « آن » (يقبل يدها)

آن : (برقة) « ريكى تيكى تيفى » ! (ينظر اليها بخجل شديد ويخرج
مسرعا) .

تافر : (بجفاء) والآن ، انظرى الى « آن » . لقد استقرت أمورك الآن .
واذا لم يكن « تيفى » قد وقع فى الحب معك - بصرف النظر عن
كل معانى الاخلاص فى علاقتك به - فيجب عليه أن يكتشف أى
كاذبة أفافة . . انت . .

آن : انت تسيء فهمى يا « جاك » . أنا لم أجروء على أخبار « تيفى »
بالحقيقة .

تافر : لا . بل ان جراتك تكون فى الاتجاه المضاد دائما . أى شر تقصدين
بأخبارك « رودا » . اننى انسان شرير لا يجدر بها مصاحبتة ؟ كيف
أستطيع أن أقيم معها علاقات انسانية أو أحاسيس رقيقة بعد ذلك ؟
خصوصا بعد ان قمت بتسميم أفكارها بهذه الطريقة الشائنة ؟

آن : أنا واثقة انك لن تسيء التصرف معها .

تافر : فلماذا أخبرتها اذن ؟

آن : واجبى .

قَانَر : واجبك !

آن : أمى أمرتنى بذلك .

قَانَر : ها ! . كان يجب أن أفهم ذلك . الأم ! دائما الأم !

آن : كتابك المروع . . انت تعرف قدر ما تعانیه أمى من عذاب .
كل النساء محافظات دائما . ونحن يجب أن نكون محافظين
يا «جاك» ، والا أسىء فهمنا . . حتى انت ، وانت رجل ، لا تستطيع
التعبير عن رأيك دون أن يساء فهمك وتلعن . . نعم . . اعترف لك
. . اضطررت الى الحط من قدرك أمامها . هل تريد أن يساء فهم
« رودا » وتسبب بنفس الطريقة ؟ هل يجدر بأمى أن تتركها تعرض
نفسها لمثل هذه المواقف قبل أن تبلغ السن التى تؤهلها للتحكم
فى مستقبلها ؟

قَانَر : باختصار . . الطريقة التى يستطيع بها الناس الافلات من سوء
الظن هى الكذب والافتراء والنس والادعاء بكل فظاعة ممكنة . هذه
هى نتيجة طاعتك لأمك .

آن : أنا أحب أمى يا « جاك » .

قَانَر : (بانفعال) وهل هذا سبب كاف يمنعك من الجهر بأن روحك ملك
خاص بك ؟ أوه . أنا انبذ كل هذا الخضوع المهين من الشباب
لفارق السن ! انظرى الى المجتمع الموقر كما تعرفينه . ما هى
الصورة التى يحاول الظهور بها ؟ رقصة رائعة للجاريات . . ماهى ؟
موكب رهيب من الفتيات البائسات . . كل منهن تسير خاضعة وقد
وقعت فى مخالب امرأة عجوز ساخرة ، مأكرة ، جشعة ، مضللة ،
عديمة التجربة ، عقيمة التفكير تسميها أمها ، لا واجب لها الا
تخريب عقلها وبيعها لمن يدفع أكثر . لماذا يتزوج هؤلاء الجوارى
البائسات من أى شخص مهما كان عجوزا وشريرا ، بل ويفضلنه على
عدم الزواج بالمرّة ؟ ولأن الزواج هو وسيلتهن الوحيدة للهروب من
هذه الأشباح الواهنة التى تخفى طموحن الأنانى وكراهيتهن
الغيورة من خصومهن : الفتيات الصغيرات اللاتى يحاولن اقتلاع
من مسرح الحياة ، فهن يسعين اليه تحت ستار واجب الأم والروابط
العائلية . هذه كلها تصرفات شائنة . . ان صورة الطبيعة تبيح
للفتيات رعاية الأب وللأبناء الاهتمام بالأم . والقانون المنظم لعلاقة
الأب والابن والأم والبنّت ليس هو قانون الحب . . بل هو قانون
الثورة . . التحرير . . خلافة الصغار القادرين للكبار العاجزين . .
اسمعى . . ان الواجب الأول للرجولة والأنوثة هو « اعلان

الاستقلال ، • ان الرجل الذى يذعن لسلطان أبيه ليس رجلا •
والمرأة التى تخضع لجبروت أمها لا تصلح أبدا لأن تحمل فى
أحشائها مواطنين هم دعائم المجتمع الحر •

آن : (باعجاب) أتنبأ لك بأن تشتغل فى السياسة ذات يوم يا « جاك » •
تانر : (باحباط) هه ؟ ماذا ؟ ما •• ما علاقة ذلك بما أقول ؟

آن : كلامك جميل

تانر : كلام •• كلام •• اذن فالمسألة لا تعنى أى شىء بالنسبة لك •
مجرد كلام ! حسن • عودى الى أمك ، وساعديها على تسميم أفكار
« رودا » كما فعلت معك • أفيال أليفة تتسلل بافتراس أفيال بريّة •

آن : اذن ، حالتى مطمئنة •• بالأمس كنت حية رقطاء ، واليوم أصبحت
فيلا •

تانر : بالضبط •• اذن ، ارفعى خرطومك واذهبى • لم يعد عندى ما أقوله
لك •

آن : لأنك لست معقولا ، وأفكارك ليست عملية بالمرّة • ماذا أفعل ؟

تانر : تفعلين ! •• حطى أغلالك •• امضى فى طريقك حسب ما ينبئك
به ضميرك ، وليس انقيادا لأفكار أمك • نظفى عقلك •• نشطيه ••
تعلمى الاستمتاع برحلة فى سيارة تنطلق بسرعة الريح بدلا من
اختلاق الأسباب للهروب ، والحكم على النزهة بأنها مكيدة فاحشة •
تعالى معى الى مرسيليا ، ثم نعبّر البحر الى الجزائر • ثم الى بريسكا
بسرعة ستين ميلا فى الساعة •• اذهبى الى مضيق طارق ان شئت ،
وسيكون هذا هو « اعلان الاستقلال » •• الثأر •• بعد ذلك
تستطيعين تأليف كتاب ، ومن ثم ينتهى من حياتك دور أمك ،
وتصبحين امرأة بحق •

آن : (بتفكير عميق) ولم لا يا « جاك » •• انت كفيلى •• تقف منى موقف
والدى ، وبرغبته •• لن يستطيع أحد النفوه بكلمة واحدة عندما
نسافر معا • ستكون رحلة رائعة •• اشكرك ألف مرة يا « جاك » •

تانر : (بدهشة) تحضرين !!

آن : طبعا •

تانر : لكن (يصمت •• ثم يتحدث منخفض) لا •• اسمعى يا « آن » ••
إذا لم يكن فى ذلك أى ضرر ، فليس له أى داع فى الوقت نفسه •

آن : كم تبدو مضحكا ! انت لا تريد حل مشكلتى ، أليس كذلك ؟

تافر : بالعقل .. هذا هو كل ما أريد .

آن : كلامك كله سفسطة فى سفسطة .. انت تعرف ذلك ، وتعرف انك لن تضايقنى بأى شئ .

تافر : حسن .. اذا كنت لا تريد حل مشكلتك فلا تحضرى .

آن : (بوقار) سأحضر يا « جاك » ، مادامت هذه هى رغبتك . انت كفىلى ، وأنا أعتقد اننا يجب أن نتعاشى معا .. ان يتعرف أحدهنا على الآخر وبطريقة أفضل . (بامتنان) هذه فكرة رائعة .. عطف كبير منك أن تمنحنى أجازة سعيدة ، خصوصا بعد ما قلته عن « رودا » . فعلا أنت أفضل كثيرا مما نظن .. متى نسافر ؟

تافر : لكن ..

تتوقف المناقشة بوصول « مسز واتيفيلد » قادمة من البيت ، ومعها الجنتللمان الأمريكى ، ومن خلفهما « ريمسدن » و « اوكتافىوس » .

« هكتور مالون » : أمريكى من الطرف الشرقى لأمريكا ، ومع ذلك فهو لا يبدى أى خجل من الاعلان عن جنسيته ، مما يجعل كبار القوم فى انجلترا يحسنون الظن به . ولم لا ؟ وهو شاب يمتلك من الرجولة قدرا يجعله أهلا للاعتراف جهرا بما يعتقد أنه نقطة ضعف دون ما حاجة الى حجبها أو التهوين من أمرها . انهم يعتقدون أنه يجب ألا يتعرض لأى ضغط يجعله يعانى من خطأ لم ترتكبه يده ، وبأن الواجب هو ابداء كل التعاطف معه . ان ما يتذرع به من صفات فروسية مع النساء ، ومشاعر اخلاقية سامية انما تصطدم بهم ، رغم بذله اياها فى غير مواقعها الطبيعية وبطريقة غير مألوفة لديهم ، وكأنها تسمى من سوء الطالع . ورغم أنهم اكتشفوا فيه مزاجه المرح المعتدل - حتى عندما انخفضت قدرته على اثارة فضولهم (كما حدث فى بداية الأمر) فانهم استطاعوا اقناعه بوجوب التخلي عن سرد الطرائف والنوادر ما لم تكن من قبيل النوادر والطرائف الشخصية .. بل والفاضحة . كذلك أفضوا اليه بأن الخطابة ، هى الأخرى . لا تعدو كونها انجازا ينتمى الى حقبة فجأة من مراحل الحضارة أكثر من كونها سمة من سمات تلك الأرض التى نزل بها ابان هجرته من أمريكا .

على أساس هذه النقاط يبدو « هكتور » غير مفهوم .. انه لا يزال على اعتقاده بأن البريطانيين قادرون على استخلاص الحكمة من ركام

حماقاتهم ، وعلى التفاخر بقدراتهم العاجزة وكأنها جوانب مضيئة لتربيتهم الصالحة . ان الحياة الانجليزية تبدو له وكأنها تعاني من نقص في البلاغة المستنيرة (التي يسميها هو : « النعمة الأخلاقية ») ، وكذلك السلوك الانجليزي في معاناته من الحاجة الى احترام الأنثى ، والنطق الانجليزي في وقوعه ، وبوحشية بالغة ، في الطنطنة ببعض الألفاظ مثل : العالم والفتاة والطائر .. الخ ، والبوح بمفاتيح المجتمع الانجليزي الى الحد الذي ينتقل به من العفوية الى الفظاظ التي لا تحتمل ، والمخاطبة بالانجليزية التي تحتاج الى شيء من السمو عن طريق الألعاب والقصص وغير ذلك مما مذكى وقت الفراغ .

لكل هذه الأسباب لم يشعر أنه مدعو للتعامل مع النقائص ، بعد كل ما تحمل من آلام عظيمة في سبيل زرع نفسه وسط سلوكيات الطبقة الأولى . من قبل أن يغامر بعبور المحيط الأطلنطي وافدا من أمريكا الى بريطانيا . وبالنسبة لهذه الثقافة الجديدة فانه يستكشف الشعب الانجليزي على حالة يكون فيها اما محايدا بالكامل - كما هو بالنسبة للثقافة ككل - أو مراوغا مؤدبا . والواقع ان ثقافة « هكتور » تعتبر لا شيء ولكنها مجرد حالة من التشبع بصادرات الآداب البريطانية على امتداد الثلاثين عاما الماضية ، وهي التي أعيد تصديرها اليه كي يميظ عنها اللثام مع أول ملحوظة لاخت منذ الوهلة الأولى ، ومن ثم يندفع بكل قواه الى الآداب والعلوم والفنون الانجليزية . حتى عندما يصادف البعض يثرثرون بلا هدف حول « أناتول فرانس » و « نيتشة » فانه يباغتهم بطرحه لأفكار « ماتيو أرنولد » و « اوتو كراطيه مائدة الافكار » وأيضا (ماكولاي) . وحيث أنه - في أعماقه - ليس متدينا ورعا ، فانه يقود غيره من المثوسين ، وعن طريق السخرية الفاضحة ، الى طرح اللاهوت جانبا عند مناقشة الأسئلة الأخلاقية معه ، ومن ثم يبعثرهم بين ضبابيات الغموض عندما يطلب اليهم الاختيار بين ما اذا كان الايمان بمبادئه الأخلاقية لم يكن كهدف الله تعالى عندما خلق أفاضل الرجال والظاهرات من النساء .

ان الحيوية المتدفقة في شخصه ، والابتذال المروع في ثقافته يجعلان من الصعوبة بمكان الحكم بما اذا كان هو الشخص الجدير بالتعرف اليه من عدمه . ذلك أنه في الوقت الذي لا يجد فيه رفاقه مفرا من الشعور بالسرور والحيوية في حضرته ، فانهم لا يشعرون بأن شيئا فكريا جديدا يخرج من فمه ، خصوصا مع ازدرائه للسياسة وحرصه على أن لا يتحدث عن مشروع تجارى قد يكون معه قادرا على مسايرة أصدقائه من

الراسماليين الانجليز . انه يجد أسعد أوقاته مع المسيحيين الرومانسيين من أبناء قطاع العشاق ، ومن هنا نشأت صداقته مع « اوكتافىوس » .

أما فى الشكل العام فان « هكتور » يبدو شابا حسن القوام . فى الرابعة والعشرين من عمره ، له لحية سوداء قصيرة ومدببة . وعينان صريحتان جميلتان ، وقدرة على التعبير متدفقة ورائعة . ومن ثم فهو - فيما يتعلق بالهندام - لا غبار عليه .

يسير بامتداد الممر ، قادما من البيت ومعه « مسز واتيفيلد » يجتهد فى أن يبدو مقبولا خفيف الظل ولذلك يخلع على ذكائه الوفور ثقلا كبيرا ينوء بحمله . ان الرجل الانجليزى قد يترك هذه الآنسة وحدها تعاني من وحدتها واحساسها بالضياغ حسب ما تمليه طباع باقى أبناء الشعب . أما السيدة المسكينة فانها تتمنى اما أن تترك لوحدها واما أن تترك لتثرثر حول القضايا التى تعنيها .

(يهرول « ريمسدين » متفقدا السيارة . اما « اوكتافىوس » فيسير وراء « هكتور ») .

آن : (تحتضن أمها فى شوق) اوه . . ماما . ما رأيك ؟ سيصبحنى «جاك» فى سيارته الجديدة الى مدينة «نيس» . . رحلة مدهشة أليس كذلك ؟ . . أنا أسعد انسانة فى لندن .

تائر : (يائسا) «مسز واتيفيلد» غير موافقة . أنا متأكد أنها لن توافق . أليس كذلك يا « ريمسدين » ؟

ريمسدين : أعتقد ذلك فعلا .

آن : لن ترفضى يا أمى ، أليس كذلك ؟

مسز واتيفيلد : أنا أرفض ! . لماذا ؟ انت محتاجة لهذه الرحلة يا « آن » . (تخطو تجاه تائر) كنت أنوى أن أطلب منك اصطحاب « رودا » فى رحلة بالسيارة بين حين وآخر .

تائر : جهنم فوق جهنم . . جبال كلها خيانة !

آن : (محاولة جذب الانتباه عن هذا الهياج) اوه . . نسيت . . انت لم تقابل « مستر مالون » . . « مستر تائر » ، كفىلى . . مستر « هكتور مالون » .

هكتور : يسرنى لقاؤك يا « مستر تائر » . أرجو قبولى عضوا فى رحلتكم الى « نيس » ، اذا كان لى الحق فى ذلك .

آن : اوه . سنذهب كلنا . . هذا مفهوم . اليس كذلك ؟
هكتور : عندى سيارة متواضعة ، وهى تحت أمر « مسز ريمسدن » اذا
سمحت لى بشرف مصاحبتهما .

اوكتافىوس : « فيولت » !

(هياج عام) .

آن : (بخضوع) تعالى يا امى . يجب ان نتركهم لمناقشة بعض المسائل . .
سارتب أنا معدات السفر .

(تخرج آن ومسز واتيفيلد)

هكتور : هل من حقى التماذى بطلب مرافقة « مسز روبنسون » لنا ؟
(الهياج مستمر)

اوكتافىوس : أخشى ان نضطر لترك « فيوليت » هنا . ثمة ظروف تحول
دون خروجها مع مجموعة كهذه .

هكتور : لأن الرحلة على الطريقة الأمريكية ، هه ؟ هل يجب ان تستأذن
الآنسة من وصيفتها ؟

اوكتافىوس : ليس بالضبط يا « مالون » . . على الأقل لا نسافر جميعا
مرة واحدة .

هكتور : لا بأس . هل لى أن أسأل ان كان هناك أى اعتراض آخر ؟

تائر : (نافذ الصبر) اوه . . اخبره . . لن نستطيع كتمان
السـر حتى نفاجأ بأنه قد ذاع أمره بين الناس . « مستر مالون »
. . اذا ذهبت الى « نيس » مع « فيوليت » ، فأعلم أنك ستذهب
مع امرأة متزوجة من رجل غيرك . متزوجة !!

هكتور : (مصدوما) انت لم تخبرنى بذلك .

تائر : أخبرناك . . صدقنى .

ريمسدن : (بشئ من الاهتمام) زواجها لم يعلن بعد ، لأنها تصر على
عدم اعلانه فى الوقت الحاضر .

هكتور : سأحترم رغبة السيدة . اليس تطفلا منى أن أسأل عن اسم
زوجها ؟ قد تتاح لى فرصة التفاهم معه بخصوص هذه الرحلة .

تائر : لا نعرف من هو .

هكتور : فى هذه الحالة لن أقول أكثر من ذلك .

اوكتافىوس : شىء غريب !

هكتور : بعض الشئ .. معذرة لتطفلى ..

ريمسدين : الفتاة تزوجت سرا ، وزوجها منعها - على ما يبدو - من اعلان اسمه . من واجبنا اخبارك بذلك مادمت مهتما ب .. الآنسة « فيوليت » !

اوكتافىوس : (بلطف) أرجو الا يسبب لك ذلك أى إحباط .

هكتور : لا . لا . لا . يسبب لى صفة . أنا لا أتصور كيف يترك الرجل زوجته فى وضع كهذا .. وضع غريب .. غير رجوى .. غير محترم !

اوكتافىوس : هذا هو ما نشعر به من أعماقنا

ريمسدين : (بحزن) شاب أحق لا يفهم نتيجة وضع غامض كهذا .

هكتور : أرجو ذلك . هو بالتأكيد شاب صغير أحق ، والا ما غفرنا له سلوكه الشائن هذا .. وجهة نظرك متساهلة جدا يا « مستر ريمسدين » .. متساهلة لدرجة يرفضها عقل . ان الزواج يزيد الانسان نبلا واحتراما .

تائر : (بسخرية) ها .

هكتور : أفهم من ذلك انك لا تتفق معى فى رأى يا « مستر تائر » ؟

تائر : (بتهكم) تزوج وجرب .. ربما وجدت الزواج نبلا لفترة من الزمن .. لكنك لن تجده نبلا بالتأكيد .. ليس من الضرورى أن يكون الحكم العام على الرجل والمرأة المتزوجين أحسن من الحكم على الرجل الأعزب .

هكتور : حسن . نحن - فى أمريكا - نعتقد أن اخلاقيات المرأة أكثر نبلا من اخلاقيات الرجل ، وأن الطبيعة الطاهرة للمرأة تسمو بالرجل الى ما هو ارفع وأفضل من اخلاقياته هو ، وتجعله فى حالة أفضل منها قبل الزواج .

اوكتافىوس : (بفهم) فعلا .. فعلا .

تائر : اذن فلا عجب فى أن تفضل الأمريكيات الحياة فى أوروبا ! .. هنا تصبح الحياة أكثر راحة بالنسبة لهن ، من أن يضحين بأعمارهن

كلها على مذبح الأمل فى التقديس .. على أى حال ، الزواج لم يرفع
شأن زوج « فيوليت » حتى الآن .. ولذلك ماذا نفعل ؟

هكتور : (يهز رأسه) لا انكر ان سلوك هذا الرجل يبلغ من النبل حدا
يتساوى مع ما تدعيه لنفسك يا « مستر تانر » . لن أقول أكثر
من ذلك .. مهما يكن من أمره ، فهو زوج « مس روبنسون » .
ويجب أن يكون حكمى عليه منصفاً .. على الأقل من أجلها عى .

اوكتافىوس : (بتأثر) معذرة يا « مالون » .. آسف جدا .

هكتور : (بامتنان) انت رجل طيب يا « روبنسون » . شكرا

تانر : تحدثوا فى موضوع آخر « فيوليت » قادمة من البيت .

هكتور : أستطيع أن أقدم لها خدمة ، يا سادة ، لو اتحتم لى فرصة المحدث
معه على انفراد لعدة دقائق .. بعد ذلك سأفرض يدي من اللعبة ..
شئ لطيف أن ..

ريموند : (بسرور) لا تقبل شيئا .. كفى .. « تانر » . تعال . وانت

يا « تيفى » (يخرج معهما)

(تدخل فيوليت وتتجه الى هكتور)

فيوليت : هل يروننا من هناك

هكتور : لا (تقبله فيوليت)

فيوليت : اكنت تكذب من أجل ؟

هكتور : اكذب ! .. الكذب أقل كثيرا من وصف ما حدث .. شئ
لا يخطر .. كدت أجن .. « فيوليت » ، اسمح لى باعلان زواجنا .

فيوليت : (بسرعة وجدية) لا .. لا يا « هكتور » انت وعدتني الا تفعل
ذلك .

هكتور : وسأظل عند وعدي حتى تسمح لى بالتححر منه . لكننى أشعر
بالوضاعة عندما اكذب على هؤلاء القوم .. شئ مخجل .

فيوليت : كنت أتمنى الا يكون والدك غريبا الى هذا الحد .

هكتور : لا .. ليس غريبا .. لكنه على حق من وجهة نظره هو .. لأنه
متعصب ضد الطبقة الوسطى الانجليزية .

فيوليت : شئ مثير للضحك . انت تعلم كم اكره التفوه بهذه الأشياء .

أمامك يا « هكتور » .. لكن اذا اضطرت الى .. اوه .. حسن ..
لا يهم

هكتور : أعرف .. تقصدين القول بأن زواجك من شاب انجليزى يشغل
فى صناعة المكاتب يعتبر ، ولو فى رأى أصدقائك . زواجا غير
متكافئ . ومع ذلك وأن أبى العجوز المخرف .. صاحب أكبر
مصنع لأثاث المكاتب فى العالم .. يوصد الباب فى وجهى
فلا أستطيع الزواج من أكثر فتيات انجلترا جمالا وخلقا .. لا لشيء
الا لأنها لا تحمل اسما عائليا كبيرا .. شيء مضحك لا شك .. لكن
دعيني اصارحك يا « فيوليت » باننى لا أريد خداعه - اننى اشعر
اننى اذا فعلت ذلك فكأننى أسرق منه نقوده . لماذا لا تسمحين لى
بإعلان الزواج ؟

فيوليت : مستحيل .. فكر فى الحب برومانسية كما تريد يا « هكتور »
.. أما فى المسائل المالية فلا تكن رومانسيا .

هكتور : (بحيرة) هذا تفكير انجليزى بحث .. (باصرار) « فيوليت »
.. سيرانا أبى فى يوم من الأيام .

فيوليت : نعم .. لكن دعنا الآن من مناقشة هذا الموضوع الذى يستهلك
كل لقاء يجمعنا معا . لقد وعدتني أن ..
هكتور : لا مانع . لا مانع .. أنا ..

فيوليت : (تقاطعه) الذى يعانى من هذه العلاقة هو أنا ولست انت ..
وإذا كنت ساواجه الصراع والفقر وكل هذه الأشياء المزعجة فأننى ،
ببساطة ، ارفضها .

هكتور : لن تعانى شيئا من ذلك . سأدبر اقتراض المال من والدى حتى
أستطيع الاعتماد على نفسى ، وعندئذ أستطيع إعلان زواجنا ودفع
ديونى فى نفس الوقت .

فيوليت : (بأنزعاج واحتقار) تقصد انك ستعمل ! أتريد افساد زواجنا ؟
هكتور : حسن .. بل أرجو الا أكون أنا سبب فساده . لقد سخر
صديقكم « تانر » منى بسبب هذا الموضوع .. ثم ..
فيوليت : المتوحش ! .. أنا أكره « جاك تانر » .

هكتور : (بشهامة) اوه .. لكنه على حق .. فقط هو بحاجة الى حب
امراة فاضلة كى تسمو بروحه .. الى جانب ذلك فهو يستعد للقيام
برحلة الى « نيس » ، وسأخذك معى .

فيوليت : رائع !

هكتور : طبعاً .. لكن كيف ندبر الأمر ؟ هل تعلمين انهم اندروني بعدم
التحدث أو الخروج معك لأنك متزوجة ؟ .. هكذا هو أكبر قدر
من الثقة الساحقة التي أتشرف بالتعامل بها .
(يعود تانر مع ستريكر الذي يتجه الى سيارته .)

تانر : سيارتك رائعة يا « مستر مالون » .. مهندسى يريها لمستر
« ريمسدن » .

هكتور : (بشوق .. ناسيا نفسه) هيا بنا يا « فيو » ..

فيوليت : (تقاطعه .. ببرود) معذرة يا مستر مالون ، .. أنا لم ..

هكتور : (يسترد أنفاسه) « مسز روبنسون » .. اسمحى لى وشرفينى
بأن اريك سيارتى الأمريكية المتواضعة .

فيوليت : يسرنى ذلك (يتجهان الى الممر)

تانر : آه من هذه الرحلة يا ستريكر .

ستريكر : (مشغولا فى ترتيب السيارة) أفندم ؟

تانر : « مسز واتيفيلد » ستحضر معنا .

ستريكر : توقعت ذلك .

تانر : وكذلك « مسز روبنسون » .

ستريكر : أجل .

تانر : حسن .. اذا كنت تنوى الانشغال معى فى الرحلة وتترك « مستر
روبنسون » للانشغال بمسز « واتيفيلد » فلن ينسى لك هذا
الجميل .

ستريكر : واضح .

تانر : واضح ! لو كان جدك معنا الآن لغمز بعينه استنكارا لذلك

ستريكر : لا . بل يرفع قبعته عن رأسه احتراماً .

تانر : اذا كان الأمر كذلك فسأقدم لجدك الطيب المحترم هدية تذكارية .

ستريكر : خمسة شلنات أظن .. (يترك السيارة ويقترّب من تانر)
ما أخبار الآنسة ؟

تاجر : تريد أن تنفرد بالسيد « روبنسون » .. بالضبط كما يريد السيد « روبنسون » الانفراد بها .. (ينظر اليه ستريكر بارتياح ، ثم يعود الى السيارة ويصفر بلحنه المفضل) أوقف هذا الازعاج المثير للأعصاب (يخفض ستريكر من صفير لحنه حتى ينتهى منه . تاجر يستمع اليه فرغما فى أدب ، ثم يوجه كلامه الى ستريكر ولكن بأسلوب أكثر جدية) .. لقد كنت دائما أدافع عن أهمية نشر الموسيقى بين الناس .. ومع ذلك أرفض انضمامك الى جماعتنا ..

لماذا تصفر كلما سمعت اسم « مسمر واتيفيلد »

ستريكر : ليس هذا هو الجرم الفاضح .. امتع « مسمر روبنسون » عن ذلك أولا !

تاجر : لماذا ؟

ستريكر : يا الله ! .. أنت تعلم لماذا .. ليس هذا شأنى .. كما اننى لست بحاجة الى السخرية منى أنا أيضا فى هذا الموضوع .

تاجر : لست أسخر .. ولكننى لا أعرف لماذا ..

ستريكر : حسن جدا .. اتفقنا .. وهذا أيضا لا يهمنى .

تاجر : (بتأثر) اننى أعتقد يا « انرى » ، أن العلاقة بين المهندس وصاحب العمل تفرض على أن أقف دائما عند مسافة معقولة بعيدا عنك ، والا أقحمتك فى مشاكل الخاصة .. ان علاقات العمل بيننا تخضع هى الأخرى لموافقة الغرفة التجارية التى تتبعها أنت . لكن أرجو ألا تسيء استغلال المميزات التى تتمتع بها .. دعنى أذكرك بقول « فولتير » .. لقد قال ان أسخف الكلام هو الكلام الصالح للفناء .

ستريكر : ليس « فولتير » هو الذى قال ذلك .. انه بو .. مار .. شاي ..

تاجر : تقصد « بون مارشييه » .. ولهذا السبب تحاول اقناعى بأن أحسن الكلام هو الذى يصلح لصفارة شفتيك . لكن من سوء الحظ أن صفارتك - زغم ما فيها من شجن - لا تعكس أى مهارة تذكر . والآن ، هيا بنا .. دعنا نتحدث بصراحة .. الآن لن نسمعنا أحد .. لا أقاربى الظرفاء ولا سكرتارية الاتحاد اللعين الذى تنتسب اليه .. هه .. لماذا تعتقد أن صديقى لن يأخذ فرصته مع « مس واتيفيلد » ؟

ستريكر : لأنها مرتبطة بشخص آخر

تافر : اوف .. من هو ؟

ستريكر : انت .

تافر : أنا !!

ستريكر : قل انك لا تفهم !! .. اوه .. « مستر تافر » .. تعالى .

تافر : (بجدية) أمجنون انت ؟ أم تعنى ما تقول ؟

ستريكر : (بانفعال) لست مجنوناً كما تظن (ببرود) يا أستاذ ..
الأمر واضح كوضوح أنفك هذا الذى فى وجهك .. وإذا لم تكن قد
فهمت ، فانت لا تعرف شيئاً عن بنات حواء .. انت طلبت رأى
بصراحة واخوة ، ولقد أجبتك بصراحة و اخوة ..

تافر : (يتضرع الى السماء) اذن .. فانا نحلة .. عنكبوت .. الضحية
المأمولة .. الفريسة المقصودة !

ستريكر : أنا لا أعرف شيئاً عن النحل والعناكب .. اما الفريسة المقصودة
فهى انت .. انت بالتأكيد .. شغلة لطيفة .. أليس كذلك ؟

تافر : (بجدية) « هنرى ستريكر » ! .. لقد حانت اللحظة الحاسمة
فى حياتك .

ستريكر : ماذا تعنى ؟

تافر : تحطيم الرقم القياسى فى سباق « بسكرا » ..

ستريكر : (بلهفة) صحيح ؟

تافر : اسرع اليها

ستريكر : هل تقصد ؟ ..

تافر : نعم .

ستريكر : متى ؟

تافر : فوراً .. هل السيارة جاهزة للانطلاق الآن ؟

ستريكر : (يتلعثم ، لكنك لا تستطيع ..

تافر : (يقاطعه بالدخول الى السيارة) سنذهب الآن .. أولاً الى البنك ،
ثم الى شقتى لاحضار حاجياتى الخاصة ، ثم الى شقتك لاحضار

حاجياتك الخاصة ، ثم ننتقل لتحطيم الرقم القياسي في السباق
من لندن الى روفر ٠٠ الى فولكستون ٠٠ ثم نعبث المانش ونهرع
كالمجانين الى مارسيليا ، فمضيق جبل طارق ٠٠ جنوة ٠٠ ثم الى
أى ميناء نستطيع منه الابحار الى أى بلد اسلامى حيث الرجال آمنون
من شرور النساء ٠٠

مستويكر : أف ٠٠ انت تمزح

قافر : (بتصميم) اذن ٠٠ تخلف انت ٠٠ اذا لم تحضر معى فسأقوم
بالرحلة وحدى (يبدأ فى تشغيل السيارة) ٠

مستويكر : (يجرى خلف السيارة) قف ٠٠ يا سيد ٠٠ يا أخ (يقفز الى
السيارة وهى تسير)

المكان :

صيرا نيفادا . . منطقة جبلية تكثر بها منحدرات تغطيها
صخور بنية اللون ، تتناثر بينها اشجار الزيتون ، على غير المالوف
في مثل هذه الأماكن التي تكثر بها اشجار التفاح . . بالضبط كما
تنمو اشجار التين الشوكي بدلا من نبات « الوزال والسرخس في
مناطق البراري . وفي اعالي المنطقة تبدو القمم والأجراف الجبلية ،
مما يضيف على المكان مسحة من الجمال المتميز . نعم ، ليس هناك
اثر للطبيعة البرية هنا . لقد أضفى هذا الجبل الاستراطي . الذي
أبدعته يد الخالق الفسان ، على المكان جوا من الجمال لا يبارى .
حتى المسطحات الخضراء ، ليست غزيرة هي الأخرى ولو بوصفها
منطقة وعرة بين مختلف البقاع الصخرية المنتشرة هنا وهناك .
وباختصار . الجمال الأسباني والاقتصاد الأسباني واضعان في كل
بقعة هنا .

على مسافة غير بعيدة توجد البقعة التي يتقاطع عندها اعل
الطريق مع أحد الانفاق المارة من تحت خط السكة الحديد الممتد من
« مالاجا » الى « جرانادا » التي تعتبر واحدة من المدرجات الجبلية
الخاصة بمنطقة « صيرا » . فاذا نظرنا الى هذه البقعة من الطرف
السيح لحوطة الحصان فان المرء يرى - الى اليمين قليلا ، وفي
مواجهة الجرف الجبلي - كهفا رومانسيا يعتبر ، بحق ، غريبا
ومهجورا . أما عن اليسار ، فهناك تل صغير يعتبر نقطة ملاحظة
للطريق الذي يطوق المدرج الجبلي من جهة اليسار . حيث يسيطر
- بحكم مستواه المرتفع - على جانبي الطريق . وفوق هذا التل
يقف « مراقبة الطريق ، رجل قد يكون اسبانيا او اسكتلنديا . .
لكن الأرجح انه اسباني لانه يرتدى ملابس الرعاة الأسبان وتبدو
خامته في « صيرا نيفادا » كواحد من أبنائها . أما أسفل التل ،
وعلى المنحدر المؤدى الى كهف هؤلاء الخارجين على القانون . فيقف
حوالي اثني عشر رجلا يبدون وكأنهم مدركون تماما لما يقومون به من

اعمال . وكانهم اوغاد من وجهاء القوم يخلع وجودهم على منطقة
سيرا . مشرفا جديدا ، وذلك باستخدام اياها كخلفية تصويرية
مؤثرة يعرضون نشاطهم على مسرحها . انهم يقضون الآن فترة
راحتهم راقدين على كومة من الاعشاب واوراق الشجيرات الذابلة .
والواقع انهم لا يمتنون للوجاهة بصلة . بل ان الجبال المحيطة
بالمكان تكاد ان تنوء بهم ، ولكن كما ينوء الأسد بقملة تسرح على
جلد فروته . اما « الشرطى » الانجليزى . او « حارس القانون
البانس » - كما يسمونه - فيستطيع التعرف عليهم كعصابة تقسم
افرادا اقويا . الاجسام يعملون فى قطع الطريق .

على انه يجب التحفظ بان خلق هذه الاوصاف عليهم يجب
الا يودى الى تحقيرهم والحق من شأنهم . ذلك اذا لاحظ الرء
نشاط هذه العصابة بعين نافذة . او قام بزيارة هؤلاء الافراد الاشداء
فى مقر عملهم ، فانه سوف يؤمن بان المتبذذين من نشاطنا الاجتماعى
ليسوا دائما سكرين ومعلولى الصحة . ان بعضهم افراد لا يزالون
على مستوى الطبقات التى ولدوا فيها . لذلك نستطيع الحكم بان
الصفات التى تجعل « الجنتلمان » المثقف انسانا فنانا هى ذاتها
الصفات التى تخلق من العامل اليدوى الجاهل ، قاطع طريق شديد
البأس . ان البعض يدفعهم البأس الى السقوط فى برائن هذه
العصابات ، لا لشيء غير انهم لا يصلحون للقيام بعمل ما ، ومع
ذلك فهم موجودون هناك لأنهم يملكون من نفاذ البصيرة ما يجعلهم
ينبذون العرف الاجتماعى (وهو حكم لا ينسحب على الانسان
المشتهر الذى لا يسدد الضرائب المستحقة عليه ،) . ذلك العرف
الاجتماعى الذى يوفر للانسان نوعا من الحياة بدخل ضئيل فى مقابل
الكثير من الكد والكفاح . ولكن ، فى الوقت الذى تكون عيناه قد
تفتحتا على الحل البديل وهو : السير على درب هذه العصابة .
انه يخطو على هذا الدرب وقد اعلن عن نفسه اعلان الشخص الداعر
عن ذاته . وقد اضطره القانون قسرا الى دفع تكاليف الغذاء
والكساء والسكن للحراس (رجال الشرطة) الذين لا يقدمون من
الجهد ما يستحق حصولهم على تلك النفقات . بل وبمستوى افضل
كثيرا مما يدفع هو لتكاليف الغذاء والكساء والسكن الخاص به .
وعندما يجد الانسان - الذى ولد ليكون شاعرا - فى نفسه الاستعداد
لرفض وظيفة فى مكتب البورصة ، عندما يجد مثل هذا الانسان
نفسه - فى كفاحه ليكون واحدا من كبار القوم - مضطرا الى التطفل
على « سيدة مجتمع » فقيرة او على اصدقائه او اقربائه وبشكل اكثر
عقوبة من سعيه وراء لثمة العيش بعرق جبينه . او عندما تجد
« سيدة المجتمع » نفسها - لا لشيء غير انها امرأة - مضطرة لمواجهة
اى من اشكال المبالغة فى هذا التواكل المتطفل بدلا من السعى
للحصول على اية وظيفة ولو كانت طباحة او مديرة بيت . امام
ظروف كهذه نجد انفسنا مضطرين الى تقديم تنازلات كبيرة فى
مواجهة اولئك الافراد . وعند هذه التنازلات يجد الوغد الشديد

الباس ، او بديله المتمثل فى عضو العصاة ، الفرصة المواتية لممارسة نشاطه .

هكذا .. اذا كانت الحياة محتملة بالنسبة للانسان المبدع ، فانه - عندئذ - يجد لديه المزيد من الفراغ الذى يحكى خلاله القصص لنفسه ، ومن ثم يصل الى موقف يسلمه الى نوع من « الديكور » الابداعى . ومن سوء الحظ ان مؤهلات العمال غير المهرة لا تستطيع توفير مثل هذا « الموقف » لهم . اننا نسيء معاملة العمال بشكل فظيع . واذا رفض احد العمال مثل هذه المعاملة السيئة ، فاننا نأبى التصريح بان رفضه هذا يعتبر عملا شريفا .

دعونا نناقش هذه المسألة بشئ من الصراحة قبل ان نمضى مع مسرحيتنا هذه ، كى يتسنى لنا الاستمتاع بها دون الشعور بشئ من الامتناع .

فاذا كنا من اولئك الاشخاص المفكرين ، البعيدي النظر ، فان اربعة اخماسنا يجب ان يتوجهوا ، وفورا ، الى اولئك « الافراد » يهدف الاستمتاع بقدر من الترويج ، ولكى نعظم النظام الاجتماعى بأسره من خلال بلوغنا اكثر النتائج قدرة على الافادة واعادة البناء من جديد . على ان السبب فى علم اتخاذنا لهذه الخطوة هو اننا نؤدى اعمالنا - كما النحل او النمل - عن طريق القرية او العادة بدون اى تفكير على الاطلاق . ولذلك اذا برز من بيننا شخص يفكر ، او يستطيع التفكير ، ويقوم بتطبيق اختبار « كانط » على سلوكه ، فان مثل هذا الشخص يستطيع بحق ان يواجهنا قائلا : « اذا فعل احدكم مثلما فعل فان العالم سيفطر الى اصلاح نفسه صناعيا ، ومن ثم يتحقق القضاء على العبودية والفساد السياسى ، وهما الشيطانان اللذان لا يوجد الا حيث يتصرف الجميع كما تفعلون انتم » . فلنقدر ، اذن ، لهذا الشخص حقه ، ونفكر بجدية فى ان نحلو حلوه .. هنا يصبح هذا الشخص هو قاطع الطريق القادر جسمانيا وعقليا . لكنه اذا كان « جنتلمان » يبدل قصارى جهده للحصول على معاش او وظيفة « بطاقة مقنعة » بدلا من الانطلاق لتجاوز مرحلة تقاطع الطرق فانه لن يجد من يوجه اليه اللوم لعزمه الخوض فى هذا الاتجاه ، وذلك لان الحل البديل يكمن بين حياته عالة على نفقة الدولة وبين السماح للدولة بالحياة عالة عليه هو .. عندئذ يصبح الحل المناسب له هو قبول ما يعتبر - فى رايه شخصيا - اخف الضررين .

لكل هذه الاسباب يجب ان نناقش حال قطاع الطرق فى « سيرنا » دون تعصب لرأى معين ، بل والاعتراف ، وبشئ من الارتياح ، بان اهدافنا (التى تتلخص فى ان يصبح كل منا « جنتلمان » ترى) هى نفس اهدافهم ، وبان الفارق بيننا وبينهم

و ان وضعنا الاجتماعى واسالينا انما تعتمد على الصدفة البحتة .
ولهذا السبب قد يكون الحل السليم - فى نظر واحد او اثنين
منهم - هو القتل ولكن بدون حقد وبطريقة مفعمة بالصدقة
والصراحة ، استنادا لأن هناك الكثير من المخلوقات التى تمشى على
قدمين - بالضبط كما أن هناك مخلوقات تسير على أربع - يلفون
من الخطورة حدا لا يمكن معه تركهم يسعون على الأرض أحرارا
ودون ما ازعاج .. مثل هؤلاء لا يتوقعون أن يقضى الآخرون أعمارهم
لا هم لهم سوى مراقبتهم . وحيث أن المجتمع لا يملك من الشجاعة
القدر الذى يمكنه من اغتيالهم ، فانه - حين يضع يديه عليهم -
يعتقلهم ويشفى فيهم - وببساطة - بأن يذيبهم اجراءات بالغة
الشراسة تتمثل فى تعذيبهم والحط من قدرهم ، ثم يتركهم نهبا
للصبياح وقد لوثوا بأوصاف متناهية الختارة . لهذا السبب نجدهم
هنا فى « سيرا » وفى قبضة رئيسهم الذى يبدو باستطاعته - اذا
استثير - الحكم عليهم بالاعدام رميا بالرصاص .

ان هذا الرئيس - الجالس وسط افراد العصابة على كتلة
حجرية مربعة - رجل طويل قوى ، له انف مدببة كما البغاء ،
وشعر اسود لامع ، ولحية مدببة ، وشارب مفتول الى أسفل ، وملامح
تشبه « مينستوفيليس » تشى بأن صاحبها يعتز بنفسه أكثر من
« بيكاديللى » . قد يكون ذلك راجعا الى عاطفة معينة تكمن فى
أعماق هذا الانسان ، هى التى تضى عليه هذه المسحة من الجمال
الواعى . أما عيناه وفمه فلا يبدو عليهما أى تعبير عن الخسة ، واما
صوته فوثيق وحاضر البديهة . وهو يبدو أقوى فرد فى المجموعة
بصرف النظر عن كونه اقواهم فعلا ام لا . لكن المؤكد انه احسنهم
غذاء وكساء وتدريبا . ايضا لا نستغرب انه يتكلم الانجليزية
- برغم القبة الأسبانية التى تجرى فيها الأحداث . وباستثناء
شخص واحد يمكن القول بأنه كان مصارع ثيران دمرته الخمر .
ورجل آخر لا يختلف اثنان فى انه فرنسى ، فان الباقيين اما بريطانيون
من احياء لندن الفقيرة « كوكيون » او امريكيون . ولذلك يرتدون
- فى بلاد العباءة والقبة المكسيكية - معاطف رثة ولقاعات صوفية
وقيعات نصف دائرية خشنة وقفاقات بشية اللون قدرة ، الى جانب
عدد قليل منهم يرتدون ملابس لا يمكن معها التزلز بأنهم انجليز .
اما قائدهم فيرتدى قبعة مكسيكية عريضة على حزامها ريشة ديك
وعباءة فضفاضة تتدل فوق حذائه ذى الرقبة الطويلة .. وهى ملابس
تعبير ، اصلق تعبير ، عن انه انسان غير انجليزى .

جميع افراد العصابة غير مسلحين فى حين يضع الافراد ، الذين
يرتدون القفاقات ، أيديهم فى جيوبهم لأنهم يشعرون ، بايحاء من
معتقداتهم القومية ، بأن الجو فى هذه المناطق المفتوحة لابد وأن
يكون شديد البرودة ، خصوصا مع قدوم الليل (رغم أن الجو هذا
المساء دافىء بقدر ما يحتمل الانسان انئادى) .

وباستثناء مصارع الثيران الكبير ، نجد شخصا واجدا فقط بين افراد المجموعة يبدو في الثالثة والثلاثين . وهو شاب احمر السوالم ، ضعيف البصر ، تشي عيناه بنظرة تاجر صغير يمر بازمة . يكاد يكون الوحيد الذي يضع على رأسه قبعة عالية تلمع مع اشعة الغروب . يرتدى قميصا له ياقة و « اساور » مصنوعة من النايلون ، ويبدو انه الشخص المحترم الوحيد بين افراد العصابة . وقد يكون في الأربعين وربما في الخمسين من عمره ، وهو صاحب الركن اليميني من مجلس القائد في مواجهة الرجال الثلاثة الذين يرتدون اربطة عنق قرمزية اللون ويجلسون عن يساره . والفرنسي واحد من هؤلاء الثلاثة . اما الانسان الباقيان فهما انجليزيان ، احدهما المجدال الوقور العنيد والثاني هو المشاكس .

يلقى الرئيس بطرف عباته ، بعركة رشيقة ، على كتفه الايسر وينهض مخاطبا اياهم . يتقابلون خطبته بالتصفيق ، مما يدل على انه خطيب بارع .

الرئيس : أصدقائي .. زملائي قطاع الطريق . لدى اقتراح أود مناقشته معكم في هذا الاجتماع . لقد قضينا حتى الآن ثلاث ليال في مناقشة هذا السؤال : هل يعتبر الفوضويون أو الديمقراطيون الاجتماعيون أكثر الناس شجاعة ؟ . أيضا ناقشنا مبادئ الفلسفة الفوضوية والديمقراطية الاجتماعية ، ووصلنا الى نتيجة محددة .. ان نموذج الفوضوى يتمثل تماما في الشخص الذي يجسد هذه الفلسفة عندنا ، دون أن يعرف معنى كلمة « فوضوية » . (ضحك)

الفوضوى : (ناهضا) : نقطة نظام يا « مندوزا » .

مندوزا : (بعنف) لا .. سمحت لك بأخر نقطة نظام منذ نصف ساعة ، الى جانب ذلك الفوضويون لا يعرفون شيئا اسمه النظام .

الفوضوى : (بهدوء واصرار . والواقع انه أكثر أفراد العصابة وقارا ورشاقة) هذا خطأ فاحش .. وسأثبت لك أن ..

مندوزا : نظام .. نظام ..

الاخرون : (يصيحون) نظام .. نظام . اجلس يا سيادة الرئيس اسكت انت

(يسكت الفوضوى مرغما)

مندوزا : وعلى الجانب الآخر ، معنا ثلاثة من الديمقراطيين الاجتماعيين . وهم ليسوا واردين في المناقشة ، وقد وضعوا أمامنا ثلاثة آراء متميزة ومحددة حول الديمقراطية الاجتماعية .

(الرجال الثلاثة يرتدون أربطة عنق قرمزية اللون) .

الأول : سيادة الرئيس ، أنا أعترض ، وأطلب تفسيراً منك شخصياً .

الثاني : هذا كذب . لم أقل ذلك أبداً . . . كن عادلاً يا « مندوزا » .

الثالث : أطلب منكم الأمان . هذا خطأ فاحش . . هذا خطأ . . خطأ . .
خطأ أيها الجلاّد !!

مندوزا : نظام . . نظام .

الآخرون : نظام . نظام . نعم تكلم سيادة الرئيس .

(يسكت الديمقراطيون الاجتماعيون مرغمين) .

مندوزا : نحن هنا نقبل جميع الآراء . لكن تذكروا أيها السادة أن الغالبية العظمى هنا ليست فوضوية ولا هي اشتراكية ، بل سادة عاديون ومسيحيون .

الأغلبية : (يصبحون استحسناءاً) سمع . . سمع . . هس . . أى نعم . . صح .

الاشتراكي الديمقراطي المشاكس : (بضيق) أنت لست مسيحياً بل بريق زائف . . نعم أنت كذلك .

مندوزا : (بزهو شديد) صديقي العزيز . . أنا استثناء لجميع القواعد . . الواقع أنني أتشرف بكوني يهودياً . وعندما يحتاج الصهاينة إلى قائد يعيد جميع أبناء جنسنا في وطنهم التاريخي في فلسطين ، فسيكون « مندوزا » هو أول من يصلح لهذه المهمة . (تصفيق : سمع سمع . . الخ) ومع ذلك فلست أسير أى فكر خرافى . لقد فهمت جميع القوانين الطبيعية . . حتى تلك التى تدعيها الاشتراكية ، رغم أن المرء إذا أصبح اشتراكياً ولو لفترة وجيزة فسيظل طوال حياته اشتراكياً .

الاشتراكيون الديمقراطيون : سمع . . سمع . . هس .

مندوزا : لكننى أعرف تماماً أن الإنسان العادى ، حتى ولو كان قاطع طريق ، لا يمكن وصفه بأنه إنسان عادى (سمع . سمع !) فما بالك إذا وصف بأنه فيلسوف . يكفيه الاتصاف بالذوق السليم – والذوق السليم ، فى أعمالنا هذه ، يناسبنى أنا الآخر ،

حسن .. ما هي مهمتنا هنا في « سيرا نيفادا » تلك البقعة التي اختارها المسلمون كأفضل بقاع أسبانيا ؟ هل تقتصر مهمتنا على مناقشة أسئلة عويصة في الاقتصاد السياسي ؟ لا .. بل هي اختطاف السيارات وصولا الى توزيع عادل للثروة .

الاشتراكي الديمقراطي العابس : تذكر أن كل شيء يمكن تحقيقه بالعمل .
وبالعمل فقط .

مندوزا : (بلطف) لا شك . كل شيء يتحقق بالعمل . وفي سبيل العمل تشرذنا نحن على أيدي أولئك الأثرياء الذين يتسكعون على اوكار الرذيلة التي تدنس الشواطئ المشمسة على البحر الأبيض المتوسط .. نحن ندين تلك الثروات .. نستردها لتوزيعها على أفراد الطبقة العاملة ، تلك التي عملت في إنتاجها ، والتي تحتاجها بشدة . اننا نؤدي هذه المهمة على حساب حياتنا وحريتنا ، وفي سبيلها نتحلى بفضائل الشجاعة والصمود والرؤية النافذة والتعشف .. خصوصا التعشف .. أنا نفسي لم آكل غير التين الشوكي والأرنب المسلوق طوال هذه الأيام الثلاثة .

الاشتراكي الديمقراطي العابس : (بغباء) ونحن أيضا .

مندوزا : (باحتقار) هل أخذت أكثر من نصيبي ؟

الاشتراكي الديمقراطي العابس : (بثبات) ولماذا تأخذ أكثر من نصيبك ؟

الفوضوي : ولماذا لا يأخذ ؟ لكل حسب حاجته ، ومن كل حسب امكاناته .

الفرنسي : (يشير الى الفوضوي معترضا) حشاش ..

مندوزا : (بلباقة) اتفق معكما في ذلك .

قطاع الطريق الانجليز : سمع .. هس .. برافو « مندوزا » .

مندوزا : أريد أن أقول .. دعونا نعامل بعضنا البعض معاملة «الجنتمان» ، ونتنافس على الشجاعة عندما نتصدى لتأدية مهامنا في قطع الطريق .

الاشتراكي الديمقراطي المشاكس : « بسخرية » شكسبير .

(يسمع صوت صفارة من جانب التل ، فيقفز ويشير الى الطريق المؤدى الى الشمال)

مراقب الطريق : اوتومبيل .. اوتومبيل (يندفع هابطا من أعلى التل ليلحق بالآخرين الذين يقفزون وقوا) .

مندوزا : (هاتفا) الى السلاح . من معه البندقية ؟

الاشتراكي الديمقراطي العابس : (يعطى مندوزا بندقية) ها هي .

مندوزا : هل فرستم الطريق بالمسامير ؟

الاشتراكي الديمقراطي المشاكس : وبمسامير « ٢ بوصة » .

مندوزا : حسن (مخاطبا الفرنسي) تعالى معي يا « دوفال » . اذا لم تفلح المسامير في تفريغ اطارات سيارتهم ، أفرغها أنت بطلقة من البندقية . (يعطيه البندقية فيتبعه الى أعلى التل . يخرج مندوزا نظارة مكبرة يضعها على عينيه ، بينما يهرع الآخرون تجاه الطريق ويختبئون جهة الشمال) .

مندوزا : (فوق التل يراقب الموقف بالنظارة) اثنين فقط . رأسمالى ومعه سائق . يبدو أنهما انجليزيان .

دوفال : (بلهجة فرنسية) انجليز . . . وى . وى . . . خنازير . . . أضرب . . . أليس كذلك ؟

مندوزا : لا . . . المسامير قامت بالواجب . انفجرت الاطارات وتوقفا .

دوفال : (يهتف بالآخرين) اهجموا عليهما . .

مندوزا : (مهدئا اياه) بهدوء يا « دوفال » . ضع أعصابك فى ثلاجة . انهما يعالجان الموقف بهدوء . . دعنا نهبط من التل ونقبض عليهما . (يهبط مندوزا من فوق التل فيجد تانر وستريكر يرتديان ملابس السفر ، وقد جاءا اليه بصحبة أفراد الجماعة) .

تانر : هل هذا السيد هو الذى تسمونه رئيسكم ؟ هل يتكلم الانجليزية ؟

الاشتراكي الديمقراطي المشاكس : طبعا هو . . اذا كنت تظن أننا لسنا انجليز فهل تفضل أن يكون رئيسنا أسباني ؟

مندوزا : (بوقار) اسمح لى بتقديم نفسى اليك . أنا « مندوزا » . رئيس عصابة « سيرا » ! (ينحنى بوقار) أنا قاطع طريق . . أعيش على سرقة الأغنياء .

تانر : (بفورية) وأنا جنتلمان أعيش على سرقة الفقراء . نتصافح اذن .

الاشتراكي الديمقراطي الانجليزى : سمع . سمع . هس .

(ضحك ومرح بين الجميع . يتصافح تانر ومندوزا ، ويختفى باقى قطاع الطريق فى مخابئهم)

ستريكر : ما هذا ؟ • أين نحن ؟

تائر : (يقدمه لهم) صديقي وسائق سيارتي •

الاشتراكي الديمقراطي العابس : (بتوجس) حسن • حدد من هو • •
صديق أم سائق ؟ الأمر يختلف كما تعلم •

مندوزا : (موضحا) آه • نحن نأخذ فدية عن الصديق • أما السائق فهو حر في المرور بين الجبال ، بل وندفع له نسبة رمزية من فدية « الرأس » اذا شرفنا ووافق على عملنا •

ستريكر : فهمت • لتشجيعي على المرور من هذا الطريق مرة أخرى •
حسن • أعدك بالتفكير في ذلك •

دوفال : (يندفع بانفعال تجاه ستريكر) أخى • • (يحتضنه بشوق ويقبله من خديه) •

ستريكر : (بتوجس) ماذا ؟ ابعد عني ! لا تكن سخيفا • • من انت بالله ؟

دوفال : دوفال : الاشتراكي الديمقراطي •

ستريكر : اوه • • فانت اشتراكي ديمقراطي • اليس كذلك ؟

الفوضوى : يقصد أنه يتاجر في الدجل والبورجوازية فى البرلمان • •
مذهبه هو الحل الوسط •

دوفال : أنا أفهم ما يقول • • يقول بورجوازية • • حل وسط • • لا شىء من ذلك أيها البائس الأفاق !

ستريكر : اسمع ياكابتن « مندوزا » • • كم عدد أصحابك من هذا النوع من الناس ؟ هل نحن نستمتع برحلة ممتعة بين الجبال ، أم نحن جالسون فى اجتماع اشتراكي ؟

الأغلبية : سمع • سمع • هس • اجلسوا • • جلوس • • الخ (ينسحب الاشتراكيان الديمقراطيان ، والفوضوى الى مؤخرة المسرح ، بينما يقف ستريكر على يسار مندوزا وتائر على يمينه)

مندوزا : دعونا نقدم لكما شيئا • أرنب مسلولق أم تين شوكى ؟

تائر : شكرا • • تغدينا •

مندوزا : (لاتباعه) أيها السادة • • انتهى العمل اليوم • اذهبوا حيث شئتم • أجازة من الآن حتى الصباح •

(يخرج قطاع الطرق متكاسلون • بعضهم يعود الى الكهف والبعض الآخر يجلسون أو يرقدون في العراء • أما الباقون فيأخذون ورق اللعب ويخرجون الى الطريق العام بتكاسل • الليل يزحف الى الكون ، لكنهم يستطيعون اللعب على ضوء كشافات السيارات المارة بالطريق) •

ستريكر : (يخاطبهم بصوت عال) لا يعبث أحد بالسيارة •• اتسمعون ؟
مندوزا : لا تخف يا سيدي السائق •• لقد عذبتنا أول سيارة صدناها هنا •

ستريكر : (باهتمام) كيف ؟

مندوزا : انطلقت بثلاثة من زملائنا الشجعان ، فلم يعرفوا كيف يوقفونها •• فلما وصلت بهم الى « جرانادا » توقفت بهم أمام مركز الشرطة فقبضوا عليهم • منذ ذلك الحين اعتدنا ألا نلمس سيارة دون أن نستأذن السائق • هيا نشرثر على راحتنا •

تائر : وهو كذلك •

(يجلس تائر ومندوزا وستريكر أمام النار • يتنازل مندوزا عن ممارسة سلطته الرئاسية فلا يجلس على الحجر الوحيد بجوار النار ، بل يجلس مع ضيفيه على الأرض ويكتفى بالاستناد بظهره الى الحجر) •

مندوزا : مسألة تأجيل عمل اليوم الى الغد تعتبر من العادات الأسبانية الراسخة • الواقع انكما وصلتما بعد انقضاء ساعات العمل • وعلى أية حال ، اذا اردتم مناقشة مسألة الفدية الآن فانا رهن الاشارة •

تائر : أفضل مناقشتها غدا • أنا غنى وأستطيع دفع المبلغ المطلوب مهما يكن •

مندوزا : (باحترام ، وقد صدمته هذه الصراحة) انت رجل عظيم ياسيدي لأن ضيوفنا يتظاهرون دائما بالفقر المدقع •

تائر : اوه •• الفقراء البائسون لا يملكون سيارات •

مندوزا : هذا بالضبط ما نقوله لهم

تائر : عاملنا جيدا ، ولن ننكر لك هذا الجميل •

ستريكر : لن نأكل تبين شوكى أو أرنب مسلوق • لا تقل لنا انك لا تملك ما هو أفضل من ذلك •

مندوزا : لا يهم • كل قاطع طريق يظن نفسه من صفوة المجتمع ، ويرضيه وصف الآخرين بأنهم من حثالة المجتمع •

تانر : تعال • انت انسان ذكى • (يطاطىء مندوزا رأسه غرورا)
هلا أجبتنى عن سؤال سخيف ؟

مندوزا : باجابه أسخف منه •

تانر : كيف يصل الأمر برجل على مثل ذكائك أن تطعم كل هذا القطيع من الأرنب المسلوق والتين الشوكى ؟ أعرف كثيرين ليسوا على مثل مواهبك ، ولكن أقسم بأنهم أقل منك اخلاصا لمبادئهم ، ومع ذلك يأكلون الكبدة ويشربون الشمبانيا فى مطعم « سافوى » •

مندوزا : كلام فارغ • هؤلاء أخذوا نصيبهم من الأرنب المسلوق ، وأنا سأخذ دزرى فى مطعم « سافوى » • الواقع اننى سأذهب هناك قريبا ، ولكن بصفتى « جارسون » •

تانر : « جارسون » ! أنت انسان غريب •

مندوزا : (بتأمل) • أنا ، «مندوزا» رجل «سييرا» ، كنت «جارسون» •
هكذا احقق صفة المواطن العالمى • (بجدية مفاجئة) هلا حكيت لك قصة حياتى ؟

ستريكز : (باقتناع) بشرط ألا تكون قصة طويلة أيها الشقى العجوز •

تانر : (مقاطعا اياه) اسن •• انت رجعى يا «هنرى» • أنت لا تملك أى موهبة خيالية • (مخاطبا مندوزا) أما انت ، أيها الرئيس ، فتثير فضولى • لا عليك من « هنرى » • يستطيع أن يذهب وينام •

مندوزا : المرأة التى أحببتها ••

ستريكز : اوه •• قصة حب ، أليس كذلك ؟ •• • مضبوط • كنت أظن انك تريد التحدث عن نفسك •

مندوزا : نفسى ! • لقد ضيعت نفسى من أجلها ، وهذا هو سبب وجودى هنا • لا يهم • لقد خسرت العالم كله من أجلها • كانت ، وأقسم على صدق كلامى ، تمتلك أكبر رأس وأجمل شعر رأيتهما فى حياتى • كانت تتصف بالمرح والذكاء ، وتطبخ الى درجة الكمال • ولكن مزاجها المتقلب جعلها متقلبة ، متوترة ، مذبذبة ، كل يوم على حال ، وباختصار •• فى منتهى الروعة •

ستريكز : نوع من النساء يمكن عرضه فى قصة ثمنها ست شلنات •

كله الا مسألة الطبخ هذه • اسمها « ليدى جليديز بلانتاجينييه » ،
اليس كذلك ؟

مندوزا : لا يا سيدى • لم تكن بنت «ايرل» أو دوق معروف • ان الصور
التي تنتج بطريقة « الهاف تون » جعلتنى أتعرف بسهولة على ملامح
بنات النبلاء الانجليز • أستطيع القول بصراحة أننى كنت على
استعداد لبيع الكثير من الألقاب والمهور والملابس والأسماء وكل شيء
آخر مقابل الفوز بابتسامة واحدة من هذه المرأة • واذا لم تكن
علاقتهى بها قد وصلت الى هذا الحد لأصبحت قادرا على نبذها
واحتقارها منذ البداية •

تاني : لا بأس • ولكن هل تجاوزت مع حبك بها ؟

مندوزا : وهل كنت تجدنى هنا لو أنها فعلت ؟ لقد رفضت الزواج منى
لأننى يهودى •

تاني : لأسباب دينية !

مندوزا : لا • • بالعكس • فقد كانت أفكارها متحررة وجريئة • لكنها
قالت ان اليهودى يؤمن ايمانا راسخا بأن للشعب الانجليزى عادات
قدرة وسخيفة •

تاني : (بدهشة) قدرة !

مندوزا : هكذا كانت فكرتها الشاذة عن العالم ، ولا شك أنها فكرة واقعية
• • لأن الطقوس الصحية العادية التى نمارسها تجعلنا منبوذين ،
ظلمنا ، من طبقة السادة والنبلاء •

تاني : هل سمعت شيئا كهذا يا « هنرى » ؟

ستريكر : سمعت أختى تقول مثل ذلك • فقد عملت طبخة عند عائلة
يهودية منذ مدة •

مندوزا : لا أنكر ذلك ، ولا أنكر تأثيره على عقلها • كان بوسعى تبرير
تلك الطقوس بأى تبرير آخر ، لكن المرأة لا تغفر شكاً يراودها
باحتمال معاملتها بقسوة وجفاء • وهكذا راحت محاولتى سدى • •
كانت تتعلل دائما بأنها ليست لطيفة معى ، بل وكانت توصينى
بالزواج من فتاة بار لعينة ومنفرة اسمها « ربيكا لازاروس » • •
تحدثت أمامها عن الانتحار ، فقدمت الى زجاجة من سم الخنافس
لمساعدتى على الانتحار • • ألمحت اليها باحتمال ارتكابى لجريمة
قتل ، فأصببت بالهستيريا • • فاضطرت - كأي كائن حي - الى

الفرار الى أمريكا لعلها تستطيع النوم دون أن تحلم بتسلي الى الدور العلوى كى أسرق شيئا ما اذبحها به . وفى أمريكا ، أقمت فى المنطقة الغربية ، والتقيت برجل تطارده الشرطة بتهمة السطو على القطارات ، وكان هو صاحب فكرة السطو على السيارات فى جنوب أوروبا . فكرة مرغوبة لانسان يائس محطم . . أيضا عرفنى ببعض الرأسماليين من صنفك ، وقمت بانشاء دار للنشر ، كانت نتيجته هى مشروعنا الحالى هذا . بعد ذلك أصبحت رئيس العصابة . . بالضبط كما يصبح اليهودى ، بذكائه ولباقته ، هو رئيس كل عمل يلتحق به . . وأنا ، رغم كل اعتزازى ، بجنسى ، مستعد للتضحية بكل ما أملك مقابل الحصول على الجنسية الانجليزية . أنه مثل الطفل . . أحفر اسمها على جذوع الشجر . . أنقش الحروف الأولى من اسمها على المروج الخضراء . . وعندما أكون وحدى . . ارقد وابكى واقطع شعرى وأصرخ: « لويزا » .

ستريكر : (منزعجا ؟ لويزا !

مندوزا : نعم . هذا هو اسمها . . لويزا . . لويزا ستريكر .

تائر : ستريكر ! . ها ها .

ستريكر : (باحتقار) اسمع . « لويزا ستريكر » أختى . . فاهم ؟ كيف تتحدث عنها بهذه الطريقة ؟ ماذا تريدها أن تفعل من أجلك ؟

مندوزا : مفاجأة درامية ! اذن فانت « انرى » ، أخوها الحبيب .

ستريكر : اوه . . وتقول « انرى » ؟ أى حق لك فى العبث باسمى أو باسمها ؟ سأفرغ رأسك العفن هذا بدبوسين . . ستري .

مندوزا : (بهدوء) وإذا تركتك تفعل ذلك ، هل تعدنى بأن تحكى لها عنى ؟ ستتذكر حبيبها «مندوزا» . . هذا هو كل أملى .

تائر : هذا اخلاص عظيم ، يجب عليك احترامه يا (هنرى)

ستريكر : « بوحشية) جبان . جبان !

مندوزا : (يقفز واقفا) جبان ! يالك من شاب طائش . أنا سليل أسرة كلها من المقاتلين ، اختك تعلم أن صدامك معى سيكون مروعا . . بالضبط كما تصطدم عربية أطفال بسيارة كبيرة كالتى تقودها أنت . اسألها عنى وستعلم من أنا .

ستريكر : (مكابرا) انت لا تخيفنى ولن يهمنى سماعك تردد اسم

لويزا .. لويزا ، .. هكذا كالمعتوه . الآنسة « ستريكر » أفضل وأسمى من أن يفكر فيها شخص مثلك . هذا هو رأيي .
مندوزا : أقنعها بذلك ان استطعت .
ستريكر : (نائرا) هكذا ..

تافر : (ينهض ليمتصها من الشجار) هيا .. تعال يا « هنرى » . افرض انك استطعت مقاتلة الرئيس ، هل تستطيع مواجهة أفراد عصابة « سيرا » جميعا ؟ . اجلس مكانك واهدا . القبط من حقه أن يحلم بحب الملك ، ورئيس عصابة قطاع الطريق يستطيع هو الآخر أن يحلم باختك . كل هذا غرور طبقي .. عادة قديمة .

ستريكر : (خاضعا) دعه يحلم بها . ماذا يقصد بقوله أنه يتمنى أن تلتفت اليه . (بسخرية) ومع ذلك ، فمن يسمع كلامه يظن أنها كانت تلازمه كظله . (يوليه ظهره ويحاول النوم) .

مندوزا : (مخاطبا تافر) هذا هو ما حدث معها بالضبط يا سيدي . ذكاؤها يسبق أوانه فى القرن العشرين .. تعصبتها الاجتماعى وروابطها الأسرية تمتد جذورها الى العصور المظلمة فى الماضى السحيق . آه يا سيدي .. ان عبارات شيكسبير لا تزال صادقة .. معبرة تماما عن مشاكلنا العاطفية .. لقد قلت فيها الشعر .. اسمع :

لويزا .. احبك .. ان اربعين ألف آخ
لا يملكون .. بكل ما يكون لك من حب
ان يحبوك كما احبك أنا .

وهكذا .. نسيت الباقي . سمه جنونا أو خبلا ان شئت . أنا رجل قادر .. رجل قوى . كان بوسعى ، منذ عشر سنوات ، امتلاك فندق من الدرجة الأولى . لكننى قابلتها فأصبحت - كما ترى - قاطع طريق .. خارج على القانون . شيكسبير نفسه لا يستطيع الحكم بصدق على شعورى تجاه « لويزا » . دعنى اسمعك بعض أبيات الشعر التى كتبتها عنها بنفسى . ومهما كانت قيمتها الأدبية ضئيلة فهى تعبر عن شعورى بطريقة أفضل من كل ما قاله الشعراء فى الحب (يخرج من جيبه عددا من فواتير الفندق ملفوفة مع مخطوط ، ويركع على ركبتيه قريبا من النار كي يستطيع القراءة على ضوءها ، ويحرك النار بعصا كي تتوهج) .

تافر : (يضربه على كتفه بشدة) ألق هذه الأوراق فى النار أيها الرئيس

مندوزا : (بانزعاج) هه ؟

قافر : عندما تحصر تفكيرك فى تجربة واحدة بهذا الشكل فانت تضيق مستقبلك .

ستريكر : أعلم ذلك .

قافر : لا . أنت لا تعلم . ليس هناك من يقبل على ارتكاب مثل هذه الجريمة وهو يدرك جيدا ما هو مقبل عليه . كيف يتاح لك أن تجول بنظرك بين هذه الجبال الرائعة الجمال ، وتتطلع الى هذه السماء المقدسة ، وتستنشق هذا النسيم العليل .. ثم بعد كل ذلك تنطق بالفاظ لا يتفوه بها غير عرييد جاهل يسكن الدور الثانى فى « بلومزبرى » ؟

مندوزا : (يهز رأسه) منطقة « سيرا » ليست أفضل من « بلومزبرى » ، اذا استثنينا عنصر التجديد الذى طرأ عليها . أما هذه الجبال فتجعلك تحلم بالنساء .. النساء ذوات الشعر المتهدل الجميل .

قافر : باختصار .. تحلم (بلويزا) . أما أنا فالجبال لا تجعلنى أحلم بالنساء يا صديقى .. أنا انسان لا يعرف قلبه الحب .

مندوزا : لا تضيق الوقت فى الزهو بنفسك يا سيدى . هذه بلدة غريبة ترتع فيها الأحلام .

ليبارك الله حياتك يا لويزا مندوزا !

سعيد هو بعذاب الحب مع لويزا !

هذا هو الشعر الحقيقى .. من القلب .. من أعماق القلب
ألا تعتقد أنه سيؤثر فيها ؟

— (لا اجابة)

(باستسلام) نائم كالعادة . فليكن العالم كله نشاز ، وليبهنى الله الموسيقى السماوية !

أبله أنا اذ أضع قلبى على يدى (يستعد للنوم ويتمتم قائلا ..
للنوم ويتمتم قائلا) لويزا .. أحبك .. أحبك بالويزا .. لويزا ..
لويزا .. لويزا .. أنا ..

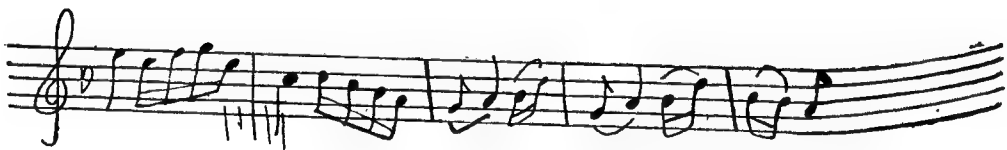
(يخيم السكون على منطقة سيرا . تخمد النار ولا يسمع شئ .
يبدو فى الظلام شبح اثنتين من آلات الكمان الموسيقية ، وتعزفان
اللحن التالى) :



ثم يبدو في الفضاء شبح رجل ، جالس على لا شيء ، يرفع رأسه
مع سماعه للموسيقى ، ثم تصدر عنه آهة يستسلم بعدها لشعوره
بالاكتئاب . أما عزف آلتى الكمان فيتسم بالحزن والايقاع البطيء ، ثم
يتخلل العزف صادر عن آلة الناي على النحو التالي :



يقترّب شبح الرجل من المسرح ، فيبدو وكأنه « دون جوان » ..
يرتدى ملابس القرن الخامس عشر أو السادس عشر .. انه « دون جوان
تينوريو » .. او « جون تانر » . تدخل الكلايونييت في العزف بالجملة
الحزينة التالية :



تأثر : حسن . سنرى . تصبح على خير (يرقد) .
(تصدر عن «مندوزا» آهة ، ثم ينام . يعم السلام منطقة «سييرا»
لعدة دقائق ، وفجأة يهب «مندوزا» جالسا ويخاطب «تانر» معتذرا)
مندوزا : أرجوك .. دعنى اسمعك بعض أبيات الشعر قبل أن تنام .
حقيقة أريد سماع رأيك فيها .

تأثر : (بتكاسل) لا بأس . اسمعى .

مندوزا : اول مرة القاك

فى اسبوع «العنصرى»

آه يالويزا .. لويزا

تأثر : (يفضىب) عزيزى الرئيس .. « لويزا » اسم لطيف جدا ، لكنه لا يتفق فى القافية مع « اسبوع العنصرى » .

مندوزا : لا يتفق طبعا .. « لويزا » ليس هو القافية ، ولكنها « لازمة »
تتكرر فى القصيدة .

تأثر : (باستسلام) لازمة .. آه .. معذرة . أكمل .

مندوزا : ربما لم يعجبك هذا الجزء من القصيدة . الجزء التالى سيعجبك .
اسمع (ببطء وتنظيم) ..

لويزا .. احبك

احبك يا لويزا

لويزا . لويزا . لويزا . احبك

اسم واحد .. جملة واحدة تعزف موسيقاى . لويزا

لويزا . لويزا . لويزا . احبك

مندوزا هو حبيبك

حبيبك هو مندوزا

مندوزا يعيش «اثما بك يا لويزا

لا شىء فى العالم سواك يملكه مندوزا

لويزا .. لويزا .. مندوزا يقدرسك

(بتأثر) لا يهم .. لن اتفنن فى انتاج سطور أدبية جميلة حول
هذا الاسم . « لويزا » اسم ساحر .. أليس كذلك ؟

يتأثر : (يأخذ النعاس . يجيبه بأهة عميقة)

مندوزا : اوه . ألسنت انت « لويزا »

زوجة « مندوزا » ؟

لويزا حبيبة مندوزا .. لويزا مندوزا

(يظهر شبح امرأة عجوز مع شبح دون جوان)

المرأة العجوز : معذرة .. أنا امرأة وحيدة ، والمكان مخيف .

دون جوان : قادم جديد ؟

المرأة العجوز : نعم • أعتقد أنني مت صباح اليوم • لقد اعترفت للقس في الكنيسة •• متعة هائلة • كنت أرقد في سريري ، يحيط بي أفراد أسرتي ، وعيناي معلقتان بالصليب • ثم أظلمت الدنيا •• وعندما عاد النور وجدت نفسى في هذا الضوء الذى أسير فيه لا أرى شيئاً • تجولت عدة ساعات فى وحدة موحشة رهيبة •

دون جوان : (يتأوه) آه •• انت لم تفقدى الاحساس بالزمن بعد ، وهو ما لا يحسه المرء فى دار الخلد •

المرأة العجوز : أين نحن ؟

دون جوان : فى جهنم •

المرأة العجوز : (بكبرياء) جهنم ! أنا فى جهنم ؟ كيف تنطق بكلمة كهذه ؟

دون جوان : (ببلادة) ولم لا يا سنيورا ؟

المرأة العجوز : أنت لا تعلم مع من تتحدث • أنا سيده •• وبنت مخلصة للكنيسة •

دون جوان : بدون شك •

المرأة العجوز : فكيف اذن اكون فى جهنم ؟ للتطهر من الآثام ؟ ربما •• صحيح لم أكن امرأة كاملة •• ومن هو الكامل ؟ •• لكن ، فى جهنم !! اوه انت كاذب •

دون جوان : أؤكد لك يا سنيورا •• جهنم •• جهنم فى أحسن أحوالها : العزلة المطلقة ، رغم انك قد تفضلين الحياة وسط الناس •

المرأة العجوز : لكننى تبت توبة نصوحاً •• اعترفت ••

دون جوان : بكم خطيئة ؟

المرأة العجوز : بأكثر مما ارتكبت فعلاً من آثام •• كنت أحب الاعتراف

دون جوان : آه هذا هو أسوأ ما فى الموضوع • بالضبط كالايعتراف بأقل عدد ممكن من الخطايا • على أية حال ، سواء ارتكبت تلك الخطايا عن قصد أو عن طريق السهو والخطأ ، فلا شك أن اللعنة قد حلت بك يا سنيورا مثلى بالضبط •• صحيح أن هذا أمر لا يد لك فيه • لكنك مطالبة الآن بالاستفادة من وجودك هنا قدر الامكان •

المرأة العجوز : (باحتقار) اوه • ربما كنت أكثر ضللاً من ذلك ! وربما تكون أعمالى البارة قد ضاعت هى الأخرى •• هذا ظلم •

دون جوان : لا .. فقد خوفوك من هذه الألفاظ بطريقة واضحة وحاسمة .
فأما بالنسبة لسيئاتك ، فقد كفرت عنها ، ولكن توبتك لم تكن
مخلصة ، وأما حسناتك فكانت بارة ولكن بدون اخلاص .. على
كل حال ، معنا هنا اناس طيبون كثيرون

المرأة العجوز : هل كنت رجلا طيبا ؟

دون جوان : بل كنت قاتلا .

المرأة العجوز : قاتل ! .. اوه . كيف يبعثون بى لمرافقة القتلة ؟ أنا لم
أكن امرأة سيئة الى هذا الحد ! كنت امرأة طيبة . هناك بعض
الأخطاء ، هذا صحيح ، ولكن أين أستطيع تصحيحها ؟

دون جوان : لا أعلم هل يمكن تصحيح الأخطاء هنا أم لا . وسبب ذلك
أن الناس هنا قد لا يعترفون بارتكاب خطأ واحد ، حتى ولو كانوا
قد ارتكبوه فعلا .

المرأة العجوز : اذن ، من أسأل ؟

دون جوان : أسأل لك الشيطان يا سنيورا ، لأنه يفهم أساليب هذا
المكان ، واعتقد أنها أساليب تفوق قدرتى على فهم كل ما استطعت
استيعابه فى حياتى الدنيا .

المرأة العجوز : الشيطان .. أنا أكلم الشيطان ؟

دون جوان : الشيطان ، يا سنيورا ، هو قائد أفضل المجتمعات هنا ..
فى جهنم .

المرأة العجوز : أيها الشقى .. يقينى اننى لست فى جهنم .

دون جوان : كيف عرفت ؟

المرأة العجوز : لم أشعر بأى ألم .

دون جوان : اوه .. اذن لم يحدث أى خطأ .. لقد وقعت عليك اللعنة
وانتهى الأمر .

المرأة العجوز : لماذا تقول ذلك ؟

دون جوان : لأن جهنم هى مكان الأشرار يا سنيورا . فيها يجد الأشرار
راحتهم .. ولأجلهم وجدت . تقولين انك لا تشعرين بأى ألم ..
صحيح .. لكن هذا معناه انك واحدة من الذين خلقت من أجلهم
جهنم .

المرأة العجوز : وانت .. ألا تشعر بأى ألم ؟

دون جوان : أنا لست من الأشرار يا سنيورا . ولذلك فهى توافق مزاجى .. تناسبنى فوق الوصف .. فوق كل ما يمكن تصديقه .

المرأة العجوز : لست من الأشرار ! .. لقد قلت انك قاتل .

دون جوان : مجرد مبارزة .. أغمدت سيفى فى قلب رجل عجوز كان يريد قتلى بسيفه .

المرأة العجوز : لو كنت جنتلمان ، فلن تعتبر قضيتك جريمة قتل .

دون جوان : العجوز سماها جريمة قتل ، لأنه - كما قال - كان يدافع عن شرف ابنته .. لكننى كنت غيبيا عندها وقعت فى جبهها وصارحتها بذلك .. الغريب فى الموضوع أنها صرخت ، ولذلك أمطرني بسيل من اللعنات ، ثم حاول ذبحى .

المرأة العجوز : كنت كغيرك من الرجال .. كلكم فاجرون وقتله .. كلكم .. كلكم ..

دون جوان : صحيح .. ولذلك نجتمع هنا يا سيدتى العزيزة !

المرأة العجوز : اسمع .. الذى قتل أبى شرير مثلك ، وفى مبارزة كما حدث معك ، ولنفس هذا السبب الذى تحكى عنه .. أنا أيضا صرخب كان يجب أن أفعل ذلك .. هجم أبى عليه لأنه حاول الاعتداء على .. كان شرفة يفرض عليه ذلك .. وسقط فكان هذا هو جزاء غيرته على عرضه . والآن أنا هنا .. فى جهنم كما تقول .. وهذا هو جزاء احساسى بالواجب . هل هناك عدل فى السماء ؟

دون جوان : لا .. لكن العدل موجود فى جهنم .. السماء أبعد كثيرا كثيرا من أن تصل اليها مثل هذه المفاهيم البشرية . مرحبا بك فى جهنم يا سنيورا . جهنم هى موطن الشرف والواجب والعدل ، وغيرها من الفضائل السبع المدمرة .. تلك الفضائل التى ترتكب كل الرذائل على وجه الأرض باسمها .. فأين تجنى هذه الفضائل ثمارها الا فى جهنم ؟ آه .. هل أخوتك بأن أسعد الناس فى جهنم هم اولئك الذين حلت عليهم اللعنة فى حياتهم الدنيا !

المرأة العجوز : وهل أنت سعيد هنا :

دون جوان : (يقفز واقفا) لا .. وهذا هو اللغز الذى أبحث عنه فى هذا

الظلام . لماذا أجد نفسي هنا ؟ أنا الذى تنكرت لكل واجب ،
ووطئت قدمائى كل شرف ، وسخرت من كل قيمة حقيقية !

المرأة العجوز : اوه . . ماذا يهمنى من مناقشة سبب وجودك هنا ؟ الذى
يعنينى هو : لماذا أنا هنا ؟ أنا التى ضحيت بكل اغراءات الشهوات
النسائية والمكانة الاجتماعية .

دون جوان : الصبر يا سيدتى . . ستكونين سعيدة جدا ومطمئنة جدا هنا
. . وكما يقول الشاعر : « جهنم فى السماء هى مدينة » سفيل
« على الأرض » .

المرأة العجوز : سعيدة ! هنا ؟ حيث أكون لا شئ . . شخصية مجهولة ؟
دون جوان : مطلقا . . انت سيدة . . وحيث توجد السيدات توجد
جهنم . لا تدهشى ولا تفزعى . ستجدين هنا كل ما تتمناه المرأة ،
بما فى ذلك الشياطين الذين سيسهرون على راحتك ويسعدون
بشرف العبودية لك ، ويعظمون من قدرك ولا هم لهم الا استخفافك
بما يؤدون لك من خدمات . .

المرأة العجوز : خادى من الشياطين !

دون جوان : وهل صادفت خدما لم يكونوا شياطين فعلا ؟

المرأة العجوز : أبدا . . كانوا شياطين . . شياطين مائة فى المائة . .
كلهم . . كلهم . ولكن هذا كله كلام فى كلام . هل تقصد فعلا
ان خدما هنا سيكونون شياطين حقيقيين ؟

دون جوان : شياطين مائة فى المائة كما انك امرأة مائة فى المائة . لا يوجد
هنا شئ حقيقى . . وهذا هو الجانب المروع فى الحرمان من
رحمة الله .

المرأة العجوز : اوه . هذا جنون . . أسوأ من النار والدود .

دون جوان : قد تصافين هنا بعض العزاء . مثلا . . كم كان عمرك عندما
تحولت من حالة الزمن الزائل الى واقع الخلود ؟

المرأة العجوز : لا تسلىنى كم كان عمري كما لو كنت قادمة من أعماق
الماضى السحيق . عمري الآن سبعة وسبعون عاما .

دون جوان : هى سن النضج يا سنيورا . . لكن كبر السن شئ غير
مرغوب فى جهنم ، لأنه شئ واقعى محدد . نحن هنا نقدس الحب
والجمال ، واذا كانت اللعنة قد طمست أرواحنا فنحن نربى قلوبنا

عل الحب والجمال • المؤسف انك ، فى جهنم ، لن تتاح لك فرصة
الشهرة كسيدة فى السابعة والسبعين من عمرها كما كنت فى
الدنيا •

المرأة العجوز : اذن ، كيف ادبر مسألة سننى أيها الرجل ؟

دون جوان : لقد نسيت انك تركت سنك هناك فى حيز الزمن • انت هنا
فى سن السابعة والسبعين من عمرك ، لا تزيد من كثيرا عن حالك
عندما كنت فى السابعة أو السابعة عشرة أو السابعة والعشرين •

المرأة العجوز : كلام فارغ !

دون جوان : بهدوء يا سنيورا • ألم يحدث ذلك عندما كنت تعيشين
فى الأرض ؟ عندما كنت فى السبعين من عمرك ، هل شعرت بانك
— رغم تجعدات وجهك وشعرك الرمادى — قد كبرت فعلا وانك
قد تجاوزت سن الثلاثين ؟

المرأة : العجوز : لا • بل أصغر •• فى سن الثلاثين كنت طائشة •
ولكن ما فائدة أن يشعر الانسان بأنه صغير بينما يبدو للآخرين
وكانه أكبر من سنه ؟

دون جوان : هكذا تلاحظين ، يا سنيورا ، ان المظهر كان مجرد وهم •
ان تجعدات وجهك تكذب •• بالضبط كما تكذب فتاة غبية ، غائرة
الوجنتين • كثية الروح ، سقيمة الأفكار ، وفى سن السابعة عشرة
من عمرها ، ومع ذلك ترفض أن تصرح بسنها الحقيقى ! •• حسن
•• هنا نحن بدون أجسام •• لكننا نرى بعضنا البعض وكأننا
أجساد ، لمجرد اننا تعودنا التفكير فى بعضنا البعض تحت تأثير
تلك الصورة التى كنا عليها ونحن أحياء • لكننا — هنا أيضا —
نستطيع الظهور أمام بعضنا البعض فى أى سن نختارها ••
تستطيعين طلب الظهور فى أى سن من أطوار حياتك السابقة
فتعودين إليها فى الحال •

المرأة العجوز : مستحيل !

دون جوان : جربى !

المرأة العجوز : سن السابعة عشرة •

دون جوان : لحظة من فضلك • قبل أن تختارى أود أن أخبرك بأن هذه
الأشياء مسألة شكلية بحتة • فمن قبيل الصدفة أن نندفع الى
اختيار سن السابعة عشرة •• رغم أنها مرحلة لا تستمر كثيرا ••

أما في حالتنا هذه ، فالسن المناسبة هي الأربعون أو ربما السابعة والثلاثون . لكن لا تنسى التغيرات الطارئة على الملامح .
فاذا كنت جميلة الملامح عندما كنت في السابعة والعشرين فأنا اقترح لك تجربة هذه السن .

المرأة العجوز : أنا لا أصدق كلمة واحدة مما تقول . على أية حال لا بأس نجرب السابعة والعشرين .

(أضواء باهرة .. تتحول المرأة العجوز الى آنسة في سن الشباب ، يكاد المرء يظن خطأ أنها هي آن وتيفيلد) .

دون جوان : الآنسة « أنا ديولا » ؟

آنا : ماذا ! .. تعرفنى ؟

دون جوان : هل نسيت من أنا ؟

آنا : لا أستطيع تمييز ملامحك (يخلع قبعته) .. « دون جوان تينوريو الطاغية .. أنت الذى ذبح أبى ! .. تطاردنى ، حتى فى جهنم ؟
دون جوان : أنا أرفض .. أنا لا أطاردك .. معذرة ، سأنسحب من هنا .
(يذهب)

آنا : (تمسك بذراعه) لن تتركنى وحدى فى هذا المكان الموحش .

دون جوان : بشرط ألا يفسر وجودى بأنه مطاردة .

آنا : (تترك ذراعه) كيف أحتمل وجودك معى .. آه يا أبى الحبيب .

دون جوان : أتحيين رؤيته ؟

آنا : هنا ؟ .. أبى ؟

دون جوان : لا .. بل فى الجنة .

آنا : فهمت .. أبى نبيل .. عظيم . انه فى عليائه يتطلع إلينا .. كيف يكون شعوره عندما يرى ابنته فى هذا المكان .. ومع من ! مع قاتله ؟

دون جوان : على فكرة .. اذا استطعنا مقابلته ...

آنا : كيف نستطيع مقابلته ؟ فى الجنة ؟

دون جوان : لا .. لكنه يتنازل ويزورنا هنا أحيانا .. يقرف من الجنة ..

ولذلك احذرى - ان قابلته - أن تصفينى أمامه بأننى قاتله ..

اذا فعلت ذلك فيكون اتهاما وادانة خطيرة ضده .. لماذا ؟ لأنه يعتقد

أنه كان مبارزا أفضل منى كثيرا ، وأنه كان سيقتلنى لولا أن قدمه

انزلت .. هو صادق في ظنه هذا .. أنا لم أكن مبارز جيد ..
ناقشت معه هذه النقطة وبعدها توطدت صداقتنا .

آنا : المقاتل لا يعيبه أن يفخر بمواهبه القتالية .

دون جوان : يبدو أنك لن تستطيعي مقابله !

آنا : كيف تقول ذلك ؟

دون جوان : اوه .. لكن هذا هو الشعور الملائم هنا . لعلك تذكرين أننا عندما كنا في الحياة الدنيا ، كانت مشاعرنا عند وفاة أحد - حتى ولو كان من أصدقائنا المقربين - مفعمة بشعور خاص بالرضا ، كما لو كنا قد ساهمنا في التعجيل بوفاته .. لكن للأسف لم يجرؤ أحد على الجهر بهذا الاحساس .

آنا : أيها الطاغية .. لم يحدث هذا أبدا .. أبدا .

دون جوان : سأذكرك الآن بهذا الاحساس .. آه .. جنازات الأموات .. خصوصا الأقارب .. كانت عبسارة عن مهرجان كبير ، ولكن بملابس الحداد . أما هنا ، فلا وجود للروابط الأسرية . أبوك تعود على ذلك .. ربما أيضا لا يظهر تجاهك أى عاطفه كعادته السابقة معك .

آنا : انت شرير .. لقد ارتديت الحداد عليه طول حياتي .

دون جوان : صحيح . هذا شيء يخصك انت .. لكن الحداد في الدنيا شيء ، والخلود شيء آخر . الى جانب ذلك فانت هنا ميتة مثله تماما .. فهل هناك شيء يثير الضحك أكثر من شخص ميت يرتدى الحداد على شخص آخر ميت مثله ؟ .. لا تصدمك هذه الحقائق يا عزيزتي « آنا » .. ولا تنزعجي .. جهنم مليئة بالجدل - اذا كان فيها شيء يستحق الجدل .. لكن الجدل حول الموت والزمن والتغير يسقط هنا لأننا كلنا أموات وخالدون .. ستفهمين كل ذلك قريبا .

آنا : واسمع هنا من يناديني : حبيبتي « آنا » ؟

دون جوان : لا .. كانت زلة لسان .. معذرة .

آنا : (برقة) « جوان » .. هل كنت تحبني حقا ؟

دون جوان : (بضيق) اوه .. أرجوك .. لا تبدأى بالكلام عن الحب .. هنا لا هم لهم الا الكلام عن الحب . جمال الحب وقداسته وروحانيته وآثامه .. معذرة .. الكلام عنه يصيبني بالقرف .. انهم لا يفهمون

ما يتحدثون عنه .. اما أنا فأفهمه جيدا انهم يعتقدون انهم قد وصلوا الى الحب المطلق ، لانهم أرواح بلا أجساد .. تخريف خيالى رهيب - اوف .

آنا : ألم تفلح جهنم كلها فى تطهير روحك يا « جوان » ؟ ألم تستطع مشكلتك مع أبى .. تلك التى تجسدت أمامك كالتمثال ، فى أن تعلمك درسا تحترم به نفسك ؟

دون جوان : ياله من تمثال مضلل مخادع .. هل جاء هنا وهو محتفظ بعادته القديمة .. يدعو السفهاء الى مائدته لا لشيء الا لينزلق بهم الى هذه الهوة السحيقة ؟

آنا : اوه .. لقد كلفنى نفقات باهظة .. الأولاد فى مدرسة الدير لم يتركوه لحاله أبدا .. كسروه العفارية .. أما الطيبون فقد اكتفوا بكتابة أسمائهم عليه .. كسروا أنفه ثلاث مرات وحطموا أصابعه مئات المرات .. كل ذلك فى سنتين .. وفى النهاية تركته يلقي مصيره . أما الآن فأخشى أن يكونوا قد شوهوه تماما .. مسكين أبى .

دون جوان : اسمعى ! .. (يسمع صوت خافت) .. ها .. صوت تمثال « موزار » .. صوت أبوك .. اختفى حتى يتهاى لمقابلتك (تختفى آنا)

(يدخل تمثال من الرخام الأبيض لرجل عجوز ، مفتول الشارب ، صوته كصوت « روبيك ريمسدن ») .

دون جوان : آه .. ها انت يا صديقى . لماذا لم تتعلم الغناء بتلك الموسيقى الشجية التى كتبها « موزار » من أجلك ؟

التمثال : لأنه لسوء الحظ كتبها لصوت من طبقة « الباس » . وصوتى من طبقة « كاوانترنور » .. لا بأس . هل أعلنت التوبة ؟

دون جوان : « دون جوان جونزالو » ! .. أفضالك على كثرة .. ولذلك يستحيل أن أتوب . ولو فرضنا أننى تبت فعلا .. فأى عذر تتعلل به كى تهبط من الجنة لمقابلتى هنا !

التمثال : صحيح . انت عنيد يا ولدى . ليتنى قتلتك ولو بحكم الصدفة .. عندئذ كنت أحضر أنا اليك هنا .. فى جهنم ، ويقام التمثال لك أنت وتكتسب شهرة بالتقوى تكسب بها مالا وفيرا .. أليدك أخبار ؟

دون جوان : نعم .. ابنتك ماتت .

التمثال : (باوتباك) بنتى ؟! .. (يتذكر) البنت التى قتلت أنا من أجلها .. آه .. دعنى أراها .. هل تتذكر اسمها ؟

دون جوان : « آنا »

التمثال : بالضبط . « آنا » . بنت جميلة على ما أذكر . هل تذكر اسم زوجها ؟

دون جوان : صديقى « اوتافيو » ؟ لا . لم أره منذ وصلت « آنا » .
(تدخل آنا)

آنا : ما معنى هذا ؟ « اوتافيو » وصديقك هنا ؟ وانت يا أبى . هل نسيت اسمى ؟ لقد تحولت فعلا الى تمثال .

التمثال : عزيزتى .. ان سعادتى بهيئتى الرخامية هذه تفوق رضائى عن جسدى الآدمى الذى كنت أعيش به بينكم ، لدرجة اننى طلبت استعادة الهيئة التى جسدتنى النحات عليها .. كان من أشهر الناس فى زمانه . انت تعرفين ذلك ، هه ؟

آنا : غرور .. انت مغرور فى نفسك يا أبى !

التمثال : آه .. لقد تجاوزت مرحلة هذه الصغائر يا ابنتى .. عمرك الآن حوالى ثمانين سنة .. أما أنا فقد رحلت عن الدنيا وأنا فى الرابعة والستين من عمري .. أى أننى الآن أصغر منك سنا ، بالإضافة الى ذلك فان أصدقائنا الآثمون يقولون ان هذا هو المكان الذى تسقط فيه أفنعة الحكمة الأبوية .. والآن لا تعاملينى كأب ولكن كزميل .. مخلوق مثلك .

آنا : انت تتكلم مثل هذا الشرير بالضبط .

التمثال : بالعكس .. « جوان » تفكيره عميق يا « آنا » .. صحيح أنه مبارز فاشل ، لكنه مفكر عميق .

آنا : (بانزعاج) الآن بدأت أفهم . هذان الشيطانان يسخران منى .. ليس أمامى غير الصلاة .

التمثال : (يحاول تهدئتها) لا . لا . لا يا طفلى . لا تصلى أرجوك ، لأنك اذا فعلت فسوف تضعين الميزة الأساسية التى يتمتع بها هذا المكان . على بوابة هذا المكان تقرئيه هذه الكلمات : « أيها الداخلون .. اتركوا الآمال من خلفكم » . فكرى .. أى خلاص تجددين فى

هذه الكلمات ! لماذا نحلم بالأمل ؟ انه أحد ملامح المسئولية الأخلاقية . هنا لا أمل ، وفي النهاية لا واجب ولا عمل ولا شيء يجنيه المرء من وراء الصلاة ، لأنك لن تخسر شيئا اذا فعلت كل ما تريد . . . المجيم - باختصار - هو المكان الوحيد الذي لا تحرمين نفسك فيه من أى شيء . . . ليس أمامك الا أن تمتعى نفسك (دون جوان يتأوه بعمق) لماذا تتأوه يا صديقي « جوان » ؟ لو أنك أقمت فى الجنة - كما أفعل أنا - فسوف تدرك أى نعمة تعيش فيها هنا .

دون جوان : معنوياتك عالية اليوم يا سيدى القائد . . . فيك عبقرية . ماذا حدث ؟

التمثال : لقد توصلت الى قرار حاسم يا ولدى . أولا . . . أين صديقك الشيطان ؟ أريد استشارته فى الموضوع . أنا تريد التعرف عليه ، أليس كذلك ؟

آنا : أنت تعذبني .

دون جوان : هذا تخريف يا « آنا » . هدئى من روعك ، وتذكرى ان الشيطان ليس أسود اللون كما يصوره الفنانون فى لوحاتهم .

التمثال : دعونى أنادى عليه .

« يشير التمثال بيده ، فتسمع موسيقى موزار . ترى هالة ضوئية لونها قرمزى ، يخرج منها الشيطان ، وهو قريب الشبه جدا من « ميفيستو فيليس » . وهو شخص منفر الشكل والسلوك ، لكنه ذكى لبق الحديث »

الشيطان : (برقة) هل أتشرف مرة ثانية بزيارة قائد « كالاترافا » الشهير ؟ . . . (ببرود) فى خدمتك يا « دون جوان » . (بأدب) وسيدة غريبة ؟ . . . احتراماتى يا سنيورا .

آنا : هل انت . . .

الشيطان : (يتحنن) ابليس فى خدمتك .

آنا : أكاد أجن !

الشيطان : (بلطف) آه . . . لا تنزعجى يا سنيورا . لقد حضرت الينا من الأرض وكلك أوهام ومخاوف زرعها فى نفسك ذلك المكان الذى يمتطيه القس . قالوا لك اننى ملعون . لكن صديقى ، أصدقائى الأحباء موجودون هناك .

آنا : نعم .. تسكن فى قلوبهم .

الشیطان : (يهز رأسه) انت تخجلين تواضعى يا سنيورا ، لكنك مخطئة .. صحيح أن الحياة الدنيا لا يمكن أن تستمر الا بفضل جهودى أنا ، لكنها لا تعترف لى بهذا الجميل .. تكرهنى من قلبها ، لأن كل عواطفها معلقة بالبؤس والفقر وحرمان الجسد والقلب معا . أما أنا فأتعاطف مع المرح .. مع الحب .. مع السعادة .. مع الجمال ..

دون جوان : (باشمئزاز) معذرة . اسمحوا لى بالانصراف . هذا فوق ما أطيق .

الشیطان : (بغضب) صحيح .. أعرف أنا لا أستحق صداقتك .

التمثال : أى ازعاج سببه لك يا « جوان » ؟ كان يقول كلاما رائعا عندما قاطعته .

الشیطان : (يربت على يد التمثال بحرارة) شكرا يا صديقى . شكرا . انت تفهمنى دائما . أما هو فيحتقرنى وينفر منى دائما .

دون جوان : لقد عاملتك بكل احترام .

الشیطان : احترام ! ما هو الاحترام ؟ الاحترام المجرد لا يساوى عندي شيئا . أعطنى قلبا محبا .. اخلاص حقيقى .. علاقة قوامها الحب والمتعة ..

دون جوان : انت تثير اشمئزازى .

الشیطان : هكذا (يخاطب التمثال) سمعت يا سيدى ؟ أوه ! .. أى صداقة مشؤمة بعثت بهذا الأنانى المغرور الى مملكتى ، وأرسلت بك أنت الى تلك الأماكن الباردة فى الجنة !

التمثال : ليتنى استطعت الشكوى . كنت منافقا .. خدمنى نفاقى فأرسلنى الى الجنة .

الشیطان : لماذا لا تنضم الينا يا سيدى وتهجر ذلك العالم الذى لا يوافق مزاجك ؟ ان قلبك عطوف جدا وقدراتك على الامتاع سخية .

التمثال : هذا هو ما قررته اليوم . غدا سأكون رهن اشارتك يا « ابن الصباح » . لقد غادرت الجنة الى الأبد .

الشیطان : (يربت على يد التمثال مرة أخرى) آه .. ياله من شرق - ياله من انتصار لقضيتى . شكرا . شكرا . أخيرا أستطيع أن أخاطبك

قائلا « يا صديقي العزيز » .. هلا استطعت اقناعه بأن يشغل مكانك الشاعر في الجنة ؟

التمثال : (يهز رأسه) بصراحة .. لا أتمنى لأحد من أصدقائي أن يذهب الى مكان معتم ومزعج كذلك الذي كنت فيه ..

الشیطان : لا طبعاً . لكن هل انت متأكد أنه مزعج ومعتم ؟ . صحيح انك أحسن من يستطيع الحكم على ذلك ، لأنك أنت الذي أحضرت « دون جوان » الى هنا ، وكانت آمالنا فيه كبيرة . كان أحسن أصدقائنا يطمنون الى مشاعره . هل تذكر كيف كان يغني عندهما جاء هنا ؟

(یعنی بالطريقة الفرنسية) :

تحيا المرأة ..

تحيا السعادة ..

التمثال : (يكمل الأغنية بصوت « كاوترتنور ») .

كل آمالي ..

ازدهار البشرية .

الشیطان : بالضبط .. حسن .. لن يغني بعد الآن .

دون جوان : هل يضايقك ذلك ؟ جهنم مليئة بعشاق الموسيقى . الموسيقى هي خمر الملحنين . ألا يسمح لأحد الأرواح الشقية هنا بالعودة الى الغناء ؟

الشیطان : أنسب فن الفنون ؟

دون جوان : (بازدراء) تتحدث كما لو كنت امرأة مجنونة تتملق موسيقيا

الشیطان : لن أغضب . لكنني ببساطه أشفق عليك . انت عديم الروح .. لا تعرف قيمة ما تفقده من مزايا : والآن .. انت موسيقي بالوراثة يا سيدى القائد . كم هو جميل غناؤك ! لو كان «موزار» هنا لأعجب بغنائك . لكنه صيأ .. ذهب الى الجنة . غريب أمر هؤلاء النابغين .. اولئك الذين تظن أنهم ولدوا ليتبوأوا مكانهم هنا ، ثم تفاجأ بتحولهم الى نوع من الفشل الاجتماعي ، وهذا هو ما يفعله « دون جوان » .

دون جوان : يؤسفني حقا أن أكون نوعا من الفشل الاجتماعي

الشیطان : انت تعرف أننا لا نكره نبوغك . لكنني أناقش الموضوع من

وجهه نظرك أنت • أنت لا تنسجم معنا • المكان لا يناسبك
لن أقول انك فظ القلب ، فانا أعلم انك تملك قلبا دافئا رغم ماتبيده
من سخريه لاذعة بعواطف الآخرين و •

دون جوان : (بانفعال) لا تكمل • أرجوك لا تكمل

الشیطان : (بارتباك) حسن • انت لا تملك القدرة على التذوق •
هل يرضيك ذلك ؟

دون جوان : انه نوع من المتعة لا يقل عن غيره تعذيبا • أرجوك دعنى ،
كمادتى ، وحدى •

الشیطان : ولماذا لا تعتزل فى الجنة ؟ هناك مكانك المناسب • (يخاطب
آنا) تعالى يا سنيورا • ألا تستطيعى اقناعه ، ولمصلحته الخاصة ،
بتغيير رأيه ؟

آنا : وهل يستطيع الذهاب الى الجنة لو أراد ؟

الشیطان : وما المانع ؟

آنا : هل يستطيع أى انسان • • • يستطيع • • • أنا مثلا • • • الذهاب الى الجنة .
لو أردت ؟

الشیطان : (بازدياء) طبعاً • • • اذا وجدت راحتك هناك •

آنا : اذن • • • لماذا لا يذهب الجميع الى الجنة ؟

التمثال : (يقهقهه بضحكة عالية) أقول لك يا عزيزتى • • •

الشیطان : ان سيادة القائد يصوغ القضية فى تعبيرات عسكرية بحتة ،
لكن أسلوب الحياة فى الجنة لا يطاق • هناك فكرة تقول أننى طردت
من الجنة • • • لكن الواقع أننى لم أجد ما يغرينى على البقاء فيها •
المسألة ، ببساطة ، أننى هجرتها وأسسست مكانى هذا •

التمثال : أنا لا يدهشنى رأيك هذا • ليس هناك من يحتمل الخلود فى
الجنة •

الشیطان : اوه • • • لكنها تناسب بعض الناس • لنكن منصفين يا سيادة
القائد • المسألة مسألة مزاج • وأنا لا يعجبنى مزاج الجنة • •
لا أفهمه • • • أنا بالذات لم أحاول ان أفهمه • غير أنها تتصف بكل
ما يجعلها كوناً كاملاً قائماً بذاته • • • هناك ، لا تجد أى اهتمام

بأذواق الناس ، ورغم ذلك تجد بعض الناس يحبونها . أنا أعتقد
أن « دون جوان » ربما وجد سعادته هناك .

دون جوان : لكن . . معذرة لصراحتي . هل تستطيع العودة إليها حيثما
تريد ؟ أم هل أصبح العنب مرا ؟

الشیطان : أعود إليها ! أنا دائماً أذهب الى هناك . ألم تقرأ كتاب أيوب
أم هل لديك أى سلطة قانونية تدعى بها وجود أى عائق حقيقى بين
مكاننا هذا وبين المكان الآخر

آنا : لكن هناك بالتأكيد هوة سحيقة تفصل بينهما .

الشیطان : سيدتى العزيزة . . يجب ألا تفهموا تلك الحكاية الرمزية عن
الجنة والنار حسب مدلولها الحرفى . الهوة الموجودة هى الفرق
بين كل من المزاج الملائكى والمزاج الشیطانى . . وبإلها من هوة
سحيقة ! فكرى فى كل ما رأيته على وجه الأرض . ليس هناك أى
هوة فعلية بين قاعة المحاضرات التى يلقى فيها الفيلسوف دروسه .
وبين حلبة مصارعة الثيران . . أجل ، ليست هناك أية أسباب فعلية
تمنع هوة مصارعة الثيران من الذهاب الى قاعة المحاضرات . هل
زرت تلك الدولة التى كان لى فيها أتباع كثيرون ؟ . . انجلترا . .
هناك ، يعقدون مناقشات عظيمة . . وهناك أيضاً قاعات عظيمة
للأوركسترا التى يعزفون فيها الألحان الكلاسيكية التى كتبها «موزار»
صديق سيدى القائد . . الذين يترددون على حلبات مصارعة الثيران
يستطيعون الابتعاد عنها والذهاب لسماع الموسيقى الكلاسيكية اذا
أرادوا . ليس هناك قانون يمنعهم من ذلك . . والسبب أن الانجليز
يرفضون العبودية . . انهم أحرار . . يفعلون كل شئ ، ولكن
بشرط ألا يخالف تعاليم الحكومة وأن يتفق مع اتجاهات الرأى
العام . ولذلك يعتبرون قاعات الموسيقى الكلاسيكية هى المكان
الأكثر رفعة وثقافة وشاعرية وعلماً ونبلاً من حلبة مصارعة
الثيران . ولكن هل لهذا السبب وحده يهجر عشاق السباق
رياضتهم المفضلة ويحتشدون أمام أبواب قاعات الموسيقى ؟ لا . .
بالعكس . . انهم يحتملون كل ما يغايب سيادة القائد من ازعاج
فى الجنة فى سبيل استمتاعهم بمشاهدة الثيران فى حلبة المصارعة
. . هنا تجددين الهوة السحيقة بين المكانين فى هذه الحكاية
الرمزية : انهم يستطيعون عبور هذه الهوة الواقعية المجردة
أو - على الأقل - أستطيع أنا عبورها من أجلهم . (والأرض مليئة
بجسور الشيطان) . أما الهوة التى تخلفها الكراهية فهى هوة

أبدية ، لا يمكن عبورها ، وهى الهوة الوحيدة التى تفصل بين
أصدقائى هنا واولئك الذين يسمونهم الأبرار .

آنا : سأذهب الى الجنة ، وفورا .

التمثال : كلمة واحدة يا ابنتى . دعينى أكمل التشبيه الذى يسوقه
صديقى ابليس عن الكونشرتو الكلاسيكية . قد تجددين أمام قاعات
الموسيقى فى انجلترا طوابير طويلة من الناس المعذبين يصطفون أمام
أبوابها ، لا لأنهم يحبون الموسيقى الكلاسيكية فعلا ، ولكن لأنهم
يعتقدون أن الواجب يفرض عليهم حبها . حسن . نفس الشيء
يحدث فى الجنة . ان عددا من الناس يجلسون هناك ، فى النعيم
. ليس لأنهم فعلا سعداء ، ولكن لأنهم يعتقدون أن مكانتهم فى
فى الجنة تفرض عليهم الجلوس هناك فى النعيم ، وكلهم انجليز
تقريبا .

الشیطان : تمام . ان أهالى جنوب انجلترا يتركون الجنة ويلتحقون بى
هنا . بالضبط كما فعلتم أنتم . لكن الانجليز شعب لا يعرف
متى يكون شقيا أو سعيدا . الانجليزى لا يصدق أنه انسان على خلق
الا اذا كان قلقا معذبا .

التمثال : باختصار . اذا ذهبت يا ابنتى الى الجنة دون أن تكونى مؤهلة
بطبيعتك للاقامة هناك ، فلن تجدى سعادتك فيها .

آنا : من يجرؤ على القول بأننى غير مؤهلة بطبيعتى للاقامة فى الجنة ؟
ان امراء الكنيسة الكبار لم يطلبوا اجابة على هذا السؤال من أحد .
ما يجب أن أفعله هو أن أترك هذا المكان ، وفورا .

الشیطان : (يشعر بالمهانة) كما ت دندن يا سنيورا . كنت أظن أن
ذوقك أحسن من ذلك .

آنا : أبى ! تعال معى أرجوك . يجب ألا تبقى هنا . ماذا يقول الناس
عنك ؟

التمثال : الناس ! ماذا تقولين !! . ان أفضل الناس موجودون هنا .
امراء الكنيسة وغيرهم من سادة القوم . الأقلية هم الذين يذهبون
الى الجنة . أما الأغلبية فهم هنا . لدرجة أن أهل الايمان والحكمة
. الذين كنا نسميهم أهل الجنة ، يتناقصون دائما ، ومن ثم
يصبحون أقلية هناك . الذين كانوا بالأمس قديسين وقساوسة
وشماسين هم الذين أصبحوا اليوم متطرفين . حثالة .
لا منتمون لأى شيء .

الشیطان : هذا صحيح : لقد أيقنت ، منذ بداية المشوار ، أنني يجب أن أحقق ، وعلى المدى الطويل ، مكانة لها وزنها في الرأي العام . وذلك رغم الحملات المستمرة من التضليل والتشويه ، والتي استهدفت الحط من قدرى . ان الكون - فى أعماقه - تركيبة تنظيمية ، ولا أستطيع - بهذه الأغلبية التى اكتسبتها لصفى - أن أكون خارج الصورة كما تقولون .

دون جوان : « آنا » .. أفضل لك أن تبقى هنا .

آنا : (بغیظ) لأنك لا تريدنى أن أذهب معك .

دون جوان : طبعاً .. لأنك لا يشرفك دخول الجنة مع فاسق مثل

آنا : كل الأرواح متساوية فى السمو .. وانت قد ندمت وتبت ، أليس كذلك ؟

دون جوان : أنت سخيفة فعلاً يا عزيزتى « آنا » .. أتظنين أن الجنة مثل الحياة الدنيا ، حيث يقنع الناس أنفسهم بأن ما يرتكبون من آثام يمكن أن تمحى بالتوبة والندم ؟ .. وبأن ما يصدر عنهم من أقوال يمكن أن تمحى لمجرد انكارهم اياها ؟ .. وبأن كل ما هو حقيقى وصادق يمكن سحقه بمجرد الاتفاق العام على اعتباره كذبا ؟ .. لا يا عزيزتى الجنة هى منزل سادة الحقيقة وسندتها ، ولهذا السبب أذهب أنا إليها .

آنا : شكراً لك . أنا ذاهبة الى الجنة لما فيها من نعيم مقيم . يكفينى ما عانيت من الحقيقة فى الحياة الدنيا .

دون جوان : اذن ابقى هنا ، لأن جهنم هى موطن اللاحقة والباحثين عن النعيم المقيم .. انها المهرب الوحيد من الجنة التى هى ، كما قلت لك ، موطن سادة الحقيقة وسندتها ، وهى الملاذ من الحياة الدنيا التى هى منزل عبيد الحقيقة . ان الدنيا هى دار الحقيقة التى يتقمص فيها الرجال والنساء أدوار الأبطال والبطلات .. القديسين والخاطئين .. لكن أجسادهم الترابية هى التى تنتزعهم من جنتهم الموهومة .. أجسادهم التى تتجارب مع الجوع والبرد والعطش والهزم والوهن والمرض ، وفوق كل ذلك .. الموت . كل ذلك يجعلهم عبيدا للحقيقة . ثلاث مرات فى اليوم يأكلون ثلاث وجبات ويهضمونها .. ثلاث مرات فى القرن الواحد يولد جيل جديد .. عصور من الايمان والعلم والخيال كلها لقنت أن تؤدى صلاة واحدة تقول : « اللهم اجعلنى حيواناً حقيقياً » .. أما هنا - فى جهنم -

فانت تهربين من طغيان الجسد ، لأنك هنا لست حيوانا .. بل
شبح .. ظل .. وهم .. طيف .. خالدة .. ابدية ، وباختصار
.. لا جسدية .. هنا لا وجود للمشاكل الاجتماعية .. لا مشاكل
سياسية .. لا مشاكل دينية ، وأفضل من كل ذلك ، لا مشاكل
صحية .. هنا تختارين ملامحك .. جمالك .. عواطفك .. حبك
.. التفوق الغريزي .. فضيلة الالهام ، بالضبط كما كنت تفعلين
على وجه الأرض .. وهنا أيضا ، لن تعترضك الحقائق المرة ..
لا تناقض بين احتياجاتك وآمالك .. لا كوميديا انسانية .. لا شيء
من ذلك ، بل خيال دائم .. ميلودراما كونية .. العالم الذى وصفه
صديقنا الألماني فى قصيدته قائلا : « ان السفاسف الشاعرية تصبح
هنا هى الاحساس الملائم ، والمجاعة الأبدية هى وحدها التى تسمى
بنا وترقى » ، ودون أن نخطو خطوة واحدة فى السعى إليها ..
ومع كل ذلك تريدان مغادرة هذا الفردوس ؟

آنا : لكن .. اذا كانت جهنم بكل هذا الجمال الذى تصفه لى .. فإى
روعة تكون فى الجنة !

(يتناقش الشيطان والتمثال ودون جوان معا ، ويستخدم النقاش
ثم يتوقفون وقد انتابهم شعور بالأحباط)

دون جوان : آسف ..

الشيطان : العفو .. أنا الذى قاطعتك ..

التمثال : تريد أن تقول شيئا ..

دون جوان : بعد أن تتكلموا أنتم أيها السادة ..

الشيطان : (يخاطب دون جوان) كنت بليغا فى التحدث عن مزايا ملكوتى ،
لدرجة أننى أترك لك اصدار الأحكام العادلة على أولئك الذين
يرتدون عن ملكوتى ويهربون الى المكان الآخر

دون جوان : أتصور ، يا سيديتى ، أنك عندما تذهبين الى الجنة فانك
تعيشين وتعملين ، دون أن تلعبى أو تستمتعى بشيء .. تواجهين
الأشياء كما هى .. تهربين من لا شيء الا من الكآبة .. تنحصر
كل عظمتك فى الثبات والخوف الرعديد .. واذا كانت المسرحية هنا
لا تزال معروضة كما هى على وجه الأرض ، واذا كان الكون كله قد
أصبح مسرحا ، فأقل ما يقال عن الجنة أنها موجودة وراء خلفية
المسرح .. الجنة لا يمكن وصفها بالاستعارات اللفظية .. سأذهب الى
هناك حالا لأننى أريد أن أهرب من الكذب والملل والمطاردة الوحشية
وراء السعادة وأن أقضى الدهور الباقية من عمرى فى التأمل ..

التمثال : أوف !

دون جوان : سيدى القائد ! ان ذوقك الفاسد لا يزعجنى ، كما أن معرض الصور يعتبر مكانا موحشا بالنسبة للانسان الأعمى . حتى اذا كنت تسلى نفسك بتأمل ذلك السراب الرومانسى الذى تسميه الجمال والسعادة ، فاننى أستمتع بالتأمل فى كل ما يعينى أنا قبل غيره من لأشياء ، ألا وهو الحياة . القوة التى تناضل دائما كى تبذل أكبر جهد ممكن لتأمل ذاتها . ترى . ما الذى أوجد هذا العقل الذى فى رأسى ؟ ليست هى الحاجة الى تحريك أعضاء جسمى ، لأن الفار الذى لا يملك نصف ما أملك من العقل يستطيع هو الآخر تحريك أعضاء جسمه . أيضا ليست هى مجرد الحاجة الى أداء عمل ما ، ولكنها الحاجة الى الوعى بما أفعل . حتى لا استعبد نفسى فى خضم الجهود التى أبذلها من أجل الحياة .

التمثال : لقد كدت أن تقتل نفسك فى الجهود الطائشة التى بذلتها فى المبارزة ، لولا أن قدمى انزلقت من تحتى يا صديقى .

دون جوان : هذه بذاءة فاضحة منك . ان ضحكك هذا سينتهى بك الى العذاب الأليم قبل أن يشرق صباح الغد .

التمثال : ها ها ! . أنسيت كيف أخفكتك عندما قلت لى كلاما كهذا فى مقرى بمدينة « سيفيل » ؟ ان كلامك يبدو سطوحيا لأنك تقوله بدون مزمارى الذى كنت أعزف عليه .

دون جوان : بل يقولون انه سيكون سطوحيا سخيلا اذا صاحبه الحانك الموسيقية يا سيادة القائد .

آنا : اوه . لا تمنع فى التفاهات يا أبى . ألا يوجد فى الجنة غير التأمل يا « جوان » ؟

دون جوان : عندما أكون فى الجنة ، لا أهتم بأى متعة أخرى غير البحث عن عمل أدم به الحياة فى كفاحها من أجل التقدم والازدهار . فكروا فى الطريقة التى تضيع بها الحياة نفسها وتشتت جهودها الذاتية . كيف تضع لنفسها العراقيل فى الطريق . كيف تدمر نفسها بجهلها وغباؤها ؟ انها تحتاج الى العقل . تلك الطاقة الفذة والا فانها تحطم نفسها بجهلها . يقول الشاعر : أى مخلوق عظيم هو الانسان ! صحيح . ولكن ، أى اثم هو هذا الانسان أيضا ! هنا تتحقق المعجزة الكبرى فى هذا التنظيم الذى لم تبلغه الحياة بعد . ان الانسان هو أقوى الكائنات الحية التى لا تزال على ظهر الأرض . أكثرهم جميعا وعيا . ولكن ، كم هى مدمرة تلك

الأفكار التي يحشو بها رأسه ! . ان الحقائق التي تعلمها من خلال المعاناة والفقر قد حولته الى مخلوق غبي . . خسيس . . متحجر القلب . ان شعلة الابداع فيه تكاد تنطفئ من فرط معاناتها في مواجهة هذه الحقائق ، ومن ثم راح خياله يخلق الاوهام التي يستتر من ورائها وأطلق عليها مسميات غريبة . . يسميها ذكاء . . عبقرية . وكلا الطرفين : الحقائق وقدرة الابداع يتهم أحدهما الآخر بأنه هو نقطة الضعف في حياة الانسان . نعم . الغباء ينهم الخيال بالحماقة ، والخيال يتهم الغباء بالجهل . والواقع أن الغباء ، للأسف الشديد ، يستحوذ على المعرفة كلها . . بينما يستأثر الخيال بالذكاء لنفسه .

الشیطان : والعجيب أنهما يعلنان مشكلة المواجهة بينهما وكأنها وعاء مملوءا بسمك الزينة . ألم أخبركم أنني عندما كنت مشغولا بقضية « فاوست » ، لاحظت أن كل ما أبداه عقل الانسان من جهد في حل قضيته لم يتجاوز تصويرها بأنها قضية أكثر وحشية من كل الوحوش ؟ ان جسدا فاتنا واحدا لهو أفضل من مائة من عقول الفلاسفة المتشائمين ذوى الأمخاخ الفارغة .

دون جوان : لقد نسيت يا عزيزي أن الانسان قد جرب استخدام القوة القاشمة للجسد ، وهي تسمى أعظم كثيرا كثيرا من الانسان ذاته . لكن العقل ظل موجودا بعض الوقت في رأسه ، ثم ضاع منها . ان « البهضم » . . تلك البهيمة المنقرضة ، وسمكة « الاكسبور » المنقرضة أيضا ، هما اللتان مهدتا سطح الكرة الأرضية بسبع خطوات كبيرة ، ثم ظللتا النهار بأجنحتيهما السحابية الشاسعة ، فكان الليل . . أين هما الآن ؟ حفريات قليلة مبعثرة في المتاحف ، مع أن فقرة واحدة من عظامهما تعتبر أغلى قيمة من حياة ألف جندي من أبناء الانسان . هذه الأشياء كانت تعيش على الأرض ، وتريد أن تستمر في الحياة والتكاثر ، ولكن لأنها كانت عديمة العقل ، فانها لم تعرف كيف تحقق ذاتها . . تؤكد وجودها ، ولذلك دمرت نفسها بالفناء .

الشیطان : وهل تدمير الانسان لنفسه بما يدعيه من عقل وأفكار يعتبر أقل غباء مما ارتكبه بهيمة البهضم وسمكة الاكسبور ؟ ألم تتجول على سطح الأرض هذه الأيام ؟ أنا فعلت . . تأملت الاختراعات المدهشة التي ابتكرها الانسان أخيرا . وأقول لكم ان الانسان لم يخترع شيئا لخدمة فن الحياة . . أما في فنون الموت فقد تفوق على القوى المدمرة للطبيعة ذاتها . انه يستخدم الكيمياء والمكيئة وكل مذابح الطاعون والأوبئة والمجاعة . . المزارع الأجير الذي

أغريته باتباعي ، لا يزال كما هو . . يأكل ويشرب ما كان يأكله ويشربه الفلاحون منذ عشرة آلاف سنة . . البيت الذي يسكن فيه لم يتغير عما كان عليه منذ ألف قرن . . لم يتغير بنفس السرعة التي تتغير بها موديلات قبعات النساء في عشرة أسابيع فقط . لكنه عندما يندفع ليقتل أخاه الإنسان ، فإنه يتسلح بالمنتجات الآلية المدهشة التي تطلق - بمجرد لمسة بسيطة من اصبع يده - كل ما تخزنه من طاقات الزئبق . . وأما الرمح والقوس والسهم ، التي كان آباؤه يستخدمونها ، فقد تركها من ورائه . أما في فنون السلام ، فالإنسان لا زال يحب . لقد رأيت مصانع القطن ، وغيرها من المصانع ، بما فيها من آلات بدائية يستطيع الكلب الجائع اختراعها ، فقط لو أنه سعى في طلب النقود ولم يكتف بالسعى وراء الطعام وحسب . اننى أعرف الآلات الكاتبة الرتيبة ، والمحركات الناعسة ، والدراجات الكسيحة . . كلها تعتبر لعب أطفال بالنسبة للبندقية ماركة « مكسيم » والقواصة وزورق الطوربيد . . انك لا تجد فى التطور الصناعى للإنسان أى شيء ، اللهم الا الجشع والرعونة . . قلبه معلق بما يحمله من سلاح . ان هذه الطاقة الحية ، التي يتفاخرون بها ، هي فى الواقع طاقة مميته مدمرة .

مقياس القوة عند الإنسان هي القدرة على التدمير . ما هو الدين ؟ جريمة تستهدف كراهيتى . ما هو القانون ؟ سلاح يستهدف منه اعداى ؟ ما هي الأخلاق ؟ ما هي الطبقة الارستقراطية ؟ تبرير للاستهلاك بدون انتاج . ما هو الفن ؟ تبرير لحملقة الناس فى صور الجلادين . ما هي السياسة ؟ اما ان تكون تقديس الطاغية لأنه يستطيع الفتك بالناس ، واما أن تكون هي الحياة النيابية التي لا تزيد عن صراع الديوك . منذ فترة قصيرة ، قضيت ليلة فى احدى الهيئات التشريعية المعروفة ، فسمعت الابريق يستجوب براد الشاى حول الأسباب التي جعلت جداره الخارجى أسودا ، ورأيت الوزراء عاكفين على اجابة هذه الأسئلة . وعندما غادرت المكان ، رأيت المرضى العجوز عند الباب يقول : « لا تطرحوا أسئلة كثيرة كى لا تسمعو المزيـد من الأكاذيب » . . اشتريت مجلة بست بنسات ، فادهشنى أنها مليئة بصور لشباب يقتلون بعضهم البعض بالرصاص والخناجر . . ورأيت رجلا يسقط قتيلًا . . كان عاملا بمصنع لصناعة البلاط فى لندن ، وله سبعة أطفال . مات ، وترك لهم سبعة عشر جنيتها ، أنفقتها زوجته كلها على جنازته . وفى اليوم التالى اصططحت أولادها وذهبوا جميعا للعمل فى المصنع . لم يكن بمقدورها أن تتفق ولو سبعة بنسات على أولادها فى المدارس .

كان خيالهم يرتجف ، وطاقاتهم تتحفز لمجرد تذكرهم لفكرة الموت . . أما الآن فهم يحبون الموت ، وكلما ازداد رهبة وتدميرا كلما ازداد اعجابهم به . جهنم بالنسبة لهم مكان أرفع كثيرا من أن تدركه قدراتهم المحدودة . انهم يقتبسون فكرتهم عنها من اثنين من أكبر الأغبياء الذين عاشوا على وجه الأرض : أحدهما ايطالى ، والثانى انجليزى . فأما الايطالى فقد صور جهنم على أنها مكان الوحل والصقيع والقذارة والنار والافاعي السامة وكل صور العذاب الرهيب . ان هذا الجحش ، وقبل أن يلقي الى الناس باكاذيبه هذه ، كان يطارد كل امرأة يصادفها فى الطريق . وأما الانجليزى فقد وصفها بأنها مطرودة من الجنة بالحديد والنار . وحتى يومنا هذا لا يزال الانسان البريطانى يصدق أن كل هذه القصة السخيفة قد وردت فى الانجيل . لا أذكر ما قاله بعد ذلك ، لأن أقواله وردت فى قصيدة طويلة لم أستطع أنا أو غيرى من الناس فهمها . . متشابهة فى كل شيء . . ان التراجيديا هى أرفع ضروب الانتاج الأدبى . انها المسرحية التى يقتل فيها الجميع بعضهم البعض فى النهاية . . تقرأون فى التواريخ القديم عن الزلازل والأوبئة ، ثم يقولون لكم بأن هذه الظواهر تفسر ضلالة الانسان أمام قوة الله وجلاله . أما فى هذه الأيام ، فان القصص التاريخية تعرض للمعارك الحربية . وفى المعركة يصوب حشدين من بنى الانسان نحو صدور أحدهما الآخر سواء بالرصاص أو بالقنابل المتفجرة الى أن تتناثر أشلاء أحد الجيشين . ثم يقوم الجيش المنتصر بمطاردة الأسرى وتقطيع رقابهم من فوق ظهور الخيل ، وبعد ذلك يقولون ان هذه الصور البشعة تصور عظمة الامبراطوريات الظافرة وضلالة الدولة المهزومة فى الحرب . وبعد المعركة يهرع الناس الى الشوارع ، يهتفون فرحا ويحفزون حكوماتهم على انفاق مئات الملايين من الجنيهات على وسائل القتل . . فى الوقت الذى لا يستطيع فيه أقوى الوزراء انفاق قرش واحد زيادة على مكافحة الفقر والمرض اللذين يعيشون فى ظلهما دائما . اننى أستطيع عرض آلاف الأمثلة عليكم ، وكلها تصل بنا الى نتيجة واحدة هى أن القوة التى تحكم الأرض ليست هى قوة الحياة ولكنها قوة الموت ، وبأن الضرورة الذاتية التى أتاحت للحياة هذا الجهد الذى استطاعت به الحياة تطوير نفسها الى أن ظهر الكائن الحى . . الانسان . . ليست هى الحاجة الى نوع من الحياة المراقية ، ولكنها الحاجة الى المزيد من وسائل التدمير . ان الطاعون والمجاعة والزلازل والعواصف لم يرتبط حدوثها على الأرض بعامل الصدفة أو غيره . . كما أن النمر والتمساح يبلغان

من بشاعة المنظر حدا كبيرا ، ومع ذلك فهما ليسا على درجة كبيرة من الوحشية . . . لكن الحاجة كانت تدعم الى شيء أكثر ثباتا . . . أكثر هدوءا ! . . . أكثر غباء في التدمير . . . فكان هذا الشيء المدمر هو الانسان : مخترع وسائل التعذيب والخازوق والمشانق والكرسى الكهربائي والسيوف والبندقية والغازات السامة . . . وقبل كل ذلك ، اخترع العدالة والواجب والوطنية وكل الأشياء التي تنتهى بحرفين: . . . ياء . . . وتاء مربوطة . حتى هذه الأشياء ، اذا اقتنع بها أحدهم من الأذكياء وأراد أن يكون انسانا حقا ، فانه يصبح سهل الانقياد ، والاقتناع بأنه يمكن أن يصبح أكثر الناس تدميرا . . . بل ويدمر المدمرين .

دون جوان : اوف . . . كل هذا كلام قديم ومعاد . نقطة الضعف فيك ، يا صديقي الشيطان ، هي أنك دائما أرعن . . . توافق كل انسان على مزاجه . . . لا ينافقه شيء قدر ما تنافقه أراؤك فيه . يجب أن يفكر فى نفسه على أنه شجاع وسىء فى نفس الوقت . . . والواقع انه لا هو شجاع ولا هو سىء ، انما هو - ببساطة - جبان . . . سمه طاغية . . . قاتل . . . قرصان . . . مغرور . عندئذ يقدسك . . . بل ويفخر بأن دماء قراصنة البحر الأقدمين تجرى فى عروقه . سمه كاذبا وكصا ، وسيرفع ضدك قضية سب وقذف . سمه جبانا ، وعندئذ يغضب ويزمجر . . . يواجه الموت لتكذيب هذه الحقيقة التي التصقت به . ان الانسان يبرر كل تصرفاته ، باستثناء تصرف واحد . . . يبرر جرائمه كلها فيما عدا واحدة . . . يبرر كل شيء يلتمس به سلامته فيما عدا واحدا . . . هذا الشيء الواحد هو الجبن . ومع كل ذلك فكل حضارته قائمة على جبنه هذا . . . الاستثناس الذليل الذى يسميه الاحترام . ان هناك حدودا يقف عندها مفهومنا عن البغل والحمار . . . بيد أن الانسان يعذب نفسه لكي يحط من قدر نفسه ، الى أن تصبح شروره مرهقة للطغاة فيضطرون الى اصلاحها بالطغيان .

الشيطان : باختصار : هذه هي المخلوقات التي ترى فيها ما تدعى أنه قوة الحياة .

دون جوان : أجل . . . لأنك ستواجه الآن أكبر العناصر اثارة فى الموضوع .

التمثال : ما هو ؟

دون جوان : أقصد . . . أنك تستطيع تحويل أى جبان من هؤلاء الى شجاع جسور ، فقط لو أنك زرعت فى رأسه فكرة ما .

التمثال : أوف ٠٠ اننى - كمحارب قديم - أعتمد الجبن ٠ انه شئ عالى ، بالضبط كدوار البحر ، ومع ذلك فهو قليل الأهمية ٠ أما ملء رأس الانسان بفكرة ما فهو كلام فارغ ٠ اذا كنت فى معركة فان كل ما تحتاجه كى تحارب بشجاعة هو قليل من الدم الحار فى عروقك والاعتقاد بأن الحسارة أخطر كثيرا من المكسب ٠

دون جوان : ربما يكون هذا هو السبب فى عدم جدوى المعارك ٠ غير أن الرجال لا يتغلبون على الخوف حتى يظنوا أنهم انما يقاتلون من أجل هدف عالى ٠ يقاتلون انتصارا للمبدأ كما يقولون ٠ لماذا كان الجندى فى الحملات الصليبية أكثر شجاعة من القرصان ؟ لأنه لم يكن يقاتل بدافع من ذاته هو ، ولكن من أجل الصليب ٠ كان مدفوعا بقوة شجاعة جسوره ، الى أن التقى - فى ميدان الحرب - بقوة لا تقل عنه عنادا وصمودا ٠ انها قوة أولئك الرجال الذين حاربوا - لا من أجل مصالحهم الذاتية - ولكن انتصارا للإسلام ٠ لقد أخذوا منا أسبانيا ، رغم اننا كنا نقاتل دفاعا عن أملاكنا وبيوتنا ٠ ولكننا عندما حاربنا انتصارا لهذه الفكرة القوية ، وتحت راية الكنيسة الكاثوليكية ، فقد استطعنا دحرهم عن بلادنا وردداهم الى أفريقيا مرة أخرى ٠

الشیطان : (بسخرية) ماذا ؟ ٠ اذن فانت كاثوليكي يا سنيور « دون جوان » ! ٠ متعصب ٠ هه ؟ تمنياتى الحارة لك ٠

التمثال : (بجدية) تعال ٠ تعال ٠ اننى كجندي شجاع لن أسمع أبدا بسماع أى رأى يهاجم الكنيسة ٠

دون جوان : لا تخف يا سيدى القائد ٠ ان هذه الفكرة عن الكنيسة الكاثوليكية سوف تخلد مع الاسلام ، وتخلد مع الصليب ٠ بل وتخلد مع ذلك الالحاد الشرس الذى يصدر عن التصرفات الصبانية لأولئك التلاميذ فى مدارس السحل والقتل ، والذين تسمونهم : « الجيش » ٠

التمثال : « جوان » ٠ يبدو أنك ستضطرنى أن أبارزك ردا على أقوالك هذه ٠

دون جوان : لا تتعب نفسك ٠ لن أبارزك ٠ ان كل فكرة تصل بالانسان الى الموت لابد أن تكون فكرة كاثوليكية ٠ وعندما أدرك الأسباني - بعد فوات الاوان - انه ليس أفضل من العربى ، وأن نبيه ليس أفضل من محمد ، فقد استطاع أن يربى نفسه على أسلوب كاثوليكي أفضل من ذى قبل ، بل وأن يموت جوعا وهو فوق أحد المتاريس

فى أحد الاحياء الفقيرة القدرة .. انتصارا للحرية والعدالة فى
العالم أجمع .

التمثال : تخريف !

دون : جوان : ان ما تسميه « تخريف » هو الشئ الوحيد الذى يستشهد
الرجال من أجله . بعد ذلك ، وعندما لا تصبح الحرية واحدا من
المبادئ الكاثوليكية ، فان الرجال يستشهدون دفاعا عن كمال
الانسان ، الذى يضحون من أجله بحريتهم عن طيب خاطر .

الشیطان : أى .. لأنهم لن يكونوا بحاجة الى اختلاق الأعذار التى يبررون
بها قتل بعضهم البعض .

دون جوان : وماذا فى ذلك ؟ ليس المهم هو الموت ، ولكن الخوف من
الموت . ان ما يحط من قدرنا ليس هو القتل والموت ، ولكنه تلك
الحياة الوضيعة والقبول بما تصادف من تحقير لحياتنا . ان عشرة
رجال أموات ، أفضل كثيرا من عبد واحد أو امرأة واحدة على قيد
الحياة ، لأن الرجال الأموات سوف يحرضون الأب ضد الابن ،
والأخ ضد لأخ ، ويقتلون بعضهم البعض دفاعا عن المبدأ الكاثوليكي
العظيم الذى يحض على مكافحة العبودية .

الشیطان : صحيح . ولكن عندما تؤدى الحرية والمساواة ، التى تثرثر
بهما ، الى أن يصبح سعر المسيحيين البيض الأحرار فى السوق
أرخص من سعر الرقيق الاسود الذين كانوا يباعون بالمزاد العلنى
وبالجملة .

دون جوان : لا تخف من ذلك . العامل الأبيض سىأخذ دوره هو الآخر .
لكننى الآن لا أدافع عن الشكليات الزائفة التى تنادى بها المبادئ
العظيمة . اننى أسوق اليك بعض الأمثلة التى تقول بأن هذا
المخلوق .. الانسان .. الذى تجعل منه رغباته الأنانية مخلوقا
جبانا حتى النخاع .. هذا الانسان سيدافع — يوما ما — عن مبدئه
دفاع الأبطال . قد يكون خاضعا ذليلا اذا كان مواطنا عاديا . أما
اذا أصبح متعصبا فسيكون خطيرا .. انه لن يستعبد الا اذا بلغ
من الضعف الروحى حدا يجعله لا يستمع لصوت العقل . اسمعوا
يا سادة . اذا استطعتم أن تجعلوا الانسان يرى ولو جزءا ضئيلا
من الآمال التى يرجو من الله تحقيقها ، فسوف تجعلون هذا الانسان
عاجزا تماما عن فهم أهدافه الذاتية .

آنا : فعلا .. يتهرب من كل مسئولياته ، ويلقى بها على كاهل زوجته .

التمثال : أحضنت يا ابنتى .. لا تسمحى له بتوريطك فى الكلام بما
لا تودين النطق به

الشيطان : يا للأسف ! .. سيدى القائد .. أما وقد دخلنا الآن فى
مناقشة موضوع المرأة ، فسوف يتكلم أكثر من ذى قبل . على أية
حال ، الكلام فى هذا الموضوع حبيب الى نفسى .

دون جوان : ستيورا .. ان واجبات الرجل ومسئوليته ازاء المرأة تبدأ
وتنتهى عند مهمة توفير الخبز للأطفال ، ولذلك يصبح الرجل ، فى
رأبها ، مجرد وسيلة تسعى الى غاية محددة هى انجاب الأطفال
وتربيتهم

آنا : أهذا هو رأيك فى عقل
ومقرزة .

دون جوان : معذرة يا آنا .. أنا لا أقصد عقل المرأة من جميع الجوانب ،
بل أتكلم عن رأبها فى الرجل كجنس مختلف عنها ، وهى وجهة
نظر لا تزيد سخرية عن رأى المرأة فى نفسها كام . ان المرأة - من
الناحية الجنسية - هى الأداة التى تستخدمها الطبيعة لتحقيق
أسمى أهدافها . والرجل - من الناحية الجنسية أيضا - هو الأداة
التي تستخدمها المرأة لتنفيذ أهداف الطبيعة ، وبطريقة اقتصادية
جدا . انها تعلم أنها - فى عملية النشوء المبكرة جدا - هى التى
اخترعته ، وأدخلت عليه بعض التغيرات ، وخلقت له ، لكى ينتج
شيئا أفضل مما يستطيع الجنس الواحد انتاجه . وأثناء قيام الرجل
بتحقيق الهدف الذى وجد من أجله ، فانه يضحى باحلامه وحماقات
ومثله العليا وبطولاته ، بشرط أن تكون الركيزة الأولى لها جميعا
هى عبادته للمرأة والأمومة والأسرة والعشيرة . لكن .. يا لها من
حماقة مقهورة وخطيرة أن يظهر الى الوجود مخلوق واحد مفرد تقتصر
مهمته الوحيدة على تعبئة بطن المرأة بالأطفال ! أتعرفين ماذا حدث ؟
فى الأول تكاثر الانسان ، وازدادت اعداده على يديها حتى أصبح
عدد الرجال والنساء متساويا . عندئذ اقتضت الطاقة التى
تستخدمها المرأة فى تحقيق مهامها الطبيعية على جزء ضئيل جدا
من الطاقة الهائلة التى تنازلت عنها للرجل عندما تحملت عنه الأعباء
المضنية لعمليتى الحمل والولادة .. هذه الطاقة الهائلة ذهبت الى
عقل الرجل وعضلاته ، فأصبح - من الناحية الجسدية - قويا جدا
بحيث أصبحت هى عاجزة عن السيطرة عليه . أيضا أصبح جامع
الخيال ، نشيط العقل ، لا يقنع بمجرد عملية التكاثر الذاتى لجنسه

البشرى ، ومن ثم ابتكر الحضارة ، دون أن يستشير المرأة ، بل
واستخدامها في أعماله المنزلية لا أكثر ولا أقل .

آنا : صحيح .. صحيح .

الشیطان : نعم .. وهذه ال .. الحضارة .. ما هى حكايتها ؟

دون جوان : الحضارة ، بعد كل شيء ، هى الاسفين الذى تستطيع أنت
ان تثبت فيه كل الأعيك الشيطانية . لكن الحضارة كانت ، وقبل
كل شيء ، محاولة قام بها الرجل كى يجعل من نفسه شيئا أكبر من
مجرد وسيلة لتحقيق أهداف المرأة . وبمرور الوقت ، لم تقتصر
الجهود الدائبة للحياة على مجرد المحافظة على نفسها وحسب ، بل
أنها تمخضت عن اقامة تنظيم أكثر سموا ، وعن وعى كامل بالذات
ومن ثم تمخضت هذه الجهود عن صراع حضارى بين قوى الحياة
ناحية وبين قوى الموت والغناء من الناحية الأخرى . ولقد كسبت
الحياة معظم جولات هذا الصراع ، الذى لا تزيد معاركة عن كونها
مجرد أنام .. بالضبط كما يحدث فى المعارك الحربية الحقيقية ،
وبصرف النظر عن جميع القادة ، ورغم أنهم .

التمثال : هذا الاسفين موجه لى أنا . ما علينا .. أكمل . أكمل .

دون جوان : بل هو خازوق فيمن هم أكبر منك بكثير يا سيادة القائد .
لكنك لا تنكر أن الجنرال الغبى لا يستطيع الانتصار فى الحرب
الا اذا كان قائد لأعداد أكثر منه غباء .

التمثال : (بجدية) بالضبط يا « جوان » .. بالضبط . الحظ يخدم
الحمير أحيانا .

دون جوان : اذن نستطيع القول بأن قوة الحياة كانت دائما غبية ، ولكن
ليس بغباء قوى الموت والغناء .. بالعكس ، كانت هاتان القوتان
دائما تحت سيطرة قوة الحياة . وهكذا كسبت الحياة الجولة فى
النهاية . ان ما نملكه من رغبة جامحة الى حب البقاء ليتضاءل أمام
الفحولة الغامرة التى نستطيع انتاجها . ان خلود أحد أشكال
الحضارة يستطيع انتاج أفضل أنواع المدافع ، وعندئذ تتأكد الحاجة
الى توفير القناصين المهرة .

الشیطان : بالضبط .. الخلود ، ولكن ليس خلود أفضل وسائل الحياة
فعالية ، بل أفضل وسائل الموت فاعلية . انت دائما تعود الى رأى

الذى قلت أنا به ، رغم محاولتك للتهرب والمراوغة والسفسطة
وهذه الخطبة الطويلة المملة التى تعذبنا بها .

دون جوان : أوه .. تعالى هنا ! أين الذى بدأ القاء الخطبة الطويلة ؟
على أية حال .. اذا كنت قد تفوقت عليك فى الذكاء فبوسعك
ان تتركنا وتذهب الى حيث الحب والجمال وغير ذلك من مشاغلك
المفضلة :

الشیطان : (يشعر بالاهانة) « دون جوان » .. غير معقول ! .. اننى
أركب نفس الطائفة العبقريّة التى تركبها أنت . تلك مسألة
لا يفهمها غيرى . أستطيع مناقشتك بصراحة ، بل وأستطيع تفنيد
آرائك .. دعنا نتناقش لمدة ساعة أخرى اذا أردت .

دون جوان : لا مانع .. هيا

التمثال : بشرط ألا تصل بالمناقشة الى موقف محدد يا «جوان» . ومادمنا
فى هذا المكان ، حيث لا وسيلة لقتل الوقت ، فلننتقل الخلود ..
هيا .

دون جوان : (نافذ الصبر) موقفى أنا ، أيها العجوز ذو الرأس الرخامية ،
يعتبر خطوة ايجابية فى اتجاهك أنت . هل نتفق على أن الحياة هى
الطاقة التى انتجت ذلك العدد الذى لا يحصى من التجارب التى
تهدف الى تأصيلها ؟ هل نتفقون معى على أن ذلك
الفيل الضخم الذى انقراض من سطح الأرض ، والانسان والفأر
والبهضم والذباب والبراغيث وقساوسة الكنيسة - كلهم نجحوا
فى تحويل تلك الطاقة الخام الى ايجاد أفراد أرقى وأرقى ، بحيث
أصبح الفرد الأمثل هو ذلك : المطلق القدرة .. المطلق العلم ..
الشديد العناد .. المطلق الكمال .. المطلق العلم - الحكيم ..
الذى يقدر نفسه حق تقدير . وباختصار ، الاله ؟

الشیطان : اوافقك ، لمجرد الرغبة فى الجدل .

التمثال : وأنا أوافق ، ولكن لتجنب الخوض معك فى الجدل .

آنا : أما أنا ، فبكل تأكيد لا أوافق .. خصوصا من أجل قساوسة
الكنيسة .. من فضلكم لا تدخلوهم فى المناقشة .

دون جوان : « آنا » .. لقد قلت ذلك من أجل الجناس اللفظى فقط ،
ولذلك لن أشير اليهم مرة أخرى . والآن ، وبعد هذا الاستثناء الذى
تبدین ، ألا تتفقين معى فى أن الحياة لم تنجح فى محاولتها الوصول

الى الألوهية من خلال الجمال والكمال الجسدى ؟ سبب ذلك أن الطيور - كما فى هاتين الحالتين وكما قال صديقنا « ارستوفان » منذ زمن طويل ، يتفوقون على الانسان جدا جدا بقدرتها على الطيران وبجمال ريشها .. وأنا أضيف الى ما قاله « ارستوفان » بأنها تتفوق على الانسان بالشاعرية الطاغية فى علاقاتها العاطفية وأوكارها الجميلة . هنا يتعذر على المرء أن يفهم كيف تستطيع الحياة - التى تستخدم وسيلتى الجمال والحب فى انتاج مخلوقاتها - أن تعاود الانتاج من جديد فتنج القيل الضخم والقرد القبيح الشكل : ذلك الذى نعتبر نحن أحفاده ؟

آنا : « ارستوفان » كان وثنيا .. وأخشى أن تكون أكثر منه كفرا يا « جوان » .

الشیطان : هل تريدین القول بأن الحياة تتجه الى الضخامة والقبح ؟

دون جوان : لا .. أيها الشيطان اللعين .. وألف مرة لا .. بل اتجهت الحياة الى انتاج العقول .. أعظم ماسعت اليه من أهداف .. ذلك العضو الذى لا نحقق به الوعى بالذات فحسب ، بل وفهم الذات أيضا .

التمثال : هذه ميتافيزيقا يا « جوان » . لماذا يريد الشيطان (يخاطب الشيطان) معذرة أيها الشيطان .

الشیطان : لا تقل هذا يا رجل . اننى أسعد دائما بذكر اسمى ، لأن ذلك يعتبر احتراما وتقديرا كبيرا لشخصى .. فى خدمتك أيها القائد .

التمثال : شكرا .. هذا لطف منك . اننى لا أستطيع التخلص من أسلوبى العسكرى فى الكلام ، حتى عندما أكون فى الجنة . ما اردت سؤالك عنه يا « جوان » هو : لماذا ترهق الحياة نفسها بالحصول على العقل ؟ . لماذا تريد أن تفهم نفسها ؟ لماذا لا تقنع بالسعادة نفسها وحسب ؟

دون جوان : لأنه بدون العقل ، تستطيع - يا سيادة القائد - أن تسعد نفسك ، ولكن دون أن تدرك انك فعلا سعيد ، ومن ثم تفقد كل احساس بالسعادة .

التمثال : مضبوط .. مضبوط جدا . أنا أقبل بالعقل ، ولكن لمجرد الاحساس باننى أريد أن أسعد نفسى . لا أريد أن أفهم لماذا ..

الواقع اننى لا اميل الى محاولة فهم الاسباب • تجربتى الخاصة
تقول ان شهوات الانسان لا تحتمل التفكير فى كنهها واسبابها •

دون جوان : لهذا السبب لا تنتشر العبقرية بين الناس • أما بالنسبة
للحياة •• تلك القوة الكامنة من وراء الانسان ، تصبح العبقرية
ضرورية ، لأن الانسان بدونها ينزل الى الهلاك •• بالضبط كما
استطاعت الحياة ، بعد عصور ودهور من الكفاح ، أن تنتج ذلك
العضو الجسدى المدهش وهو العين ، حتى يستطيع أن يرى بها
طريقه وماذا يفيد وماذا يتهده بالخطر ، وبذلك يتجنب آلاف
الآخطار التى أدت الى القضاء عليه من قبل • وهكذا تقوم الحياة
الآن بإنتاج عقل لتلك العين ، لا لترى به العالم الفيزيائى فحسب ،
ولكن لتدرك هدف الحياة ذاتها ، وبذلك تساعد الفرد على العمل
لتحقيق هذا الهدف بدلا من تعويقه وتشثيته بتلك الاهداف
الشخصية ضيقة الأفق التى يعانى منها الانسان فى الوقت
الحاضر • وإذا استمرت الحال كما هى الآن فسيبقى هناك نوع
واحد من الناس هو الذى تتوفر له السعادة الدائمة وفى كل المعارك
المحتدمة حول الأوهام والاهتمامات الجادة على السواء ، وسيظل
نصيبه من العالم أجمع هو الاحترام والاكبار •

التمثال : طبعا تقصد حامل السلاح •

دون جوان : أيها القائد •• أنا لا أقصد حامل السلاح •• لأن المقاتل
إذا اقترب من هذه الحالة ، فإن العالم كله يوصد باب العاطفة فى
وجهه ، ويللم بنات حواء من طريقة • أبدا ، أبدا •• أنا لا لاغنى
للسلاح ولا للأبطال ولكن لرجل الفلسفة •• ذلك الذى يتأمل ••
يبحث لاكتشاف الوسائل التى يستطيع بها تحقيق تلك الرغبة ،
ويعمل لتحقيق تلك الرغبة بالوسائل التى استطاع اكتشافها •
وأنا - بين جميع الرجال - أقول : لقد تعبت •• اعانى اخفاقات
معذبة • عندما كنت أعيش فى الدنيا ، كان الاساتذة على اختلاف
تخصصاتهم ، يفتشون فى مشاعرى بحثا عن أى ظاهرة مرضية فى
نفسى يستطيعون التركيز عليها • حذرني أساتذة الطب كى أفكر
فيما يجب على عمله للحفاظ على جسدى سليما ، وقدموا لى أدوية
وهمية لأمراض وهمية •• فأجبتهم باننى لست مريضا بالوهم
فقالوا اننى « أبو جهل » وذهبوا •• أما أساتذة الدين فقد أُنذرونى
بما يجب على عمله لانقاذ روحى •• لكننى قلت لهم أن مرضى
بالوهم الروحانى لا يزيد عن مرضى بالوهم الجسمانى ، ولذلك

لم تزعجني نصائحهم فوصفوني بالالحاد ومضوا لحال سييلهم
وبعد هؤلاء هؤلاء جاءني أحد الساسة يقول ان الهدف الوحيد الذي
تسعى الطبيعة لتحقيقه هو مساعدته على النجاح في انتخابات
البرلمان ، فأجبتة بأننى لا يهمنى دخوله البرلمان من عدمه ، فوصفنى
بأننى لست سياسيا ، ومضى . ثم جاءنى رجل رومانسى . . فنان
. . يحمل أغانيه الغرامية ولوحاته وقصائده الشعرية ، وبجواره
استمتعت بسعادة غامرة سنوات عديدة ، وحقت من ورائه بعض
الفوائد . . وسبب ذلك اننى هذبت عواطفى من أجله . . علمتنى
أغانيه أن أحسن الاستماع ، وتعلمت من لوحاته أن أنظر الى الناس
جيذا . . أما قصائده فقد دربتنى على الاحساس العميق بالآخرين ،
لكنه قادنى فى النهاية الى تقديس المرأة .

آنا : « جوان ، !

دون جوان : أجل . . كنت أعتقد أن صوت المرأة هو كل الموسيقى التى
تنضج بها الأغاني ، وأن فى طلعتها جمال الرسم كله ، وفى روحها
عواطف الشعر كله .

آنا : ثم أصبت بخيبة أمل . . حسن . . لكن هل هو ذنب المرأة أن تظن
بها كل أوجه الكمال هذه ؟

دون جوان : نعم - الى حد ما . . لأنها استطاعت ، وبدهاء غريزى ، أن
تظل صامته طول الوقت ، فى حين مضيت أنا فى تمجيدها ، وأن
تفند آرائى وأفكارى ومشاعرى بالنسبة لها ، والآن ، أصبح صديقى
الرومانسى بائسا لا يجرؤ على الاقتراب من هؤلاء النسوة اللاتي كن
على جانب من الجمال والركة ، لكنهن لم يرتفعن الى مستوى المثل
الأعلى الذى يحلم به والغريب انه دخل القبر وهو مؤمن بصدق
أحلامه عن المرأة . أما أنا فقد كانت الطبيعة والظروف فى صالحى
. . كنت نبيل المنشأ ، غنى ، واذا لم يجلب شخصى السرور الى
قلب النساء ، فقد كانت قدرتى على المناقشة والحوار تعوضنى ذلك
النقص فى شخصى . . الغريب أننى كنت محظوظا فى الاثنين :
الشخصية والحوار .

التمثال : مغرور !

دون جوان : فعلا . . حتى غرورى كان هو الآخر لذيذا . يا عزيزى ،
لقد اكتشفت اننى اذا مسست خيال المرأة فانها تجعلنى أقنع نفسى
بأنها تحببني . أما اذا انتصرت عليها فى مناقشة احدى القضايا فانها

لا تقول : « أنا سعيدة .. لان حبيبي مقنع » ، أبدا .. اولا تقول
.. « أخيرا انزاحت العراقيل » .. ثم تقول : « متى أراك ثانية ؟ » ..

آنا : هكذا يقول الرجال دائما .

دون جوان : أعترض .. أنا لم أقل ذلك أبدا . بل هكذا تقول النساء .
ما علينا .. لقد ازعجتني هاتان الجملتان دائما .. لأن الجملة
الأولى تعني غريزة المرأة ستسقط تحصيناتي كلها ، ثم تحتل قلعتي
.. واما الجملة الثانية ، فتعلن بصراحة أنها قد استحوذت على
تماما فأصبحت ملكا خاصا بها .. وقتي كله تحت أمرها .

الشیطان : من هنا جاءت دعوتك لأن يستشير الانسان قلبه في كل
ما يعرض له من أمور .

التمثال : (يهز رأسه) عار عليك أن تبوح بشيء قالته لك امرأة يا «جوان»
آنا : (بقسوة) فعلا .. وان يظل سرا مقدسا محجوبا عنك . انت الآخر .

التمثال : فعلا .. هكذا يقول النساء دائما . لم أفكر في العقبات أبدا ،
ولكن في الصدمة الخفيفة التي يتلقاها الطرف الآخر ، هذا ان
لم تكن الصدمة قد حطمتها تماما .

دون جوان : بعد ذلك ، السيدة .. السيدة التي كانت في البداية سعيدة
جدا ومطمئنة جدا جدا ، تصبح بعد ذلك قلقة .. مشغولة بي ..
تتجسس على .. تتأمر ضدي .. تطاردني .. تراقبني .. تنتظرني
لا شيء الا لتتأكد أن ضحيتها لا تزال في قبضة يدها . هذه
الضحية هي أنا .. فاهم ؟ لم أراهن على هذا ، بل راهنت على شيء
عادي وطبيعي جدا ، لكنه في النهاية ليس هو روح الموسيقى أو
الرسم أو الشعر أو المتعة التي تتجسد في جسد المرأة الجميلة .
هربت منه .. هربت منه كثيرا . والحق أقول ، ان شهرتي قد
اعتمدت كثيرا على هروبي منه .

آنا : بل تقصد فضائحك .

دون جوان : أنا لم أهرب منك .. فهل تلوميني لأنني هربت من
الأخريات ؟

آنا : يا رجل استنحي .. أنت تخرف . انك تتحدث مع امرأة عمرها الآن
سبعة وسبعين عاما . ولو ان الفرصة سنحت لك لكنك هربت مني
أنا الأخرى ، فقط لو أنني أتحت لك هذه الفرصة . ربما كنت

معك سهلة كغيري من النساء . وإذا لم يكن الرجال مخلصون
لبيوتهم وواجباتهم فيجب أن يجبروا على ذلك . اسمح لي ، انتم ..
كلكم .. تريدون الزواج من سيدات يجسدن عندكم الموسيقى
والرسم والشعر . وللأسف ، لن تحققوا أمانيكم أبدا لسبب بسيط
.. لأن هؤلاء النساء غير موجودات . وإذا لم يكن اللحم والدم على
مزاجكم فبوسعكم الاستغناء عن النساء . هذا رأيي . النساء بحاجة
الى أزواج من لحم ودم ، وأنتم تنبذون الزوجات اللاتي من لحم ودم
(يبدو الشيطان مضطربا ، بينما تبدو الحيرة على وجه التمثال)
كلكم - تقريبا - لا تفضلوا هذا النوع من النساء .. لكن هذه
هي الحقيقة ، وإذا لم تناسبكم .. انبذوها .

دون جوان : سيدتي الحبيبة .. لقد عبرت عن قضيتي ضد الخيال في
عدة جمل قصيرة ، ولهذا السبب فقط أدت وجهي لذلك الرجل
الرومانسي ذي الطبيعة الفنية . لقد شكرته لأنه علمني كيف
استعمل عيني واذني .. لكنني قلت له أن تقديره للجمال وطلبه
للسعادة وأحلامه عن « المرأة المثالية » تعتبر فلسفة حياة لا تساوي
أكثر من « صفيحة زبالة » ، ولذلك سماني سفسطائي وتركني
ومضى .

آنا : يبدو أنك تعلمت أشياء كثيرة من عيوب المرأة .

دون جوان : صحيح . كشفت أمامي كل وسائل التعليم . آه يا أصدقائي
عندما تسقط العراويل لأول مرة .. يالها من لحظة مستنيرة رائعة !
أصبحت مستعدا لجنون الحب .. أن أسكر به وبكل أوهام الحب
وأحلامه .. وللأسف الشديد ! ، لم تكن آرائي واضحة ، ولا كان
نقدى عبثا .. أن أشد الناس خصومة لمعشوقتي لم يستطع الكشف
عن عيوبها بنفس الدرجة من الوضوح الذي فضحت به نفسها
أمامي . بالعكس .. أنا لم أخدع .. أجريت العملية بدون « بنج » .

آنا : ولكنك « عملت العملية » وانتهينا .

دون جوان : هذا هو الاكتشاف الجديد . حتى تلك اللحظة لم أكن قد
فقدت إحساسى بأننى سيد نفسي . لم أخط خطوة واحدة قبل أن
يبحثها عقلي ويقرها ... توصلت الى الاعتقاد بأننى مخلوق عقلانى
جدا .. مفكر ! قلت كما قال ذلك الفيلسوف الأبله : « أنا أفكر
.. اذن فأنا موجود » . لكن المرأة علمتني أن أقول : « أنا موجود
.. اذن فأنا أفكر » .. ثم زدت عليها : « أنا أفكر أكثر .. اذن
فأنا موجود أكثر » .

التمثال : هذا تفكير مغرق في التجريد والميتافيزيقا يا « جوان » • ولو أنك اعتنقت هذا التفكير المادى وصغت اكتشافاتك هذه على هيئة « حواذيت » مسلية تحكى عن مغامراتك مع النساء ، فإن محاوراتك في هذا الشأن تصبح سهلة التصديق والاتباع بعكس الحال فى آرائك المادية هذه •

دون جوان : اوف •• ماذا أضيف لأقوالى السابقة كى أجعلكم تفهمون ؟ ألا تفهم اننى عندما وقفت أمام المرأة وجها لوجه ، فإن كل خلية فى عقلى الناقد الواعى قد حذرتنى بالهروب منها والخلاص بنفسى ؟ لكن اخلاقياتى قالت : لا •• ضميرى قال لا •• الفروسية والشفقة قالتا لا •• رأى الوراق فى نفسى قال لا •• أما اذنى التى دربتها على سماع آلاف الأغنيات والسينفونيات ، وعينى التى جربت النظر الى آلاف اللوحات •• عينى واذنى مزقتا صوتها وملامحها اربا اربا ، فحملت كل هذه التشبيهات اللقوية وهرعت بها الى أبيها وأمها •• قلت لهما رأى فيها عندما تصل الى سن الثلاثين •• عندئذ رأيت الأسنان الذهبية فى فم الرجل الميت تلمع وهو يضحك • فماذا فعلت ؟ •• قمت بعدة تجارب لدراسة تأثير كيمياء الروائح الغريبة على الأعصاب وفى تلك الساعة ضاعت منى احلام اليقظة الرومانسية ••••• تلك التى وطئت بها وديان السماء وانا مخلوق من عاج ومرجان لا يؤثر فيه الموت أو الزمن • تذكرت تلك الأحلام ، وعشنا حاولت الافلات من أوهامها ، لكنها الآن تبدو من أكثر الاختراعات عبثا •• أبدا لم تكن أحكامى خاطئة •• عقلى لا يزال يقول لكل شئ : لا •• وبينما كنت أبحث عن الفاظ أعترض بها للسيدة ، أمسكتنى الحياة وألقت بى بين ذراعيها ، كما يلقي الصياد بسنارته وقد علق بها سمكة يصطاد بها طائر البحر •

التمثال : يبدو أنك تورطت فى العلاقة دون أن تفكر فى كل هذه المسائل يا « جوان » • انت كغبرك من الأذكاء ، ذكاؤك أكبر من أن تستفيد به •

الشیطان : ألم تكن سعيدا بهذه التجربة يا سنيور « دون جوان » ؟

دون جوان : سعيد وبدون عقل •• نعم • لقد جعلتنى تلك اللحظة ، ولأول مرة ، أواجه نفسى • ومن خلال نفسى تعرفت على العالم كله •• فهمت ساعتها كم هو عبث أن نحاول فرض الظروف العادية على القوة الطاغية للحياة ، ولذلك رحلت أبشر بأهمية العقل ، والاختيار الواعى ، والفضيلة ، والشرف ، والعفة ••

آنا : أى كلمة ضد العفة تعتبر اهانة لى •

دون جوان : أنا لم أتعرض لعفتك أبدا ، لأنها تمثل عندى نموذج الزوجة والأطفال الاثنى عشر . ترى ، لو انك كنت واحدة ممن رفضت من النساء ، ماذا كنت ستفعلين أكثر من ذلك ؟

آنا : كنت أحصل على اثني عشر زوجا دون أن أنجب طفلا واحدا . هذا ما كنت افعله يا « جوان » . وبهذا أحقق زيادة كبيرة لعدد الناس على وجه الأرض . أليس كذلك ؟

دون جوان : لا . . . لأنه رغم أن هذا هو الفرق الحقيقي بالضرورة - وأنا أعترف أن « الدونا آنا » قد اتجهت مباشرة الى النقطة الحقيقية في الموضوع - الا أنه لا يمثل عندى أى اختلاف في الحب أو العفة أو الوفاء ، لأن انجاب اثني عشر طفلا من اثني عشر زوجا ربما حقق زيادة كبرى لعدد الناس ، وبشكل أكثر فعالية مما فعلت انت . افرضي أن صديقي « اوتافيو » قد توفي وانت في سن الثلاثين . عندئذ لن تظلي أرملة من بعده أبدا ، لأنك كنت رائعة الجمال . وافرضي أن خليفة « اوتافيو » قد مات وانت في الأربعين . . . كنت ستكونين امرأة لا تقاوم أيضا . . . والمرأة التي تتزوج مرتين ، تتزوج ثلاث مرات اذا ترك لها العنان لذلك . ان قيام سيدة محترمة جدا مثلك بانجاب اثني عشر طفلا من ثلاثة آباء مختلفين ليس شيئا مستحيلا ، وليس تهمة يدينها الرأي العام . . . مثل هذه السيدة قد تكون - في نظر القانون أكثر احتراما من تلك الفتاة المسكينة التي تعودنا الالتقاء بها في بالوعة المجارى لمجرد أنها انجبت طفلا غير شرعى . ولكن هل تجرئين على القول بأن هذه الفتاة كانت أقل منك حبا للجنس ؟

آنا : بل كانت أكثر منى فضيلة . . . يكفيني هذا !

دون جوان : في هذه الحالة . . . ما هي الفضيلة . اللهم الا الاتحاد التجارى للمتزوجين ؟ دعينا نعترف بالأمر الواقع يا عزيزتي « آنا » . . . ان قوة الحياة لا تحترم الزواج الا لأنه هو الوسيلة التي تستخدمها الحياة لانتاج أكبر عدد ممكن من الأطفال ، وتوفير أكبر قدر ممكن من الرعاية لهم . أما بالنسبة للشرف والعفة وغير ذلك من القيم الأخلاقية التي تتشدقين بها فان الحياة لا تكتثر بها مطلقا . الزواج هو أكثر التشريعات الانسانية فسقا وانحلالا .

آنا : « جوان » !!

التمثال : تمام !

دون جوان : أقول أكثر التشريعات الانسانية فسقا وانحلالا ، وهذا هو سر انتشاره بين الناس . المرأة التي تبحث عن الزوج هي أكثر الحيوانات المفترسة شراسة ووحشية . الخلط بين الزواج والأخلاق كان له أثره الكبير في تصدع ضمير الجنس البشرى أكثر مما تفعل أى جريمة أخرى يرتكبها الانسان . تعالى يا « آنا » .. لا تصدمك آرائى هذه . انت تعرفين - أكثر منا جميعا - أن الزواج هو فخ لاصطياد الرجل .. فخ مطعم بالمشاعر الغريزية والمثالية المضللة . وعندما كانت أمك تجبرك - بسيل من السباب ، وأنواع العقاب - على أن تتعلمى عزف ست قطع موسيقية على البيانو ، ورغم أنها كانت تكره البيانو مثلك تماما وربما أكثر .. فهل كانت تهدف الى أى هدف آخر غير الايقاع بخطابك وجعلهم يعتقدون أن الذى يفوز بك زوجة له انما يمتلك بذلك ملاكا يملأ عليه البيت نغما أو . على الأقل ، يعزف له بعد العشاء ويجعله ينام على أنغام الموسيقى ؟ أنت تزوجت من صديقى « اوتافيو » .. حسن ، هل فتحت البيانو ولو مرة واحدة منذ جمعكما الكنيسة يوم عقد القران ؟

آنا : انت غبى يا « جوان » .. الشابة المتزوجة لديها ما يشغلها عن الجلوس أمام البيانو ، دون أن تسند ظهرها الى شئ .. ولذلك تقلع عن عادة العزف عليه .

دون جوان : لكنها لو كانت تحب الموسيقى فلن يشغلها عنها شئ .. لا .. صدقيني .. كل ما هنالك أنها تستغنى عن الطعم بعد أن يكون الطير قد وقع فى الشبك .

آنا : (بمرارة) أنا الأخرى أعتقد أن الرجال لا يلقون بأقنعتهم الا بعد أن يقع الطير فى الشبك ، وأن الزوج ليس مهملا أو أنانيا أو متوحشا .. أبدا ، أبدا .. أوه !

دون جوان : اذن ، ما معنى هذه الاتهامات ؟ .. معناها ان البطل مخادع كبير كالبطلة بالضبط .

آنا : كلام فارغ .. معظم الزيجات كانت مريحة وموفقة فى كل شئ .

دون جوان : فى كل شئ ؟ هذا كلام كبير يا « آنا » .. تريدين القول بأن العقلاء يستفيدون من بعضهم البعض ؟ أرسلينى الى السجن ، وقيدينى بالسلاسل مع المجرم الذى يحمل الرقم التالى لرقمى فى السجن .. عندئذ أستسلم لقدرى وأحاول التكيف مع واقعه قدر الامكان . يقولون ان مثل هذه العشرة الاضطرابية تكون ، فى أغلب

الأحوال ، عاطفية جدا ، ومعظمها - على أقل تقدير - محتمل ومنعم بالود . . لكن كل ذلك لا يجعل السلاسل والقيود من أدوات الزينة المرغوبة ، كما لا يجعل من السجن منزلا مريحا . . الذين يتحدثون عن فضائل الزواج وعفته . . والذين يشتهونه هم هم الذين يعلنون أنه اذا تحطمت السلاسل ، واذا أعطى السجناء حرية الاختيار فان الهيكل الاجتماعى كله سيتمزق اربا اربا . . لن تستطيعى قلب المناقشة على الوجهين . فاذا كان السجين يعيش فى السجن سعيدا هائثا فلماذا يقلقونه عليه ؟ . . واذا لم يكن سعيدا فلماذا يتظاهرون بذلك ؟

آنا : على أية حال ، دعنى اتخذ مظهر المرأة العجوز ، واخبرك بأن الزواج لم يدرى - من الناحية السطحية - الى تكاثر الناس فى العالم ، وهذا ما لا يفعله عدم الزواج

دون جوان : وكيف يكون موقفك اذا جاء وقت يختلف تماما مع آرائك هذه ؟ . . ألا تعلمين أنه حيث توجد الرغبة تيسر الوسيلة ؟ وان رغبة الانسان فى فعل شيء ما ، ستصل به فى النهاية الى اكتشاف وسيلة يفعل بها هذا الشيء ! حسن . . لقد بذلتن كل ما فى وسعكن أيتها السيدات الفاضلات ، ومعكن غيركن ممن يتصرفن بنفس الطريقة . . بذلتن كل جهد متاح كى تربطن عقل الرجل تماما بالحب الشريف بصفته الخير المطلق ، ولكى تصل به أوهام الحب الشريف والجمال والسعادة الى الوقوع فى أسر السيدات الجميلات الرقيقات الطاهرات العاطفيات . لقد عامتن النساء أن يجعلن قيمة الشباب والصيحة والمظهر والصفاء متفوقة على غيرها من الأشياء . . حسن . . أى مكان يبقى للأطفال اذ ييكون ، ولهموم البيت ، فى هذه الجنة الرائعة من الأحاسيس والعواطف ؟ أليست هذه هى النهاية الحتمية التى تضعها البشرية للعقل الانسانى ؟ ، اخترعنى لى وسيلة أستطيع بها الحصول على الحب والجمال والخيال والعاطفة والغريزة ، دون أن أتعرض لهذه العقوبات القطيعة المدمرة ، أو أن اضطر لدفع ثمنها الباهظ ومتاعبها ومحاماتها وأمراضها وأجزائها ومغامراتها التى تصل بالمرء الى الموت وما يرافقه من خدش وحشم وممرضات وأطباء ومدرسين .

الشیطان : كل هذا موجود هنا . . فى مملكتى هذه يا « دون جوان » .

دون جوان : نعم ، ولكن على حساب الموت . والانسان لن يقبلها مقابل هذا الثمن . انه ينشد المتعة الرومانسية الموجودة فى جحيمك . .

حسن ٠٠ الوسائل متوفرة ٠٠ لن يفشل العقل مادامت الارادة قوية
واعية ٠ سيأتى يوم تجد فيه الشعوب العظيمة نفسها وقد تضاعفت
أعدادها من احصاء الى احصاء ٠٠ عندما يرتفع ثمن الفيلا المكونة
من ست حجرات عن سعر بيت العائلة ٠٠ عندما يسعى الفقراء
المحطون الأشرار ، ومعهم الأغنياء الأتقياء إلى الحيلولة دون
انقراض الجنس البشرى ، وبطريقة واحدة فقط هي : افساد
سلالته ٠٠ يحدث هذا بينما يجتمع الاتقياء والأناييون والطموحون
والخياليون والشعراء وعشاق المال والراحة وعبيد النجاح والفن
والحب ٠٠ عندما يجتمعون جميعا على معارضة قوة الحياة بوسيلة
العمى ٠

التمثال : هذا كلام رائع يا صديقى العزيز ٠٠ لكن لو أنك عشت فى عصر
« آنا » ، أو حتى فى عصرى أنا ، لعرفت أن الذين يتحررون من
مخاوف الفقر وكثرة العيال وغيرها من المشاكل العائلية ٠٠ الذين
يندرون أنفسهم للتعايش مع هذه المشاكل فى سلام ، وذلك بتحرير
عقولهم من مخاوف كبر السن والاكتئاب والعجز الجنسي والموت ٠٠
نعم ٠٠ العامل الذى لا ينجب أطفالا يتألم من اهمال زوجته له
ومن الحاحها الدائم على طلب المتعة واللهو ، بطريقة تفوق دلالها
عليه لو أنها أنجبت له عشرين طفلا ، لكننا لا ننكر أن ما تحسه
الزوجة من تعاسة وقلق يفوق ما يحسه الزوج بكثير ٠٠ لقد نلت
حظى من اللهو والمتعة ٠٠ كنت - كأي شاب فى مثل عمري
آنذاك - أحظى باعجاب السيدات ٠ أما الآن ، وقد أصبحت تمثالا -
فان ما أحظى به هو اعجاب نقاد الفن ! هه ! لكننى أعترف أننى
لم أجد فى العالم شيئا يمكن أن أفعله غير الانغماس فى اللذات ،
الأمر الذى كاد يدفعنى الى الانتحار ٠ فعندما تزوجت من أم «آنا» ،
أو هكذا أظن ، أقول ٠٠ وللأمانة ٠٠ أقصد ٠٠ أقول ٠٠ عندما
قبلتنى أم «آنا» زوجها لها ، أدركت اننى قد زرعت الشوك فى
وسادتى ، وأن الزواج يشبه - فى رأى - ذلك الضابط الذى
يمشى مختالا بنفسه ، والذى لم يختف من الدنيا حتى الآن ٠٠
نعم ٠٠ كان الزواج عندي هو الهزيمة والحصار ٠

آنا : (بخجل شديد) أبى !

التمثال : يؤسفنى أن أصدمك بكلامى هذا يا عزيزتى ٠ لكن مادام «جوان»
قد مزق أستار الحياء فى مناقشتنا ، فلا بأس من الجهر بالحقيقة
المرة ٠

آنا : يا للعار ! .. وبالطبع كنت أنا واحدة من الأشواك التى تتحدث عنها ، ألس كذلك ؟

التمثال : أبدا أبدا .. بل كنت زهرة يافعة .. لكنك تعلمين أن أمك وحدها هى التى عانت من مشاكلك ، ولست أنا .

دون جوان : سيادة القائد ، اسمح لى بسؤال : لماذا تركت الجنة وجئت هنا ، حيث الانغماس فى اللذات .. فى المتعة الحسية التى تعترف بنفسك أنها كادت تدفعك الى الانتحار ذات يوم ؟

التمثال : (يفاجئ الجميع) تلك هى الحقيقة للأسف .

الشیطان : (بانزعاج) ماذا ؟ .. تسحب كلامك ؟ (يخاطب دون جوان) اذن ، فكل ما تتفلسف به من آراء ومبادئ لم يكن غير قناع تخفى به الدعاية للدين ! (للتمثال) هل نسيت تلك الظلمة الكثيبة التى أرحتك منها بقبولى لوجودك معنا هنا ؟ (ل : دون جوان) وانت .. هل تظن أن آراءك حول اقتراب البشرية من العقم والفناء يمكن أن يودى الى شيء أفضل من الاستمتاع بالمباهج التى يتيحها الفن والحب .. تلك المباهج التى تعترف بنفسك أنها قد هذبت سلوكك وسمت بخلقك وطورت أفكارك ؟

دون جوان : أنا لم أقل بأن البشرية فى طريقها الى الفناء .. لأن الحياة لا يمكن أبدا أن تسعى الى افناء نفسها ، سواء عندما كانت على حالتها البدائية العمياء أو فى أى من أشكال التطور التى بلغت .. لكننى لم أكن قد أنهيت كلامى عندما قاطعنى سيادة القائد .

التمثال : لأنك لا تتعب من الكلام أبدا يا عزيزى . أنت مغرم جدا بسماع صوتك وانت تتكلم .

دون جوان : صحيح ! .. ومادمت قد احتملت الكثير من قبل ، فسأحتمل حتى النهاية .. ذلك أنه من قبل أن يصبح هذا العقم أكثر من مجرد احتمال تنتبأ به ، كان رد الفعل قد بدأ فعلا . ان الهدف الأساسى لتربية الجنس البشرى .. أى تربيته وصولا الى الدرجات السامية التى تحقق وجود « السوبرمان » (١) .. هذا الهدف الذى يختبئ

(١) أثرنا استخدام اصطلاح « السوبرمان » رغم امكانية ترجمته فى العربية « بالانسان الأعلى » وذلك لسببين : أولهما تداول مصطلح « السوبرمان » بين كل من له معرفة بفلسفة « نيتشه » واللام بأدب برناردشو . وثانيهما هو لجوء بعض كبار مفكرينا الى استخدامه كما فعل أستاذنا العقاد فى كتابه برناردشو .

الآن وراء سحابة كثيفة من الحب والخيال والحكمة والعزيمة ، سوف يتمخض عن هدف واضح وضوح الشمس .. هدف لا يمكن الخلط بينه وبين تقديرنا للخيالات الفردية أو أحلام الأولاد والبنات عن فكرة النعيم ، أو حاجتهم الشائنة للتعايش مع العواجز الشائخين ، لا لشيء سوى لأنهم مجبرون على معاشيتهم أو لأنهم يخططون لابتزاز أموالهم . ان خدمات الزواج .. تلك التي تقدمها كنائس الغوغاء لن تختصر أو يحد من انتشارها كوسيلة غير محترمة لابرام علاقة الرجل بالمرأة .. بل ان الحكمة الواعية والوقار وسلطة الاعلان عن الهدف الحقيقي للزواج .. كل ذلك سيصبح شيئا محترما ومقبولا .. يحدث هذا في الوقت الذي تتنكر فيه هذه الكنائس لنذورها وعهودها الرومانسية ومشاركتها لنا طوال حياتنا ، منذ التعميد وحتى الوفاة ، رغم أنها كلها تفاهات لا تطاق . سننبورا .. اتركى لأبناء جنسى حرية الاعتراف بأنهم يدركون ان العلاقة الجنسية ليست هي العلاقة الشخصية ، ولا هي علاقة الصداقة مطلقا .

آنا : ليست علاقة شخصية أو علاقة صداقة ؟ اذن فأى علاقة أخرى تفوقها ذاتية وتقديسا !

دون جوان : قدسيها كما تشاءين يا « آنا » .. لكنها ليست صداقة شخصيته بأى حال . ان علاقتك بالله هي العلاقة المقدسة الوحيدة . فهل تجربئين على القول بأنها علاقة صداقة شخصية تفوق وتبتلع كافة الاعتبارات الشخصية وتحرر من جميع العلاقات الذاتية . قد ينبس الطرفان لأحدهما الآخر بكلمات غريبة ، ويتكلمان لغتين مختلفتين ، أو يختلفان في الجنسية واللون أو في السن والمركز الاجتماعي .. باختصار قد لا تربط بينهما أية صلة كانت ، اللهم الا احتمال حدوث الاخصاب .. ذلك الدافع الذي من أجله تلقى قوة الحياة بأحدهما في أحضان الآخر بمجرد حدوث النظرة الأولى . ألسنا ننكر هذا الدافع عندما يوافق الآباء على ابرام عقد الزواج للأبناء دون سؤال المرأة عن رأيها في زوجها ؟ ألم تعربى مرارا عن احتقارك للجانب اللا أخلاقي في الشعب الانجليزى الذى كان النبلاء من رجاله ونسائه يتعارفون ويتبادلون الحب مع بعضهم البعض بالضبط كما يفعل المزارعون البؤساء ؟ ورغم ذلك كان الفلاحون يمتازون على النبلاء بأن الرجل يعرف الكثير عن عروسه من قبل أن يربط بينهما عقد الزواج ؟ أجل .. لا تنكرى انك مستعدة للوقوع فى حب أى دكتور أو محامى لا تربطك به الا مجرد

معرفة عابرة .. بل انك مستعدة لأن تقعى فى حبه بطريقة أسهل
وأسرع كثيرا مما تقضين من وقت فى محاولة اقناعه بأن يكون الطبيب
أو المحامى الخاص بأسرتك .

آنا : فعلا يا « جوان » . فلسفتك الداعرة هذه ليست غريبة علينا .
انت دائما تتجاهل دوافع المرأة .

دون جوان : الدوافع ، نعم .. لأنها تضع قبضتها الوحشية حول رقبة
الرجل . لكنك ، بالتأكيد ، لا تعتبرين هذه الرابطة علاقة عاطفية
.. بالضبط كما تصفين ارتباط السجان بالسجين بأنه علاقة
عاطفية .

آنا : اسمع ! . يجب أن تعترف بأن الزواج شئ ضرورى ، رغم كل آرائك
التي تقول بأن الحب هو أضعف العلاقات الانسانية جميعا .

دون جوان : ولماذا لا تقولين أن الحب هو أعظم علاقة انسانية على الإطلاق ؟
بل وأعظم كثيرا من أن يكون مجرد قضية شخصية ؟ هل كان أبوك
يستطيع أن يقدم لبلاده خدمة وطنية لو أنه رفض قتل الأعداء
الأسبان دون أن يشعر تجاههم بكرهية شخصية ؟ هل تخدم المرأة
بلادها اذا رفضت الزواج من انسان لا تحبه بصفة شخصية ؟ ..
ليست هذه هى القضية كما تعرفين . المرأة الارستقراطية تتزوج
بنفس الطريقة التي يحارب بها الرجل الارستقراطى .. أى وفقا
لاعتبارات سياسية وعائلية ، وليس لاعتبارات شخصية .

التمثال : (بتأثر) ملاحظة ذكية جدا يا « جوان » . سأفكر فيها ..
انت مستودع أفكار بحق . كيف توصلت الى هذه الفكرة ؟

دون جوان : تعلمتها بالخبرة . عندما كنت أعيش على وجه الأرض ،
كنت أغازل اولئك السيدات اللاتي صنعن منى بطلا لأسطورة
شعبية مشهورة ، ورغم أنهن كن من السيدات الملعونات على مستوى
العالم كله ، فأننى لم ألق منهن هذه المعاملة التي ألقاها منك الآن .
قد تقول السيدة أنها تقبل مبادرتى بمغازلتها بشرط أن يكون
غرضى شريفا . وعندما أسألها عن معنى هذا الشرط ، اكتشف
أن معناه انها تظننى اخطط لاغتصاب أملاكها اذا كانت من أصحاب
الأملاك ، أو سلب شرفها اذا لم تكن غنية ، أو أننى أتمنى الحياة
بجوارها ومناقشتها وأخذ رأيها فى كل شئ .. عندئذ تحلف لى
بأغلظ الايمان بأنها ستكون سعيدة بجوارى وبأنها ستبر بأيمانها

كلها بشرط أن أدير ظهري لاي امرأة أخرى غيرها .. أنا لم اعترض على هذه الشروط لأنها مستبدة ولا انسانية .. بل ان تطرف هذه الشروط ومحاصرتها لى هو الذى أزعجنى .. لذلك أجبته . بحباد تام وصراحة مطلقة ، بأن هذه الأشياء لم تتطرق الى ذهنى أبدا . وأنه ما لم تكن شخصية المرأة وذكاؤها على مستوى شخصيتى وذكاىى - ان لم يكونا أفضل - فان الكلام معها يعتبر - بالتأكد - تحقيرا لها .. بالضبط كما يعتبر تقربها منى وسيلة تحاول بها تضليلى . كذلك أجبته بأن معاشرتها الدائمة ، وعلى ضوء كل ما عرفت عنها . ستصبح بالنسبة لى شيئا معذبا لا يطاق ، وبأننى لن أفصح عن مشاعرى الحقيقة الا بعد أسبوع من التفكير ، وربما لا أفصح عنها حتى آخر يوم فى حياتى ، وبأن خضوعى لهذه المشاعر سيعزلنى عن المناقشات الطبيعية الحرة ، ومن ثم يقاطعنى نصف المخلوقات البشرية التى أنتهى إليها .. كل هذا أصبحت معرضا له . والا حلت بى لعنة الكتمان ، ومن ثم تصبح مغالزتى لها - فى النهاية - منفصلة تماما عن أى من هذه المسائل ، فتصبح وكأنها نتاج طبيعى لغريزتى الرجولية فى مواجهة أنوثتها .. وينتهى الأمر .

آنا : تقصد أنها كانت غريزة لا أخلاقية .

دون جوان : الطبيعة - يا سيدتى العزيزة - هى بالضبط كل ما تصفينه انت بأنه لا أخلاقى . اننى أخجل منها . لكننى لا أستطيع مقاومتها . الطبيعة هى القواد .. والزمن هو هادم اللذات .. والموت هو القاتل . كنت ، طول الوقت ، أتحمس لهذه الحقائق ، وأقيم أفكارى على أساس فهمى لها . أما أنت فكنت تفضلين التودد لهؤلاء الشرور الثلاثة عن طريق الاعتراف بطهرهم وعفتهم واعتدالهم ورقة عواطفهم ، ومن ثم تقيمين أفكارك على هذه الأوهام . وبعد ذلك ، ألا يدهشك عدم تأثير الأفكار فى الناس ؟

التمثال : وماذا اعتاد النساء أن يقلن يا « جوان » ؟

دون جوان : اوه ! .. تعالى .. الثقة من أجل الثقة .. أخبرنى أنت أولا .. ماذا اعتدت أن تقول للنساء ؟

التمثال : أنا ؟ اوهو ! .. كنت أقسم لهن أن أظل مخلصا حتى آخر يوم فى حياتى ، وأننى سأموت اذا رفضنى ، وأن أى امرأة أخرى لن تحتل عندى نفس المكانة التى تحتلها هى ..

آنا : هى ؟ .. من هى ؟

التمثال : كل امرأة صادفتني في ذلك الوقت يا ابنتي . كانت عندي كلمات محددة أقولها في كل مناسبة . احداهن قابلتها وأنا في الثمانين من عمري .. شعرة بيضاء واحدة من رأس المرأة التي أحببتها تجعلني أرتجف أكثر مما أفعل أمام أكبر خصلة ذهبية من شعر أى سيدة جميلة شابة .. أما المرأة الأخرى فكانت هي التي لم أقبل أبدا أن تكون أم أولادى أى امرأة غيرها .

دون جوان : يا لك من وغد عجوز

التمثال : « بثبات » مطلقا .. لأننى ، في تلك اللحظة ، كنت أفكر فيها بكل ما أملك من قوة روحية .. كان لى قلب .. لم أكن مثلك . وهذا الاخلاص هو الذى حقق لى النجاح فى حياتى .

دون جوان : الاخلاص ! .. أن تكون غيبيا بحيث تصدق هذا الكذب المخادع الذى يصم الآذان من فرط الحاجة . هذا هو ما تسميه الاخلاص ! .. أن تكون مولعا جدا بالمرأة الى الدرجة التي تخدع فيها نفسك وتظن انك انت الذى تخدعها .. وتسمى هذا اخلاصا ؟

التمثال : اوه .. سفسطة لعينة ! لقد كنت رجلا محبا ، ولم أكن مخاميا . ولذلك أحبنى النساء عليهن رضوان الله !

دون جوان : هكذا جعلتك النساء تظن .. ماذا تقول اذا اخبرتك بأن النساء جعلتني أظن ذلك أيضا رغم قيامى بدور المحامى بحماس شديد ؟ كانت لى ، أنا أيضا ، لحظات عشق عرييد ، تفوهت خلالها بهراء غث وصدفته أنا الآخر . كانت رغبة الاستمتاع بقول أشياء جميلة تسمو بى الى فيض عاطفى غامر ، لدرجة اننى كنت أنطق الكلام بدون أى احساس بالتحمس له . وفى مرات أخرى كنت أتهم نفسى بالجمود الشيطاني ، لدرجة اننى كنت أبكى لذلك . لكننى وجدت أن هروبي من النساء وأنا طاغية ، صعب جدا .. بالضبط كالهروب منهن وأنا وديع عطوف . اذا ركزت المرأة عاطفتها على شخصى ، فمعناه اما أن أحيا عمرا مديدا من العبودية ، وأما أن أولى هاربا منها .

آنا : لقد كنت تفاخر أمامى وأمام أبى بانك كنت صعب المنال بالنسبة لأى امرأة .

دون جوان : أخاخر ؟ .. أنا ؟ .. يهيا لى أننى حطمت الرقم القياسى فى التعاطف مع النساء . ومع ذلك فأننى قلت : « اذا ركزت المرأة عاطفتها على شخصى » .. لكن هذا لم يحدث فى جميع الأحوال ..

ثم .. يا الهى .. يالها من فضيلة مدعاة .. ياله من دفاع مستميت
من مخادعة غادرة ! .. ياله من تجسيد لشخصيتى « ايموجين »
و « اياكيو » !

آنا : أنا لم أظاهر بأى شىء .. كل ما فعلته اننى استغثت بوالدى .

دون جوان : وجاء .. سيفه فى يده .. يدافع عن الاخلاق والشرف
السليب .. وكيف ؟ .. بقتلى .

التمثال : القتل ؟ .. ماذا تقصد ؟ من الذى قتل الآخر .. أنا أم أنت ؟

دون جوان : ومن منا كان المبارز الماهر .. أنا أم أنت ؟

التمثال : أنا .

دون جوان : طبعاً انت . الا أنك ، انت صاحب المغامرات الشائنة ،
ادعيت أن بينك وبيننا صلة وقرابة .. نعم .. كنت من الوقاحة
بحيث وضعت نفسك فى موقف المدافع عن الأخلاق والشرف
السليب ، ثم حكمت على بالاعدام ! كدت تذبحنى لولا الصدفة .

التمثال : فعلاً يا « جوان » . هكذا كانت الأمور تجرى فى حياتنا الدنيا .
لم أكن مصلحاً اجتماعياً .. كنت دائماً أفعل ما يفرضه على وضع
الجنتمان .

دون جوان : ولهذا السبب هاجمتنى ، لا لشىء الا انتصاراً للنفاق الثائر
فيك ، والذى جعلك - فى النهاية - تتحول الى مجرد فكرة ..
تمثال .

التمثال : كل هذا حدث بعد دخولى الجنة .

الشیطان : أنا لا أفهم حتى الآن كيف تؤدي هذه الأساطير فى حياتك
الدينيوية ، يا سنيور « دون جوان » ، أو فى حياة سيادة القائد الى
التشكك فى آرائى فى الحياة . اكرر لكما الآن ، انكما حققتما هنا
كل ما اردتما تحقيقه دون أن تجربا الخوف من أى شىء .

دون جوان : بالعكس . كل شىء هنا يسبب لى احساساً بالاخفاق ، رغم
أننى لم أحاول تحقيق أى شىء أحس بالحاجة اليه . أصارحك القول
بأننى ما دمت أجد شيئاً يجب استيعابه مما يتجاوز قدرتى على فهمه
بنفسى ، فأننى لا أشعر بالراحة أبداً الا اذا ناضلت كى أخرجه الى
حيز الوجود أو أمهد الطريق الى فهمه . هذا هو قانون حياتى .
وهذا هو الدافع الذى يعمل فى نفسى كنتيجة للإلهام المتواصل

للحياة .. ذلك الذى يستهدف تحقيق درجة من الوعي الذاتى الأكثر تنظيما واتساعا وعمقا وكثافة ، ودرجة من الفهم الصادق للذات .. ان سمو هذا الهدف وعظمته هو الذى أضعف عاطفة الحب عندى ، فأصبحت مجرد متعة وقتيه زائلة ، وهو الذى هبط بالفن الى مجرد كونه علوما ألتقاها فى الجامعة ، وهو الذى تضاعف بالدين الى أن أصبح مجرد اتهام بالتواكل ، لأنه يضع أمامى الها يتكفل بالعالم ويرى أنه طيب وصحيح .. كل ذلك يتناقض مع الغريزة التى تتصارع فى نفسى والتى تتطلع الى العالم من خلال عينى رأسى فترى أنه بحاجة ملحة الى الإصلاح . صدقونى .. أنا لم أشعر بالسعادة أبدا فى انقيادى وراء اللذات .. لم أجدها فى الصحة ولا فى الثروة اللتان كان حظى منهما وإفرا . ان ما ألقى به فى أحضان المرأة لم يكن هو عاطفتى تجاهها ، بل كان الارهاق والقرف . عندما كنت طفلا أنطح الجذر برأسى ، هرعت الى أول امرأة صادفتها وبكيت على صدرها أبثها آلامى وأفرك رأسى فى فسيطانها . وعندما كبرت ، وكنت قد ألهمت روحى بكافة ضروب الوحشية والغباء التى تورطت فى النضال فى مواجهتها ، فأننى عدت مرة أخرى الى ما فعلته وأنا طفل صغير . صحيح أننى استمتعت بأوقات الراحة ، والصحة ، والتنفس بحرية ، والرقود فى استرخاء بعد ساعات العمل وارهاقه .. لكننى - رغم كل ذلك - لم أقع فى شباك ذلك الشيطان الايطالى ، بأكثر من وقوعى فى أسر اللذات التى كانت سائدة فى أوروبا .. وهذا هو ما جعل مكانكم هذا الملى باللذة الخالدة مكانا معذبا بالنسبة لى . ان غياب هذه الغريزة عنك هو الذى جعل منك ذلك المارد الغريب الذى يسمى «الشيطان» .. كما أن نجاحك فى تحويل انتباه الناس عن هدفهم الحقيقى فى الحياة ، والذى كان يتفق - بشكل أو بآخر - مع نجاحى فى كفاحى .. أقول .. ان سعيك هذا هو الذى جعلهم يسلمونك : « الشيطان » أو « المضلل » . ان الذى جعل الناس مجرد مخلوقات معذبة ، زائفة ، قلقة ، منافقة ، سيئة الطبع ، شريرة .. كان نتيجة الحقيقة القائلة بأنهم كانوا يتصرفون انصياعا لأوامرك أنت ، وأنهم كانوا عبيدا لرغباتك .. بدلا من أن تستعبدهم رغباتهم هم .

«الشيطان» : (بخيبة أمل) سنيور « دون جوان » .. انت لست مهذبا مع أصدقائك .

دون جوان : ما هذا القرف ؟ ولماذا أكون مهذبا معهم أو حتى معك انت ؟ ان اعلانى لواحدة أو اثنتين من الحقائق فى « موطن الأكاذيب »

هذا ، لن يؤذيك • ان أصدقاءك هم أشرس الكلاب الضالة التي
التي رأيت • أشكالهم ليست جميلة • فقط هم مزخرفون •
ليسوا نظفاء ، بل حليقوا الذقن يرتدون ياقات منشأة • ليسوا
محترمين ، بل يرتدون ثيابا أنيقة • ليسوا متعلمين ، بل مجرد
خريجو جامعات • ليسوا متدينين ، بل مجرد أفراد قابعين على
كراسي الكنيسة • ليسوا أخلاقيين ، بل مجرد اناس غير تقليديين
• ليسوا أصحاب فضيلة ، بل مجرد جنائ • بل انهم ليسوا
أشرارا ، بل مجرد مخلوقات هشة سحقتها الآثام • ليسوا فنانيين ،
بل مجرد داعرين • ليسوا في رخاء ، بل مجرد أغنياء •
لا يدينون بولاء لشيء ، بل مجرد عبيد • ليسوا جادين ، بل قطع
من الفنم • ليسوا ذوي اهتمامات عامة ، بل مجرد مواطنين •
ليسوا شجعانا ، بل مجرد مشاكسون • ليسوا أقوياء العزيمة ،
بل ذوي رهوس جامدة عنيدة • ليسوا سادة ، بل مجرد مغرورين
• ليسوا رحماء بل عاطفين • ليسوا اجتماعيين بل خرافيين
• ليسوا عادلين ، بل انتقاميين • ليسوا كرماء ، بل مستعطفين
• ليسوا أصحاب مبادئ ، بل مسلوبى الإرادة • ليسوا صادقين
بالمرة ، بل كاذبين ، وفى أعماق الأعماق من أرواحهم •

التمثال : كلماتك تتدفق منك بطريقة مزعجة يا « جوان » • ليتنى كنت
أستطيع أن أخطب فى جنودى بهذه الطريقة •

الشیطان : ومع ذلك ، فهو مجرد كلام • كله سمعته من قبل • المهم هو
هل استطاع أن يغير فى الناس شيئا ؟ ما الذى فهمه العالم منه ؟

دون جوان : أجل • مجرد كلام • لكن لماذا هو مجرد كلام ؟ • لأن كل
الأشياء يا صديقى • كلها كالجمال والطهارة والاحترام والدين
والأخلاق والفن والوطنية والشجاعة وغيرها ، ما هى الا كلمات
أستطيع أنا وغيرى تقليبها من أعماقها كما تفعل فى قفاز يدك •
أما لو اعتبرناها حقائق ، فعندئذ يجب عليك الاعتذار عن اتهامك لى
• ولكن من حسن حظك ، ولكى تظل على احترامك لنفسك فهى
ليست حقائق • انها - كما قلت - مجرد كلمات تصلح لتضليل
البربر وجعلهم يقبلون الحضارة ، أو اقناع الفقراء بمزايا الخضوع
للابتزاز والاستبعاد • هذا هو السر الدفين عند الفئة الحاكمة •
ان هذا السر قادر على تحويلنا الى شخصيات عظيمة • فقط
لو أصبحنا أداة تستخدمها الفئة الحاكمة فى تحقيق حياة أفضل ،
وليست أداة بطش وسعى الى الرخاء الشخصى الرخيص لأعضائها
ولنا • والآن ، وحيث اننى - كواحد من طبقة النبلاء - اعتبر أن

من الأمرار الدفينة أن أفكر في مدى الازعاج الذى يتضمنه حوارك الذى لا ينتهى معى حول كل هذه التفاهات الأخلاقية ، وعن مدى البذاءة الرهيبة التى تضحون فيها بحياتكم دفاعا عنها ! وإذا كنتم فعلا تصدقون لعبتكم الأخلاقية هذه ، لدرجة انكم تستطيعون أداءها بشئ من الحياء ، فان التفرج عليها من بعيد يصبح شيئا طريفا ومسليا .. لكنكم لا تفعلون .. تستخدمون كل وسيلة ممكنة . أما اذا بادر خصمكم بخداعكم فأنكم تقبلون عليه المائدة وتحاولون قتله .

الشیطان : كلامك هذا يمكن تصديقه اذا كنا على وجه الأرض ، لأن الناس هناك جهلاء ، لا يستطيعون التجاوب مع وجهة نظرى حول الدين والحب والجمال . أما هنا ..

دون جوان : اوه .. أجل .. أعرف . لا شئ هنا غير الحب والجمال . اوف ! هذا يشبه الجلوس أبد الدهر لمشاهدة الفصل الأول من مسرحية رائعة ، دون أن يتاج لنا مشاهدة عقدة المسرحية . اننى ، وفى أسوأ اللحظات التى شعرت فيها بالخوف الرعديد على وجه الأرض ، لم أحلم أبدا بأن يكون الحجيم بهذا الشكل المروع . اننى أعيش كالحلاق .. فى حالة تأمل دائم للجمال ، أعبت فى الشعر الحريرى .. أنففس هواءا ملؤه الحلاوة كما يفعل صبي الحلوانى . سيادة القائد .. هل توجد سيدات جميلات فى الجنة ؟

التمثال : لا .. أبدا . أبدا .. كلهن يرتدين أسما لا بالية . لا تجد بين كل اثنتى عشر امرأة ، واحدة فقط تساوى قرشين فى سوق الروائع من نبات حواء .. يهيا لى أنهن رجال فى سن الخمسين .

دون جوان : فقد صبرى . أريد الذهاب إليها . هل نطقت كلمة «الجمال» هناك ولو مرة واحدة ؟ .. أهناك أناس يفهمون الفن ويتذوقونه ؟

التمثال : صدقنى .. انهم لا يعجبون بتمثال رائع مثلى عندما يسير بينهم دون جوان : سأذهب .

الشیطان : أتريد الصراحة يا « دون جوان » ؟

دون جوان : وهلا كنت صريحا معى فى كل ما قلت من قبل ؟

الشیطان : بل كنت .. وبكل طاقتى . لكننى سأبالغ فى الصراحة وأعترف لك بأن شعور الناس بالملل من كل شئ يجعلهم يملون من الجنة كما يضيقون بالنار ، وأن التاريخ كله ليس سوى سجل

حافل بتذبذبات العالم بين هذين النقيضين • ان الدهر كله ليس
الا حركة واحدة من بندول الساعة ، وكل جيل جديد ، يولد مفعما
بالحركة ، ولذلك يظن أن العالم يتقدم الى الامام • ولكن ، عندما
تبلغ العمر الذى بلغته أنا ، وتضيق بالجنة ألف مرة كما ضقت
بها أنا وسيادة القائد ، وتضيق بالنار ألف مرة كما تضيق بها
الآن • عندئذ لن تصدق أن كل انتقال من الجنة الى النار يعتبر
نوعا من التحرر ، وأن كل انتقال من النار الى الجنة يعتبر واحدة
من مراحل النشوء والارتقاء • وعندما تعتقد الآن أن الاصلاح
والتقدم ، وتحقيق الاهداف العليا ، وتطلع الانسان دائما الى تحقيق
اهداف أسمى ، وارتقاء سلما تتكون درجاته من أجساده الميتة
الفانية ، فلن ترى غير كوميديا زائفة لا أول لها ولا آخر • •
ستكشف الصدق العميق عند صديقى « كوليت » الذى قال :
« لا جديد تحت الشمس » ، وأن كل الأشياء أوهام فى أوهام •

دون جوان : (نافذ الصبر) وحق السماء ، ان كلامك هذا أسوأ من
ترثرتك عن الحب والجمال • أيها الأحمق الذكى معا • • أليس
الكلب أفضل من الذئب ؟ أليس الانسان أفضل من الدود لأنه
يشعر بالملل من الأشياء ، وهو شعور لا يتوفر لغيره من سائر
المخلوقات ؟ هل يقلع الانسان عن الطعام لأنه يريد أن يفقد شهيته
عن طريق اشباعها بالتخمة ؟ هل يعتبر الحقل المعد للزراعة أرضا
خرابا ؟ هل يستطيع سيادة القائد أن يضيع كل طاقاته الجهنمية
هنا ، ما لم يكن قد استجمع من الجنة كل الطاقات التى يستخدمها
فى الدهور الباقية من حياته فى النعيم ؟ لنفترض أن القوة الهائلة
للحياة قد عملت مثل بندول الساعة ، وانها تستخدم الكرة الأرضية
كمجال لذبذباتها ، ولنفترض كذلك أن تاريخ كل ذبذبة منها يعتبر
اعادة للذبذبة الأخيرة ، فان الشمس – بأبدتها التى يتصورها
العقل – تقذف بالأرض ألف مرة ثم تلتقطها من جديد ، بالضبط
كما يفعل لاعب السيرك بلعبة « اليويو » ، وبأن فترات أعمارنا على
وجه الأرض لا تتجاوز تلك اللحظات التى تنقضى بين عمليتى القذف
والالتقاط • اذا افترضنا كل ذلك ، فهل تعتبر تلك الآلية الهائلة
التي تحكم الكون عبثا لا هدف له ؟

الشیطان : لا يا صديقى • ليس هكذا • انت تضع لحياتك هدفا محددا
ولذلك تعتقد أن الحياة يجب أن يكون لها هدف • اذا كان الأمر
كذلك ، فالأجدر بك أن تتوقع أن يكون للحياة أصابع فى يديها

وأصابع فى قدميها ، تماما كما ان لك أصابع فى يديك وفى
قدميك .

دون جوان : لكننى لا أمتلك هذه الأعضاء الا لأنها تخدم هدفا محددا
عندى . كذلك فانا - يا صديقى - جزء لا يتجزأ من الطبيعة . .
بالضبط كما أن أصابعى جزء لا يتجزأ منى . واذا كان أصبعى هو
العضو الذى أمسك به السيف والماندولين ، فان عقلى يعتبر العضو
الذى تجاهد به الحياة كى تفهم نفسها . لو أن عقلى كان عقل
كلب ، فلن يخدم الا أهداف الكلاب . . لكن الواقع أن عقلى مشغول
بنوع من المعرفة لا يخدمنى أنا شخصا ، بل يجعل جسمى عبئا
ثقيلا على شخصى ، ومن ثم يعتبر المرض والموت كارثتان تهددان
كفاحى لفهم الحياة . واذا لم أندرع بهدف اعتنقه وأسعى لتحقيقه ،
فالأجدر بى هو ألا أكون فيلسوفا ، بل عاملا على محراث فى حقل ،
وذلك لسبب بسيط . . أن عامل المحراث يعيش عمره كله
كالفيلسوف تماما . . يأكل أكثر مما يأكل ، وينام ساعات أكثر مما
ينام ، ويستمتع بزواجه بين أحضانها أكثر مما يفعل الفيلسوف . .
بل وبدون أى منغصات . كل ذلك لأن الفيلسوف واقع فى قبضة
قوة الحياة ، تلك التى تخاطبه قائلة : « لقد انتجت آلاف الأشياء
دون أن تكون لدى أى رغبة فى ذلك ، اللهم الا الرغبة المجردة فى
الحياة ، وسلوك السبيل الذى يكفل لى أقل قدرة ممكنة للدفاع
عن الحياة . والآن أريد أن أعرف من أنا ، وما هو مصرى ، ومن
ثم اختار طريقى . . ولذلك صنعت نوعا خاصا من العقول ، هو
عقل الفيلسوف ، يستطيع اختزان المعرفة بين جنباته من أجل ،
بالضبط كما يقبض الزوج بيده على المحراث من أجل . » ثم تستطرد
قوة الحياة قائلة : « من أجل هذا الهدف يجب أن تكافح . . طوال
أيام حياتك وحتى توافيك المنية . . وعندئذ أصنع عقلا آخر ،
وفيلسوفا آخر يتسلم الراية من بعدك ويناضل لتحقيق أهدافى . »

الشیطان : وما فائدة المعرفة ؟

دون جوان : ماذا ؟ . . المعرفة هى القدرة على اختيار أفضل الطرق
صلاحية لتحقيق أهداف الحياة ، وهى التى تصونك من الضياع
فى تيار المقاومة الضعيفة . ألا تعتقد أن ابشار السفينة الى هدفها
المنشود تعتبر أفضل من كتلة خشب تتقاذفها الأمواج فى كل
اتجاه ؟ الفيلسوف هو ملاح الطبيعة ، وهذا هو الفرق بينى وبينك
. . أن تكون فى جهنم ، معناه أن تنجرف مع الأمواج . . وأن تكون
فى الجنة معناه أن تقود سفينتك الى بر الأمان .

الشيعة ان : لكى ترتطم بصخور الشاطئ !!

دون جوان : أوف .. أى السفينتين هى التى ترتطم بالصخور ، وأيهما تغوص فى الأعماق ؟ .. التى تتقاذفها الأمواج أم التى يقودها ربان ؟

الشیطان : لا بأس . لا بأس .. اذهب حيث تريد يا سنيور «دون جوان»
.. اننى أقبل وأرحب بأن تكون ، أنت ، سيدا لى .. لكننى لا أقبل إطلاقا أن تكون أداة فى يد أى قوة كونية آتمة . أعرف أن الجمال شيء يسر الناظرين ، وأن الموسيقى تسعد المستمعين ، وأن الحب احساس جميل ، وأن هذه كلها أشياء يطيب للناس التفكير فيها والكلام عنها .. وأعرف انك يجب أن تكون كائنا نقيًا ومهذبًا ، حتى تستطيع استيعاب هذه الأحاسيس والعواطف والدراسات . مهما يقولون عنى فى الكنائس على وجه الأرض فاننى أعرف أنه من الأمور الثابتة فى الكون كله - خصوصا فى المجتمعات الرشيدة - أن « أمير الظلام » ما هو الا جنتلمان .. وهذا يكفينى تماما . أما بالنسبة لقوة الحياة .. تلك التى تحدث عنها وتقول أنها لا تقاوم .. فانها أكثر شيء فى الدنيا عرضة للمقاومة .. خصوصا من ذلك الذى يدعى أن له شخصية مستقلة وكيانا قائما بذاته . ان هذه القوة ستجعلك تصطدم بعقيدتك الدينية ، ابتداء من قيامهم برش الماء على الأطفال عند تعميدهم فى الكنيسة أملا فى انقاذ أرواحهم من شرورى .. بعد ذلك تأخذك هذه القوة من الدين الى العلم ، حيث تجعلك مضطرا الى اختطاف الأطفال من مياه التعميد ، وتطعيمهم بميكروبات المرض لتحصينهم ضد الإصابة بعدواه .. وبعد العلم تأخذك الى السياسة ، حيث تصبح مخلب القط الذى يستخدمه الموظفون الفاسدون ، والتابع الأمين وراء طموحات الرجل السياسى ، وفى النهاية يكون مصيرك هو اليأس والانهايار .. حيث الأعصاب المرهقة والآمال المحطمة والأحزان المعبدة ، التى تتجرعها كلها كنتيجة حتمية لاسوأ وأسوأ ما يتعرض له مخلوق من اخفاقات الضياع والتضحية .. ثم ضياع قوة المتعة والتضحية بها .. وباختصار ، يصبح هذا هو القصاص الرادع الذى يعاقب به الانسان الأبله الذى يقضى عمره فى مطاردة ما هو أفضل من قبل أن تصل يديه الى ما هو جيد .

دون جوان : لكننى - على أقل تقدير - لن أتألم .. وهذه هى الميزة الوحيدة فى قوة الحياة . وداعا يا سنيور ابليس .

الشیطان : (متوددا) وداعا يا سنيور « دون جوان » . سأذكر لك دائما
محاوراتك الممتعة حول المسائل العامة . أتمنى لك كل السعادة .
الجنة – كما قلت لك من قبل – تناسب أذواق بعض الناس .
لا تنسى – اذا غيرت رأيك – ان الأبواب هنا ستظل مفتوحة
للمرتدين التائبين . فاذا ساورك هذا الشعور يوما ما ، وساورتك
الرغبة الحارة ، وأرقتك العاطفة التلقائية الخاصة ، والمتعة البريئة،
والدفء ، والحقيقة الحية ..

دون جوان : (باستنكار) قل بصراحة : « اللحم والدم » .. هذان الشيطان
الشائعان المقرزان اللذان تركناهما من ورائنا في الحياة الدنيا .

الشیطان : (بغضب) هكذا ! ترد على وداعي اياك بصفعة على وجهي
يا « دون جوان » .

دون جوان : أبدا .. ولكن اذا كان الانسان يستطيع أن يتعلم شيئا ما من
الشیطان الساخر .. فاني لا أطيق أن أتعلم منك أى شيء يتعلق
بالعاطفة . سيدي القائد .. انت تعرف الطريق الى حدود الجنة ..
خذني الى هناك من فضلك .

التمثال : أوه .. الحدود هي مجرد الفرق بين طريقتين في التطلع الى
الأشياء . كل الطرق تؤدي بك اليها مادمت راغبا في الذهاب .

دون جوان : حسن .. (يحيى آنا) خادمك يا سنيورا .

آنا : أنا ذاهبة معك .

دون جون : لكنني سأذهب الى الجنة على طريقتي أنا ، وليس على طريقتك
أنت يا « آنا » !

آنا : شيء مزعج !

التمثال : (مودعا) رحلة سعيدة يا « جوان » (يطلق خلفه عدة جمل
موسيقية كتعبير عن الوداع ، فتسمع نغمة أخرى كرد على تحيته)
آه .. يذهب الى هناك !! أوف .. ياله من متحدث بارع .. لن
يحتلمونه في الجنة .

الشیطان : (بحزن) بالعكس .. ذهابه يعتبر هزيمة سياسية لي ..
لم أفلح في الاحتفاظ هنا بعباد الحياة هؤلاء . كلهم يذهبون .
هذه أكبر هزيمة منيت بها بعد ذهاب ذلك الرسام الهولندي ،
الذي كان يرسم المرأة العجوز التي في سن السبعين بنفس المتعة
التي يرسم بها « فينوس » وهي في سن العشرين .

التمثال : آه .. جاء الى الجنة .. تذكرته .. « رمبرانت » .

الشیطان : آه ! .. « رمبرانت » .. هؤلاء الرفاق فيهم شيء غير طبيعي .. لا تسمعهم يرتلون الانجيل أبدا يا سيادة القائد .. شيء خطير .. احذر السعي وراء «السوبرمان» ، لأنه يصل بك الى احتقار البشرية .. يرى أن الخيل والكلاب والقطط لا تزيد عن كونها مجرد أصناف تقف خارج حدود العالم الأخلاقي للانسان .. وهكذا يصبح الانسان الاسمي والرجال والنساء مجرد أصناف هي الأخرى ، وأصناف تقف خارج حدود العالم الأخلاقي .. « دون جوان » هذا كان لطيفا مع النساء ومهذبا مع الرجال .. بالضبط كما كانت ابنتك هذه عطوفة مع قططها وكلابها .. لكن عطفها هذا يعتبر انكارا للسمة البشرية المطلقة للروح .

التمثال : ومن هو « السوبرمان » يا ابليس ؟

الشیطان : آخر صيحة في أوهم قوة الحياة .. ألم تقابل - وانت في الجنة - ذلك الألماني البولندي المجنون الذي وصل مع الوافدين الجدد ؟ هل تذكر اسمه ؟ .. آه .. « نيتشه » !

التمثال : لم أسمع به مطلقا ..

الشیطان : حسن .. كان هنا في البداية ، وقبل أن يكتشف مواهبه .. وكنت أعقد عليه آمالا كبارا ، لكنه كان من عشاق « قوة الحياة » .. هو الذي أعاد الى الأذهان فكرة « السوبرمان » ، وهي فكرة قديمة جدا قدم فكرة «بروميثيوس» .. وعندما يتبرم القرن العشرون من العالم والجسد ومنى أنا - خادمك المطيع - فان أبناءه سيلهثون وراء فكرة « السوبرمان » ، أو الانسان الأعلى ، أو الانسان الأسمي هذه ..

التمثال : « سوبرمان » !! .. صرخة مدوية ، والصرخة المدوية نصف معركة .. ليتنى أرى « نيتشه » هذا ..

الشیطان : للأسف قابل « فاجنر » هنا وتشاجر معه ..

التمثال : بالضبط ، كما فعل « موزار » معي ..

الشیطان : أوه .. لم يتشاجرا بسبب الموسيقى .. المسألة أن « فاجنر » كان قد وقع ، فترة من عمره - في تقديس « قوة الحياة » وابتكر انسانا أسماه « سيفجريد » .. لكنه عاد الى رشده وتاب ، ولذلك اتهمه « نيتشه » - عندما التقيا هنا - بأنه مرتد ، وكتب مقالا

يثبت فيه أن « فاجنر » كان يهوديا ، بل وضابى أيضا . والآن
هيا بنا يا صديقى ، دعنا نسرع الى قصرى ونستعد لاقامة حفل
موسيقى كبير احتفالاً بمقدمك الينا فى جهنم .

التمثال : بكل سرور . . انت لطيف جدا .

الشیطان : تعالى من هذا الطريق يا سيدى . . دعنا نهبط فى المركبة
القديمة (يركب فوق مركبة القبر) .

التمثال : حسن . . (بتأمل) . . « سوبرمان » . . فكرة رائعة . . فيها
شئ من السحر (يركب مركبة القبر بجوار الشيطان وتهبط ببطء .
تظهر نار حمراء متوهجة من جهنم) آه . . هذه النار تذكرنى
بالماضى المصيق .

الشیطان : وأنا أيضا .

آنا : قف ! (تتوقف المركبة)

الشیطان : لا يا سنيورا . . لن نحضرى معنا . . دعينا نصل الى المجد
. . أما انت فستظلين فى القصر من بعدنا .

آنا : أنا لم أعطلكما لهذا السبب . اخبرنى . . أين أجد «السوبرمان» ؟
الشیطان : لم يخلق بعد يا سنيورا .

التمثال : وقد لا يخلق بالمرّة . دعينا نمضى لسبيلنا . النار تزكم أنفى
(يهبطان) .

آنا : لم يخلق بعد ! . . اذن لم يتحقق هدفى بعد (ترسم علامة الصليب
على صدرها) أنا أو من بالحياة القادمة (تصرخ مخاطبة الكون)
أريد أبا . . أب للسوبرمان . .

(تختفى « آن » فى الفضاء ، ويخلو المسرح مرة أخرى . . يسمع
صوت آدمى يهتف من بعيد . ترى قمة جبل تهتز فى مواجهة
سطح الأرض . تعود السماء من جديد . . ينير المكان الذى يعبر عن
المشهد . يتضح الصوت ويمكن التعرف عليه . . يقول «اوتوموبيل
. . اوتوموبيل» . . يعود الواقع من جديد . أخيرا نحن أمام منظر
الصباح فى منطقة « سيرا » . قطاع الطريق يهبون من نومهم
واقفين ، والراعى يهبط من أعلى التل راكضا ومنذرا اياهم باقتراب
سيارة أخرى . ينهض « تانر » و « مندوزا » مذعورين ويحملقان
فى أحدهما الآخر . أما « ستريكر » فيتثائب وهو جالس ، ثم ينهض

واقفا ، وكأنه لا يعنيه شيء مما يهتم به أفراد العصابة . يتلفت
« مندوزا » ليتأكد من أن رفاقه قد استمعوا الى الأنداز ، ثم يتبادل
حديثا خاصا مع « تانر » :

مندوزا : هل حلمت وانت نائم ؟

تانر : يا للعنة ! .. وهل حلمت انت الآخر ؟

مندوزا : أجل .. لكننى نسيت .. رأيتك فى الحلم .

تانر : وأنا رأيتك فى حلمى .. شيء غريب !

مندوزا : لقد حذرتك (يسمع صوت عيار نارى من جهة الطريق) الأغبياء !
.. يلعبون بالبندقية (يدخل أفراد العصابة راكضون) من أطلق
هذه الطلقة ؟ (يخاطب دوفال) أنت ؟

دوفال : (لاهتا) لا .. بل هم الذين بادروا بإطلاق الرصاص .

الفوضوى : قلت لكم مرارا ان هدفنا الأول هو القضاء على الدولة ..
لكننا بهذه الطريقة نضل الطريق .. نضيع ..

الاشتراكى الديمقراطى المشاكس : (يقفز الى عرض المسرح) كله يجرى .

مندوزا : (يمسكه من ياقة سترته ويطرحه على الأرض ويخرج من جيبه
سكيناً) سأذبح من يتحرك من هنا (يسد الطريق لثلا يهرب
أحد) ماذا حدث ؟

الاشتراكى الديمقراطى العابس : سيارة ..

الفوضوى : ثلاثة رجال .

دوفال : وسيدتين .

مندوزا : ثلاثة رجال وسيدتين ! لماذا لم تحضروهم هنا ؟ .. خائفون
منهم ؟

الاشتراكى الديمقراطى المشاكس : (ينهض من الأرض) معهم اناس
آخرون . دعنا نراهم يا « مندوزا » .

العباس : فى نهاية الوادى سيارتين مسلحتين مملوءتين بالعساكر .

الفوضوى : الطلقة اطلقت فى الهواء .. اشارة .

(سترىكر يصفر بلحنه المفضل الذى يقع من العصابة موقع
الموسيقى الجنازية)

تائر : اذن فهم ليسو مرافقين ، بل حملة للقبض عليكم . لقد نصحبونا
بالانتظار لمرافقتهم فى الطريق ، لكننى كنت متعجلا .

العابس : (خائفا) يا الهى .. ولماذا ننتظر ؟ .. دعونا نهرب الى الجبال .

مندوزا : أيها الأبله ، ماذا تعرف عن الجبال ؟ أسباني أنت ؟ سيقبض
عليك أول راعى يصادفك هناك ، الى جانب اننا أصبحنا فى مرمى
مسدساتهم .

العابس : لكن ..

مندوزا : سكوت .. اترك هذه لى . (يخاطب تائر) أيها الزميل .. لن
تخوننا .. أليس كذلك ؟

ستريكر : تقول : « زميل » ؟

مندوزا : بالأمس كنت أنا سيد الموقف .. سارق الفقراء كان تحت رحمة
سارق الأغنياء .. ولقد مدت لى يدك ، وأنا صافحتك .

تائر : لكننى لم أعدك بشئ يا زميلى . قضينا معك ليلة لطيفة .. هذا هو
كل شئ .

ستريكر : أنا لم أصافح أحدا .. فاهم ؟

مندوزا : (يخاطبه بتائر) أيها الشاب .. أنا لو حوكت سآدان ..
سأتكلم عن سبب هروبى من انجلترا ومن بيتى ومن عملى . هل
تريد أن امرغ اسم عائلتكم المحترمة « ستريكر » فى الوحل عندما
أبوح به فى محكمة الجنايات فى أسبانيا ؟ البوليس سوف يفتشنى
.. سوف يعثرون معى على صورة « لويزا » ، وسينشرونها فى
المجلات المصورة .. تراجع ، والا جنيت على نفسك .. تذكر هذا .

ستريكر : (غاضبا) أنا لا يهمنى المحكمة . كل ما أرفضه هو ذكر اسمنا
مقرونا باسمك ، أيها النصاب الخنزير .

مندوزا : ألفاظ لا يليق بأخ «لويزا» التفوه بها ! لا يهم .. انت مرتبك ،
وهذا يكفينى . (يواجه رجاله الذين يتراجعون عبر المسرح فى
اتجاه الكهف للاختفاء وراءه . فى نفس الوقت يدخل جماعة من
الناس يرتدون ملابس السفر بالسيارات وهم : « آن » التى تتجه
مباشرة الى « تائر » ، ثم « فيوليت » التى يساعدها « هكتور »
على الخطو على الأرض المليئة بالحصى وهو يمسك يدها اليمنى ،
بينما يمسك « ريمسدن » بيدها اليسرى . يجلس « مندوزا » على

الحجر - الذى يعتبره كرسى الرئاسة - ومن خلفه رجاله واقفون
وهم : «دوفال» والفوضوى على يمينه ، والاشتراكيان الديمقراطيان
عن يساره) .

آن : هذا « جاك » .

تاجر : آه .. « كبسة » .

هكتور : صحيح .. ها أنت يا «تاجر» . توقفنا لأن اطار السيارة انفجر
الطريق مملوء بالمسامير .

فيوليت : ماذا تفعلان مع هؤلاء الناس ؟

آن : لماذا سافرتما بدون استئذان ؟

هكتور : الآن أعطني باقة الورد يا آنسة « واتيفيلد » . (يخاطب تاجر)
عندما عرفنا انك سافرت ، راهنتنى الآنسة « آن » على باقة ورد
اذا لحقنا بسيارتك قبل أن تصل الى مونت كارلو .

تاجر : لكن هذا ليس طريق مونت كارلو .

هكتور : لا يهم .. الآنسة « آن » كانت تبحث عنك فى كل مكان توقفت
فيه .. « شرلوك هولمز » بالضبط .

تاجر : قوة الحياة !! .. أنا ضعت والحمد لله .

اوكتافىوس : (يدخل المسرح من جهة الطريق ويقف بين تاجر وستريكر)
يسعدنى انك بخير أيها الولد العجوز . خفنا أن تكون قد وقعت
فى أيدي قطاع الطريق .

ويمسلى : (يحملق فى مندوزا) يهيا لى اننى رأيت صديقك هذا من قبل
(ينهض مندوزا وهو يبتسم ويقف) .

هكتور : وأنا كذلك .

اوكتافىوس : أنا أعرفك جيدا يا سيدى ، لكننى لا أذكر أين التقينا .

مندوزا : (يخاطب فيوليت) أتذكرين انك رأيتنى يامدام ؟

فيوليت : طبعاً .. لكننى غبية جدا فى تذكر الأسماء .

مندوزا : فى فندق « سافوى » .. (يخاطب هكتور) كنت تحضر مع هذه
السيدة يا سيدى (لاوركتافىوس) وانت يا سيدى ، جئت مرارا
للغداء مع هذه السيدة وأمها وأنتم فى طريقكم الى مسرح « ليسيام »

(ل : ريمسدن) أما أنت يا سيدى فكنت تتناول العشاء مع (يخفض
صوته فيصبح همسا مسموعا) سيدات كثيرات من كل نوع .

ريمسدن : وما شأنك انت بذلك ؟

اوكتافىوس : اوه . . « فيوليت » كنت أظن انك لم تتعرفى على « هكتور »
الا فى هذه الرحلة .

فيوليت : (بارتباك) أعتقد أن هذا الشخص هو مدير الفندق .

مندوزا : بل « الجارسون » يا سيدتى . يسرنى الالتقاء بكم جميعا . لقد
جمعت مالا وفيرا من الطريقة الكريمة التى كنتم تعاملوننى بها ،
والتى جعلت زيارتكم للفندق متعة كبيرة .

فيوليت : يا للوقاحة ! (تدير ظهرها له وتتجه الى التل بمصاحبة هكتور)

ريمسدن : هذا يكفى يا صديقى . لا نحاول معاملة هؤلاء السيدات
كصديق لهن ، لمجرد أنك خدمتهن كجارسون على المائدة .

مندوزا : معذرة . . لكن أنتم الذين ادعيتهم معرفتى . . انت بدأت بذلك .
ثم حذت السيدات حذوك . على أية حال ، قفلنا الموضوع . .
لن أستطيع الكلام معكم ، مادمتم تتحدثون بهذا الأسلوب الشائق
كفركم من أبناء طبقكم . أما بعد ذلك ، فأرجو أن تخاطبني
بالاحترام الذى يليق بانسان غريب عنك ورفيق لك فى السفر
(يستدير باحتقار له ، ويذهب ليجلس على كرسي الرئاسة) .

تائر : الرجل قابلته فى الطريق صدفة ، ولديه قدرة هائلة على الحوار
العاقل . . لكنكم تسبونهُ كلكم بدون أى تعقل . . حتى « الرجل
الجديد » لا يقل سوءا عن أى فرد منكم . « هنرى » ، تصرفك هذا
لا يصدر الا عن « جنتلمان » مسكين جدا .

ستريكر : أنا لست « جنتلمان » .

ريمسدن : « تائر » . . الواقع أن هذه اللهجة . .

آن : لا تأبه به يا « جرينى » . . حاول أن تفهمه على هذه الحال من الآن
فصاعدا (تتأبط ذراعه وتصحبه تجاه التل ويلفان ب : فيوليت
وهكتور . أما اوكتافىوس فيمشى وراءهما خاضعا كالكلب الوفى) .

فيوليت : (تصيح بهم) عساكر الشرطة قادمون . . ينزلون من سياراتهم .

دوفال : اوه . . اسم الله !

الفوضوى : أيها الأغبياء ! الدولة ستقضى عليكم لأنكم أبقيتم عليها لحساب البورجوازية الطفيلية .

الاشتراكي الديمقراطي العابس : (لا يزال على قدرته الجدالية حتى النهاية) بالعكس .. هذا ممكن بشرط السيطرة على جهاز الدولة ..

الفوضوى : بل الدولة هي التى ستقبض عليكم .

الاشتراكي الديمقراطي المشاكس : يا للعنة ! لماذا نقف هنا ؟ ماذا ننتظر ؟

مندوزا : (بغيط) أكمل .. تكلموا فى السياسة يا أغبياء .. يجب أن يبدو كل شئ عاديا ومثيرا للاحترام .. اسكتوا .. أقول لكم اسكتوا .

(الجنود يحاصرون الطريق ويسيطرون على المسرح بمسدساتهم . يحاول أفراد العصابة الاختباء وراء بعضهم البعض . ينهض مندوزا بشجاعة وملامح ثابتة . يدخل الضابط الى المسرح من جهة الطريق وينظر الى أفراد العصابة بوحشية ، ثم يخاطب تانر متسائلا) .

الضابط : من هؤلاء الرجال يا سنيور « انجلز » ؟

تانر : بطانتي .

(ينحنى مندوزا وعلى شفتيه ابتسامة تشبه ابتسامة ميغوستوفيليس ، وتسمع همهمات بين أفراد العصابة ، ويلمسون أطراف قبعاتهم احتراما .. ماعدا الفوضوى الذى يضم ذراعيه الى بعضهما البعض وكأنه بذلك يتحدى الدولة) .

الفصل الرابع

حديقة فيلا بمنطقة « سيرا »

على من يريد معرفة منظر هذه الحديقة ان يذهب الى «جرانادا» ويراه ، بحيث يعتبر من نافلة القول ان يقدم المرء وصفا لمجموعة التلال المحيطة بالفيلات ، والتي يقف قصر « الهمبرا » فوق واحد منها . أما في الوادى فتتجمع مدينة جميلة تحف بها بعض الطرق الرمادية الترابية التى يلهو فيها الأطفال بطريقة آلية دون وعى بما يصدر عنهم من أفعال او ما يدور برءوسهم من أفكار ويرتفع صياحهم تسولا لنصف بنس أو يمدون الأيدى طلبا لبعض الثمرات الرطبة . على ان اهم ما فى هذه المنطقة هو « الهمبرا » وفيما عدا ذلك لا يرى المرء هناك غير التسول ولون الطرقات . . وهما الشئين اللذين لا يتفان مع سعة منطقة مثل « سيرا » ، ولا مع مكانة دولة كاسبانيا . والفرق بين الاثنين هو ان تلال « سيرا » تعتبر - بالمقارنة - ضئيلة وكثيرة ، ومن ثم يجب تسميتها «اورام سيرا» ، وهو عكس الحال فى التلال الأسبانية التى تتكون من كتل جبلية هائلة . ولا غرو ، فالجمال الذى تتسم به هذه المنطقة بالنسبة لجمها الصغير لا تتناسب ابدا مع ما فيها من بهاء .

اما الحديقة الخاصة بهذه الفيلا فتقع فوق أحد التلال المواجهة للهمبرا . وأما الفيلا ذاتها فتجسد حجم التكاليف الباهظة والمظهرية اللتين تتصف بهما أى فيلا تاجرها مفروشة لمدة اسبوع للسائح الأمريكان والانجليز الأثرياء . وإذا وقفنا بالممر الواقع عند اعتاب الحديقة وتوجهنا ببصرنا الى أعلى التل فاننا نرى السور الحجري والرصيف المخطط عند حافة الفراغ المحدود الواقع أعلى التل . وفى المساحة الواقعة بين موقفنا عند الممر وهذا الرصيف ، توجد حديقة زهرية تضم حمام سباحة مستديرا وفى وسطها نافورة تحيط بها احواض زهرية بأشكال هندسية وممرات مفروشة بالحصى واشجار الطقوس المرصومة على أروع ما يكون الترتيب . هذا ، وتجدر الإشارة الى أن مستوى ارض الحديقة يرتفع فوق مستوى الممر الذى نقف عليه ، ولذلك يمكننا الوصول اليها عبر عدد من درجات سلم يقع فى منتصف الجسر . كذلك نلاحظ أن الرصيف ، هو الآخر ، أعلى من الحديقة ، ومنه نصعد درجتى سلم اضافيتين

نستطيع منها النظر فوق مستوى السور فيطالعنا مشهد بالغ الجمال
للمدينة الواقعة في نهاية الوادى ، وللتلال الممتدة وراءها والتي
تتحول - بعد مسافات شاسعة - الى جبال ساحقة .

على يسارنا تقع الفيلا ، وهى مزودة بعدد من درجات السلم
عند الركن اليسارى للحديقة . واذا عدنا من الرصيف مروراً بالحديقة
هابطين الى المر (وهى الخطوات التى تصبح بها الفيلا خلفنا الى
اليمن) فاننا نكتشف اشارة الى اهتمامات أدبية من جانب المقيمين
بالمنطقة نتيجة عدم وجود شبكة تنس هناك او مجموعة من اطواق
الكروكيه . وعلى يسارنا ايضا نرى منضدة معدنية عليها بعض
الكتب - معظمها ذات غلاف اصفر - وبجانبها كرسي ، الى جانب
كرسي آخر على اليمن وامامه كتابين مفتوحين على المنضدة . ليس على
المنضدة جرائد يومية ، وهو موقف قد يؤدى بالمشاهد الذكى الى
التوصل - مع غياب الألعاب الرياضية - الى أكثر الأحكام تطرفا فيجا
يتعلق بنوعية المقيمين بالفيلا . على أية حال ، فان مثل هذه التاملات
لا يكبح جماحها - فى أمسية صافية كهذه - غير ظهور « هنرى
ستريكر » عند البوابة الصغيرة ، وقد ارتدى زيه الرسمي . يفتح
البوابة ليمرق منها « جنتلمان » عجوز ثم يسير وراءه على المر .

يبدو ان هذا « الجنتلمان » العجوز يتحدى شمس اسبانيا
بارتدائه « فراك » اسود ، وقبعة حريرية عالية ، وبنطلون ذو خطوط
مقاربة يمتزج فيها اللونين : الرمادى الداكن والليلاك فينتجان لونا
راقيا ومحترما ، وربطة عنق سوداء . على ان الانسان الذى يفرض
وضعه الاجتماعى نوعا من تأكيد الذات المستمر والمتوجس معا ، دون
ان يبدل اى اهتمام بالجو الذى يعيش فيه ، هو ذاك الانسان الذى
يرتدى مثل هذه الملابس ، سواء فى منطقة صحراوية كهذه او على
قمة جبل مثل « مون بلان » . وحيث أنه لا يضع على صدره الشارة
الدالة على طبقته ، والذي يؤدى هدف وجودها بالاعلان والدعاية عن
الطبعة اذول من الخياطين وصناع القبعات النسائية الذين يتعامل
معهم ، فانه يبدو - عند ارتدائه أفضل ما عنده من ثياب - خشنا
ومبتدلا ، رغم انه اذا ارتدى ملابس من أى نوع كانت فانه يبدو
- معها - أكثر وقارا واحتراما . وهو منتفخ الوجنتين ، أحمر
البشرة ، قهيم الشعر ، ضيق العينين ، ضخم الفم تحيط بركنيه
تجمعات واضحة ، وله لحية مدببة . أما الجلد المترهل ، الذى يجيء
بفعل عامل السن ، فقد زحف ليفزو رقبته وركني وجنتيه . ومع
ذلك لا يزال بدنه متماسكا كما التفاحة قبل أن تقضمها الأسنان ،
ومن ثم يبدو النصف العلوى لوجهه أكثر شبابا وحيوية من نصفه
الأسفل . انه يملك من الثقة بالنفس ذلك القدر الذى يتوفر لدى
انسان استطاع جمع الثروة ، وقدر من الضراوة التى يتصف بها
انسان جمع تلك الثروة بقدر كبير من النضال المتهاقت . ولذلك
يختفى تحت مظهره المتهدين قدر واضح من التوجس يبدو أنه دفعه

الى ادخار الكثير من الوسائل وكانها رصيد احتياطي يلجأ اليه عند الحاجة .

على أية حال ، فإن مثل هذا الإنسان يثير فينا قدرا كبيرا من الإشفاق عليه ، خصوصا عندما لا يعمد الى إثارة مخاوفنا منه . وذلك لأنه يتصف أحيانا بقدر من العطف على الآخرين . . بالضبط كما لو كانت الآلة التجارية الضخمة - التي مكنته من ارتداء « الفراك » - قد تركت له قدرا ضئيلا يستطيع به الحياة على سجيته ، بينما ازاحت عواطفه جانبا فامست جائمة حائرة .

يتضح من أول لفظ يقلت من شفتيه انه إيرلندي لا تزال لهجته الأولى تتردد أصداؤها في صوته برغم التغيرات الجمة التي فرضها موطن القامته الخالي ووضعه الاجتماعي . ان كل ما يستطيع المرء العنسى به هو ان لهجته إيرلندية قح . لكن افساد طريقة النطق في كل من لندن وجلاسجو ودبلن وغيرها من المدن الكبرى قد فعلت فعلها في لهجته الى الحد الذي لا يستطيع معه أحد - باستثناء الشخص المشرد من أحياء لندن الفقيرة (كوكني) - ان يتغلب انها لا تزال هي هي لهجته الوطنية حتى الآن . والسبب انها قد فقدت رنينها - رغم ان خشونتها لا تزال واضحة . أما « ستريكر » الذي يبدو « كوكنيا » بشكل واضح جدا - فيشير فيه قدرا من الازدراء لا يطاق ويعتبره انجليزيا غبيا لا يستطيع وتو مجرد النطق السليم بلفظه الأم . وعلى الطرف الآخر يعتبره « ستريكر » مجرد انسان يتحدث بلهجة « جنتلمان » عجوز ، وكأنه نكتة أطلقتها العناية الآلهية بعد تفكير عميق لكي تثير السخرية بالجنس البريطاني وتجعلنا نعامله بذلك النوع من المعاملة المنعمة بالازدراء ، والتي تليق بالكائنات المنحلة النكدة ، مع استثناء واحد ، وهو ان هذا الازدراء لا يستثيره الا احتقار هذا « الجنتلمان » المجوز لانتمائه الايرلندي وكأنه هوا ، لا يمكن مناقشته بجدية .

ستريكر : سأخبر الآنسة بقدومك . قالت انك تحب الإقامة هنا .
(يستدير ويمشي في الحديقة باتجاه الفيلا)

الآيرلندي : (يتلفت حوله باعجاب ودهشة) الآنسة ؟ . « مس فيوليت »
هه ؟

ستريكر : نعم . . هل تعرفها ؟

الآيرلندي : وهل تعرفها انت ؟

ستريكر : (بشيء من الانفعال) تعرفها أم لا تعرفها ؟

الآيرلندى : وما دخلك فى ذلك ؟

(يعود ستريكر ، ويقف فى مواجهته وقد اعتلى وجهه تعبير عن
الازدراء)

ستريكر : أقول ما هو دخلى فى ذلك .. « مس روبنسون » ..

الآيرلندى : (مقاطعا) اوه .. اذن فهى من أسرة « روبنسون » ، أليس
كذلك ؟ .. شكرا

ستريكر : ماذا ؟ الا تعرف اسمها بالكامل ؟

الآيرلندى : اعرفه .. ولكن بعد ان سمعته منك .

ستريكر : اسمع ! اذا لم تكن أنت الشخص الذى حملت الخطاب اليه ،
فما معنى ركوبك معى فى السيارة وحضورك الى هنا ؟

الآيرلندى : اذن .. لمن حملت الخطاب ؟

ستريكر : حملت الخطاب لـ « مستر اكتورمالون » كى يحضر لمقابلة
« مس روبنسون » ، فهمت ؟ أنا لا أعمل عند « مس روبنسون » ،
لكننى حملت الخطاب بناء على رغبتها . أنا أعرف « مستر مالون »
وانت لست « مستر مالون » - أبدا .. لكنهم أخبرونى فى الفندق
انك أنت « مستر اكتور مالون » ..

مالون : « هكتور مالون » .

ستريكر : « هكتور » .. حسب نطق بلادكم . هذه هى نتيجة الاقامة فى
المناطق المتطرفة مثل آيرلندا وأمريكا .. أما هنا ، فأنت « اكتور »
.. اذا لم تكن قد عرفت ذلك من قبل ، فستعرفه الآن .

(تنتهى المناقشة بدخول فيوليت التى تهرع من الفيلا الى الحديقة
وتهبط درجات السلم وتقف بين مالون وستريكر) .

فيوليت : هل أوصلت الرسالة يا « ستريكر » ؟

ستريكر : نعم يا آنسة . حملتها الى الفندق وأعطيتها لهم هناك وانتظرت
هبوط المستر « مالون » من غرفته فهبط الى هذا الشخص وقال انه
هو ، وأنه مستعد للرحيل معى ، فأحضرتة معى .. والآن يسحب
كل ما قال . ولكن اذا لم يكن هو الانسان الذى تطلبين ، فأرجو أن
تقولى ذلك وسأعود به الى حيث كان .

مالون : ستسدين الى معروفا اذا سمحت لى بالتحدث معك قليلا يا سيدتى

.. أنا والد « هكتور » .. وهو ما أرجو أن يفهمه هذا البريطاني
بعد ساعة من الآن .

ستيفيكي : (يهرود) لا .. بل قل بعد سنة أو أكثر .. كنا نتوقع منك
أن تكون انسانا مهذبا مثل « هكتور » .. وكان يجدر بك أن تمنع
النظر قليلا في الرسالة التي تلقيتها مني : أما الآن ، فاعتقد أنك
قد انحدرت كثيرا عن المكانة التي كنا نضعك فيها ، وللأسف ..
فإن كل ما تحرص عليه هو اضافة حرف « ه » الى الكلمات .
(يخاطب فيوليت بحنان) لا بأس . هل تريدان التحدث معه
يا آنسة ؟ .. حسن .. سأترككما وحدكما . (ينحنى احتراما
لمستر مالون ويخرج) .

فيوليت : (بلباقة) معذرة يا « مستر مالون » اذا كان هذا الرجل قد
أساء معاملتك . لكن ليس باليد حيلة .. انه سائق سيارتنا .

مالون : سائق ماذا ؟

فيوليت : سائق سيارتنا . يستطيع قيادة السيارة بسرعة سبعين ميلا
في الساعة ، ويستطيع اصلاحها عندما تتعطل .. نحن الآن نعتمد
على سيارتنا كل الاعتماد ، وسيارتنا تعتمد عليه تماما وبذلك
فاعتمادنا عليه كلي ومطلق .

مالون : سيدتي .. لقد لاحظت أن كل ألف دولار زيادة في دخل المواطن
الانجليزى ، يتبعها اضافة شخص آخر الى الأفراد الذين يعتمد عليهم
هذا المواطن . ومن ثم فلسنت بحاجة الى الاعتذار عما بدر من
سائقك .. أنا الذى جعلته يتحدث فيما أريد أنا ، لأننى بذلك
علمت أنك تقيمين هنا فى « جرانادا » مع مجموعة من الانجليز ، من
بينهم ابنى « هكتور »

فيوليت : (مستعدة للجدال) .. فعلا .. كنا ننوى السفر الى « نيس » ،
لكننا اضطررنا للحضور الى « جرانادا » للحاق بشخص غريب
الأطوار من أعضاء المجموعة ، وكان قد سبقنا الى السفر .. هلا
جلست ؟ (تحمل كتابين كانا موجودين على الكرسي القريب منه
وتشير اليه بالجلوس) .

مالون : (متأثرا بهذا التصرف الرقيق) شكرا .. (يجلس ويحملق
فيها أثناء ذهابها الى المائدة الحديدية لتضع الكتابين عليها . وعندما
تستدير عائدة اليه يادرها بقوله) « مسز روبنسون » ، اليس
كذلك ؟

فيوليت : (تجلس) نعم .

مالون : (يخرج رسالة من جيبه) خطابك « لهكتور » يقول ..
(تفاجأ فيوليت بشروعه في قراءة الرسالة ، فتقف ساكنة ..
يصمت مالون قليلا ، ثم يضع نظارته ذات الأطار الذهبي على عينيه
ويقرا) : « عزيزى » .. خرج الجميع لقضاء فترة المساء فى
« الهمبرا » ، وقد ادعيت اننى مصابة بالصداغ وجلست وحدى
فى الحديقة .. اسرع بركوب سيارة « جاك » ، وسيحضرك
« ستريكر » الى فى غمضة عين .. بسرعة . بسرعة . بسرعة ..
حبيبتك « فيوليت » . (يتطلع إليها ، لكنها تكون قد استعادت
سيطرتها على نفسها ، فتقابل نظراته بنظرات ثابتة واثقة .. يتكلم
بطء) .. لا أفهم على أى أساس يتعرف الناس على بعضهم البعض
فى المجتمع الانجليزى . لكن ما أعرفه هو أن هذا الخطاب يعنى ،
فى أمريكا ، أن هناك علاقة حميمة وقوية بين الطرفين اللذين
يتبادلان ارساله لأحدهما الآخر .

فيوليت : بالضبط .. « مسر مالون » . أنا أعرف ابنك جيدا ..
هل لديك اعتراض على ذلك ؟

مالون : (يفاجأ بالسؤال) لا .. لا .. لست أعترض لأجل الاعتراض
فحسب .. بل أرجو أن تفهمى أن « اكتور » يعتمد على فى كل شئ ،
ولذلك يجب عليه أن يأخذ رأى فى أى خطوة هامة يعتزم الاقدام
عليها .

فيوليت : أعتقد أنك لن تكون قاسيا معه .

مالون : ارجو ذلك يا « مس روبنسون » . لكن الأمر يختلف ، لأن
ما تعتبرونه أنتم ، معشر الشباب ، قاسيا ، لا يعتبر كذلك
بالنسبة لى .

فيوليت : (بانتفاضة بسيطة) اوه .. حسن .. أعتقد أنه من الأفضل
أن ندخل فى الموضوع مباشرة . « مستر مالون » .. « هكتور »
يطلب يدى للزواج

مالون : فهمت هذا من رسالتك . حسن .. هذا قراره هو يا « مس
روبنسون » .. لكنه اذا تزوج منك فلن يحصل منى على بنس
واحد . (يخلع نظارته ويضعها مع الخطاب فى جيبه)

فيوليت : (بشئ من الحدة) هذه قسوة منك يا « مستر مالون » .

مالون : أنا لم أقل شيئا يسيء إليك يا « مس روبنسون » اسمحى لى بالقول بأنك شابة جميلة وودودة لكننى أفكر فى أشياء أخرى بالنسبة « لهكتور » .

فيوليت : لكن « هكتور » نفسه لا يفكر فى غير ذلك .

مالون : ربما لا . . . اذن فليفعل ما يريد ، ولكن دون مساعدة منى ، واعتقد انك مستعدة لذلك انت الأخرى . . . عندما تكتب آنسة لشاب بأن يحضر اليها بسرعة بسرعة بسرعة ، فهذا معناه ان النقود لا قيمة لها وأن الحب هو كل شىء عندها .

فيوليت : (بحدة) معذرة يا « مستر مالون » . أنا لا أفكر بهذه الحماسة . « هكتور » محتاج للنقود .

مالون : (بنهول) ممتاز . . ممتاز . . . يعمل ليحصل على النقود !!

فيوليت : وما فائدة الحصول على النقود اذا كان سيعمل من أجلها ؟ (تنهض نافذة الصبر) هذا كلام فارغ يا « مستر مالون » . . . يجب أن تساعد ابنك فى المحافظة على مستواه . . . هذا حقه .

مالون : (بغضب) واستنادا لهذا الحق أنصحك بعدم الزواج منه يا « مس روبنسون »

(تحاول فيوليت السيطرة على نفسها ، فتفرك أصابع يديها وتجلس متظاهرة بالثبات والهدوء) .

فيوليت : ما هو اعتراضك على شخصى ؟ مركزى الاجتماعى - على الأقل - يكافئ مستوى « هكتور » . . . هو بنفسه يعترف بذلك .

مالون : (بغضب) قلت له ذلك كثيرا . . . هه ؟ « مس روبنسون » . . . المستوى الاجتماعى الذى يعيش به « هكتور » فى انجلترا هو المستوى الذى اخترته أنا له . . . لقد قدمت له عرضا معقولا . . . دعيه يختار أعظم قصر تاريخى أو قلعة أو أبرشية فى انجلترا كلها . . . وفى اليوم الذى يخبرنى فيه أنه قد اختار لنفسه زوجة على مستوى التقاليد التاريخية لهذا القصر أو القلعة أو الأبرشية ، فأننى ساشتريه فوراً وأوفر له امكانيات الإقامة فيه .

فيوليت : ماذا تعنى بقولك : زوجة على مستوى تقاليده التاريخية ؟ ألا تستطيع أى امرأة جيدة التربية والأخلاق أن توفر له إقامة طيبة فى هذا القصر ؟

مالون : لا يمكن . . يجب أن تكون مولودة أساسا لتعيش فيه .
فيوليت : ولكن « هكتور » لم يولد ليعيش على هذا المستوى ، أليس كذلك ؟

مالون : أبدا . . جدته فتاة إيرلندية حافية القدمين ، وكانت تنظف لي المدفأة . . دعيه يتزوج فتاة أخرى مثلها ولن أبخل عليه بشيء .
دعيه يستخدم نقودي في رفع مستواه الاجتماعي أو رفع مستوى أى شخص آخر . . وحيث تتاح الفرصة لتحقيق أى كسب اجتماعي ، فإن ما أنفقه للحصول عليه يعتبر مكسبا هو الآخر .
يجب أن يكون هناك شيء ما يسعى الإنسان لكسبه . أما الزواج منك فسيجعل الأمور تستقر حيث هي دون أن يحقق أى تقدم .

فيوليت : معظم أقاربي سيعارضون كثيرا في زواجي من حفيد سيدة عادية يا « مستر مالون » ، وهذا تعصب . . لكن هذه هي رغبتك . .
تريده أن يتزوج من فتاة تحمل لقباً مرموقاً . . لا شيء إلا لتتفاخر أنت به .

مالون : (ينهض ويقترب منها بشيء من الاحترام الساخر) يبدو أنك انسانة صريحة بكل ما تحمله الكلمة من معان .

فيوليت : لا أفهم . . لماذا اعتبر فتاة بائسة لمجرد انني لا أحاول أن أستفيد منك بشيء . . لماذا تريد جلب التعاسة الى « هكتور » ؟

مالون : هو الذى يجلب التعاسة لنفسه . . الناس يتعذبون اذا فشلوا فى الحصول على الحب أكثر من عذابهم اذا فشلوا فى الحصول على المال . . أعتقد أنك تعتبرين هذه خسة مني . . لكنني أعى جيدا ما أقول . . لقد مات أبى جوعا فى إيرلندا فى طاعون سنة ١٨٤٧ . . هل سمعت عنه ؟

فيوليت : المجاعة ؟

مالون : (بانفعال مكبوت) لا . . بل الموت جوعا . . البلد التى تنتج الطعام بوفرة وتصدره الى الخارج لا تحدث فيها مجاعة . . أما الذى حدث لأبى فهو أنه مات من الجوع . . وأما أنا فقد هربت الى أمريكا وأنا طفل على ذراع أمي . . القانون الانجليزى طردنى وأنا وأمي من إيرلندا . . أما أنت فتستطيعين الإقامة فى إيرلندا . . وأنا وأشباهي نعود الآن لشراء انجلترا . . وسنشترى أحسن ما فيها . . لا أريد ممتلكات الطبقة المتوسطة ، ولا أريد نساء الطبقة المتوسطة من

أمثالك ان يتزوجن من « هكتور » .. هذه هى الصراحة ، اليس كذلك ؟

فيوليت : « مستر مالون » .. أنا مندهشة جدا أن أسمع رجلا فى مثل سنك وأخلاقك الطيبة يتكلم بهذه الطريقة الرومانتيكية . هل تعتقد أن النبلاء الانجليز سيبيعون لك ممتلكاتهم بمجرد أن تطلب منهم ذلك ؟

مالون : قوبلت بالرفض من اثنين من أعرق العائلات فى انجلترا . والغريب أن أحدهما لا يستطيع الانفاق على جميع غرف بيته التاريخي ، رغم أن التراب يغطيها كلها .. والثاني لا يملك نفقات جنازته بعد أن يموت .. ما رأيك فى ذلك ؟

فيوليت : شيء مخجل . لكنك تعلم أن الحكومة ستضطر - ان عاجلا أو آجلا - الى وضع حد لهذه التعديات الاشتراكية على الملكية الخاصة .

مالون : (يتمتم غاضبا) وهل تتعقدان ان هذه الاجراءات ستتصور قبل أن أشتري البيت أو الأبرشية ؟ نعم الأبرشية ، لأن اللذان رفضا البيع يملك كل منهما أبرشية .

فيوليت : (تحاول تجنب الكلام فى هذا الموضوع) حسن .. دعنا نتكلم بهدوء يا « مستر مالون » . انت ترى أننا لم نتحدث بالعقل حتى الآن .

مالون : لا ادعى اننى أتكلم بهدوء .. لكننى اعى كل ما أقول .

فيوليت : اذن انت لا تعرف « هكتور » كما أعرفه أنا . انه انسان رومانسى .. « فادى » .. وهذه « الفادية » ورثها عنك .. وهو يحتاج الى زوجة من نوع معين كى ترعى شئونه .. لكنه - كما ترى - لا يحتاج لانسان « فادى » ..

مالون : شخص مثلك .. هه ؟

فيوليت : (بهدوء) طبعا .. لكن لا تطلب منى القيام بهذه المهمة قبل أن توفر له ما يساعده على الحفاظ على مستواه .

مالون : (بانزعاج) حاسبى .. حاسبى .. ماذا تريدان أن تقولى ؟ أنا لا أنوى أن أطلب منك القيام بأى شيء .

فيوليت : « مستر مالون » .. اذا صممت على اساءة فهمى ، فلن أستطيع استئناف الكلام معك .

مالون : (بغضب) أنا لا أنوى الاساءة اليك بأى حال .. لكننى أعتقد
اننا خرجنا عن الموضوع الأصلي .

(يدخل ستريكر متظاهرا بالاستعجال ، ويفتح الباب ليدخل منه
هكتور منزعجا فتسرع اليه فيوليت) .

فيوليت : اوم .. يا للحظ التعس .. « هكتور » ، لا تقل شيئا من
فضلك .. اخرج حتى انتهى من الكلام مع والدك .

هكتور : (بهون تردد) لا يا «فيوليت» .. انما أريد اخراج هذا الشخص
من هنا ، وفورا . (ينحيا جانبا ويخطو لمواجهة أبيه الذى يضطرب
من هول المفاجأة) بابا .. انت لم تتصرف كانسان شريف .

مالون : ماذا تعنى ؟

هكتور : فتحت خطابا مرسلًا لى .. أخرجتنى وأخرجت هذه السيدة
وهذا تصرف غير شريف .

مالون : (مهددا) « هكتور » .. انتبه لما تقول .. احذر .. فاهم ؟

هكتور : حرصت بما فيه الكفاية ، ولا أزال حريصا .. أحرص على كرامتى
ووضعى فى المجتمع الانجليزى .

مالون : (غاضبا) وضعك هذا حققته بنقودى أنا .. هل تعرف ذلك ؟

هكتور : آه .. لكنك أفسدت كل شئ بفتحك للخطاب يا أبى . رسالة
من سيده انجليزية ، ليست مكتوبة لك .. رسالة سرية .. رسالة
حب .. رسالة خاصة .. يفتحها أبى !! تصرف لا يقره انسان
فى المجتمع الانجليزى ، هيا ننصرف من هنا ، وبأقصى سرعة ممكنة
هذا أفضل .

فيوليت : (تزجره لسلوكه هذا) «هكتور» .. كن عاقلا .. شئ طبيعى
أن يفتح «المستر مالون» رسالتى .. اسمه مكتوب على المظروف .

مالون : آه .. انت ولد قليل الذوق يا « هكتور » . شكرا لك يا « مس
روبنسون » .

هكتور : شكرا لك .. هذا كرم منك يا « فيوليت » ، لكن أبى لا يفهم
الى هذا الحد .

مالون : (يفرك أصابع يديه بعصبية) « هكتور » !

هكتور : اوه .. لا فائدة من الصياح باسمى بهذا الالاح . الرسالة
الخاصة رسالة خاصة يا بابا . لا تنكر ذلك .

مالون : (غاضبا) أنا لا أسمع لك بأن تكلمنى بهذه الطريقة .. سامع ؟

فيوليت : اش .. ارجوكما .. اسكتا .. الجميع قادمون .

(يسكتان ويحملقان فى أحدهما الآخر . يدخل تانر ويريمسدن
واوكتافيوس وأن)

فيوليت : عدتم بسرعة !

تانر : « الهمبرا » مفلق هذا المساء .

فيوليت : يا للحظ السيء !!

(يفاجأ تانر بوجوده بين هكتور والعجوز الذى لا يعرفه ، وعلى
كليهما تبدو آثار العراك .. ينتقل بعينيه بينهما متسائلا ،
فيتجنبان نظراته ويكبتان انفعالاتهما) .

ريمسدن : « فيوليت » .. هل من الحكمة أن تخرجى الى الشمس وانت
مصابة بالصداع ؟

تانر : وانت يا « مالون » .. هل شفيت ؟

فيوليت : اوه .. نسيت .. لم نتعرفا على بعضكما البعض .. « مستر
مالون » .. قدم والدك للأصدقاء .

هكتور : (بثبات كالرومان القدماء) لا .. لن أفعل .. ليس أبى .

مالون : (بغضب شديد) تخرج أبوك أمام أصدقائك الانجليز يا ولد ؟

فيوليت : أرجوك .. لا داعى للفضائح .

(يتباطأ اوكتافيوس وأن فى السير عند البوابة ، ويتبادلان نظرات
متسائلة ثم يعبران درجات السلم الى الحديقة حيث يشهدان
ما يحدث دون تدخل منهما) .

هكتور : آسف جدا يا « مس روبنسون » .. أنا أدافع عن مبدأ .. أنا
ابن .. وأرجو أن أكون ولدا بارا .. لكننى - قبل كل شئ -
« رجل » !! وعندما يتصرف أبى فى رسائل الخاصة وكأنها خاصة
به هو ، ويعتبر أن من حقه الحكم بعدم زواجى منك ، رغم اننى
اعتبرت نفسى سعيدا ومحظوظا جدا عندما حصلت على موافقتك على
الزواج منى ، فليس أمامى غير أن أعرض على أصابعى وأمضى .

تانر : تتزوج « فيوليت » ؟!

ريمسدن : هل انت فى كامل قواك العقلية ؟

تافر : هل نسيت ما أخبرناك به ؟

هكتور : (بشجاعة) لا يهمنى ما أخبرتمونى به .

ويمسدن : (باشمئزاز) اوب .. اوب .. اوب .. سيدى ! هذه فضيحة .. مصيبة (يندفع تجاه بوابة الحديقة وهو ينتفض اشمئزا) .

تافر : مجنون آخر .. هؤلاء الرجال المحبون يجب وضعهم فى زنزانة (ينظر الى هكتور وكأنه انسان ميثوس منه ويتجه الى البوابة ، ويلحق به مالون ، ثم يتوقف فجأة)

مالون : أنا لا أفهم شيئا .. أليس « هكتور » على مستوى هذه السيدة ؟

تافر : يا سيدى العزيز ، هذه السيدة متزوجة فعلا .. « هكتور » يعرف ذلك .. ومع ذلك يصح على جنونه هذا .. عدبه الى البيت وأغلق عليه الباب .

مالون : (بمرارة) اذن فهذه هى النعمة الاجتماعية العليا التى أفسدتها بسلوكى الشائن الجاهل ؟ تحب امرأة متزوجة ؟ (يمشى ويقف بين هكتور وفيوليت ويشده من أذنه اليسرى) .. عادة تعلمتها من الأرستقراطية البريطانية ، أليس كذلك ؟

هكتور : هذا صحيح .. لا تزعج نفسك بهذا الموضوع .. أنا المسئول عن الجانب الأخلاقى فى كل ما أفعل .

تافر : (يتحرك ويقف عن يمين هكتور) أحسنت يا « مالون » .. انت الآخر تعتقد أن قوانين الزواج المجردة ليست لها قيمة أخلاقية .. أنا معك .. لكن من سوء الحظ أن « فيوليت » لن تكون معنا هى الأخرى .

مالون : اسمح لى أن أشك فى ذلك يا سيدى (يتحول الى فيوليت) اسمح لى أن أقول لك يا « مسز روبنسون » ، أو مهما يكن اسمك الحقيقى ، أنه اذا كنت فعلا زوجة لرجل آخر ، فليس من حقك كتابة هذه الرسالة وارسالها الى ابنى .

هكتور : (بغضب شديد) هذه هى القشة التى قسمت ظهر البعير .. بابا .. انت تهين زوجتى .

مالون : زوجتك !

تافر : ها .. اذن أنت الزوج المفقود .. رجل أخلاقى .

مالون : تزوج بدون موافقتى !!

ريمسدن : بصراحة أنت خدعتنا يا سيدى .

هكتور : كفى .. كفاكم تعذيبا فى . « فيوليت » وأنا متزوجان فعلا ..
هذه هى القضية من الألف الى الياء . والآن ، ما قولكم ؟

مالون : أنا أعرف ما أريد أن أقول .. أقول انها قد تزوجت من شحاذ .

هكتور : لا .. بل تزوجت من «عامل» .. بدأت - منذ عصر هذا اليوم -
أكسب رزقى من عرق جبينى .

مالون : (بغضب) تمام .. هذه هى الجراة والا فلا .. لأنك حتى الأمس ،
أو ربما صباح اليوم حسب ما اذكر ، كنت تأخذ مصروفك منى .

هكتور : (يخرج من جيبه مظروفا) ها هو .. خذه .. خذ مصروفك
وخذ نفسك واخرج من حياتى .. لست محتاجا لأى مصروف .
مللت منك . لا أقبل اهانة زوجتى ولو بألف دولار .

مالون : (يشعر بالاهانة ويتأثر لذلك) « هكتور » .. انت لا تعرف
ما هو الفقر يا ولدى .

هكتور : (بانفعال) حسن .. اذن دعنى أتعرف عليه . أريد أن أكون
« رجلا » . « فيوليت » .. تعالى معى الى بيتك .. سأصحبك
اليه .

اوكتافىوس : (يقفز من الحديقة الى المساحة الخضراء ويمسك هكتور من
يده اليسرى) « هكتور » .. صافحنى قبل أن تذهب . كيف أعبر
لك عن اعجابى بك واحترامى لشخصك ؟! (يتأثر فتدمع عيناه
ويصافح هكتور) .

فيوليت : (بتأثر وتكاد تبكى) اوه .. لا تكن أبلها يا « تيفى » . « هكتور »
سيصبح « عامل » مثلك تماما .

تاجر : (يقف على الجانب الآخر من هكتور) اطمئنوا .. لا تخافوا ..
لن يعمل فى البحرية يا « مستر مالون » . (يخاطب هكتور) لن
تجد صعوبة فى الحصول على رأس المال الذى تبدأ به . اعتبرنى
صديقا لك .. اعتمد على .

اوكتافىوس : (بحماس) أو على أنا .

مالون : (بحسد) من الذى يحتاج لنقودكم القدرة ؟ على من غير أبيه

يعتمد ؟ (تانر واوكتافىوس يسعدان بهذا الحل • تتطلع فيوليت الى الجميع بسعادة وتفاؤل) « هكتور » • لا تنهور يا ولدى • •
اعتذر لك عن كل ما قلت • لم أقصد اهانة « فيوليت » • •
ساسحب كل ما قلت • انها نعم الزوجة يا ولدى •

هكتور : (يربت على كتف أبيه) أحسنت يا أبى • لا تقل أكثر من ذلك •
الآن أصبحنا صديقين من جديد • لكننى لن آخذ نقودا من أحد •

مالون : (يعتذر بخضوع) لا تكن قاسيا معى يا « هكتور » • تشاجر معى
ثم خذ منى النقود ولكن لا تكن صديقا لى ثم تموت من الجوع •
انت لا تعرف الدنيا يا ولدى • أنا أعرفها •

هكتور : لا • لا • لا • انتهى • لن أغير رأى • (يترك والده ويتجه الى فيوليت) تعالى يا « مسز مالون » • هيا معى الى الفندق • •
آن الأوان كى تتبأى مكانك اللائق بك أمام العالم أجمع •

فيوليت : سأدخل الى الفيلا أولا كى أطلب من «ديفيس» أن يحزم حقائبى • •
اسبقنى انت واطلب منهم أن يحجزوا لى غرفة تطل على الحديقة ،
وسألحق بك خلال نصف ساعة •

هكتور : لا مانع • بابا • • ستتناول غداءك معنا ، أليس كذلك ؟

مالون : (آملا فى مجاملته) طبعاً • طبعاً •

هكتور : نراكم على خير • (يضافح آن وتانر واوكتافىوس وريمسندن ،
ويغادر الحديقة مرورا بالبوابة الصغيرة ، تاركا والده مع فيوليت)

مالون : ستحاولين إعادة عقله الى رأسه يا « فيوليت » ، أعرف انك قادرة
على ذلك •

فيوليت : لم أكن أتصور انه عنيد بهذا الشكل • واذا اصر على موقفه
هذا ، فما باليد حيلة !

مالون : حاولى يا ابنتى • • ربما تكون احتياجات البيت بسيطة فى بداية
الزواج • • لكنكما لن تستطيعا مواجهتها بعد ذلك • ستحاولين
اقناعه • • هذا وعد منك ، أليس كذلك ؟

فيوليت : سأبذل كل جهدى • لا شك ان الاصرار على الحياة مع الفقر
يعتبر دربا من الجنون •

مالون : بالتأكيد •

فيوليت : (بعد لحظة تأمل) أعطني المصروف .. سيحتاجه لدفع فاتورة
الفنيق ، وسأحاول اقناعه بقبوله .. ليس الآن ، ولكن بعد فترة ..

مالون : (بشوق) طبعا . طبعا . طبعا .. هذا هو الحل السليم .
(يعطيها ورقة بألف دولار . ثم يخاطبها بدعاء واضح) هذا مصروف
شاب عازب كما تعلمين .

فيوليت : (ببرود) اوه .. طبعا (تأخذ النقود) شكرا . على فكرة ..
ما أخبار البيتين اللذين تكلمت عنهما ؟ .. الابروشيتان .

مالون : ماذا عنهما ؟

فيوليت : لا تشتري أيهما قبل أن أراه . الانسان لا يعرف عيوب هذه
الأماكن الا اذا رآها بنفسه .

مالون : وهو كذلك . اطمئني .. لن أفعل شيئا قبل أن آخذ رأيك .

فيوليت : (بأدب ، ولكن دون أن تبدي أى احساس بالامتنان) شكرا ..
هذا هو أحسن شيء . (تتجه الى الفيلادلفيا بهدوء ومعها مالون) .

تاتر : (يلفت انتباه ريمسندن الى خضوع مالون ل : فيوليت) هذا الوغد
البائس بليونير ! واحد من أشهر أبناء عصره ! .. أسلم رقبتة
كالكلب الضال لأول فتاة احتقرته ، فوضعت السلسلة حول رقبتة
وقادته من ورائها (يمشى على السطح الأخضر) .

ريمسندن : كلما أسرعت الى خوض هذه التجربة كلما كان ذلك خيرا لك
(يمشى وراءه) .

مالون : (يفرك يديه وهو عائد الى الحديقة) امرأة عظيمة تلك التي ظفر
بها «مالون» . لن أسمح له بتركها ولو دفعوا لذلك عشرة دوقيات .

(يهبط الى السطح الأخضر ويقف بين ريمسندن وتاتر) .

ريمسندن : (بأدب) « مستر مالون » .. يسعدني جدا أن تشرف هذا
المكان من العالم . هل أتيت لشراء « الهمبرا » ؟ .

مالون : لا أنكر ذلك . أعتقد اننى أستطيع خدمته أكثر مما تستطيع
الحكومة الأسبانية . لكننى لم أحضر من أجله وحده .. بصراحة ،
سمعت منذ شهر مضى عن رجلين يتساومان على عدد من الأسهم ،
وأنهما اختلفا على الثمن .. شابان صغيران جشعان . لم يفهما أنه
إذا كانت الأسهم تساوى كل هذا الجدل الذى فعلاه من أجلها ،
فإنهما يجب أن يكونا على مستوى الشيء المطلوب منهما ، خصوصا

وأن فرق السعر الذى اختلفنا حوله لم يكن كبيرا .. ولكى اربح
نفسى ، حسمت الأمر واشتريت الأسهم . ولأن لم أعرف الشركة
التي أصدرت هذه الأسهم . عرفت ان مكتب الشركة هنا .. فى
هذه المدينة ، وأن اسمها « مندوز اليمند » .. لكننى لا أعرف
ان كانت هذه الشركة شركة مناجم أو خطوط بواخر أو بنك ..
حتى لا أعرف ان كانت مسجلة أم لا ..

تاجر : بل هو اسم رجل .. أنا أعرفه .. رجل له مبادئ « تجارية »
أساسا . تفضل معنا نقوم بنزهة حول المدينة بسيارتى ، وستقابله
فى الطريق العام .

مالون : لا مانع . هذا عطف كبير منك . هل لى أن أسأل عن اسم
سيادتك ؟

تاجر : هذا هو « مستر روبيك ريمسدن » .. صديق قديم جدا لزوجتي
ابنتك .

مالون : يسعدنى لقاؤك يا « مستر ريمسدن » .

ريمسدن : شكرا .. « المستر تاجر » هو الآخر واحدا من أصحابنا .

مالون : يسعدنى التعرف عليك يا مستر تاجر .

تاجر : شكرا . (يخرج مالون وريمسدن من البوابة الصغيرة . أما تاجر
فيستدعى اوكتافىوس وآن اللذان كانا يتنزهان فى الحديقة) .
تيفى .. هل عرفت ؟ صهر « فيوليت » يمول قطاع الطريق (يسرع
تاجر بالخروج للحاق ب : مالون وريمسدن) .

آن : أئن تذهب معهم يا « تيفى » ؟

اوكتافىوس : (تدمع عيناه فجأة) أنت تحطمين قلبى يا « آن » ، .. دائما
تريدين ابعادى عنك .

آن : مسكين يا « ريكى تيكى تيفى » ! .. حساس .. قلبك ضعيف !

اوكتافىوس : انه قلبى أنا يا آن ، .. معذرة .. يجب أن أفصح عما يمكنه
لك . احبك .. وانت تعرفين أننى أحبك .

آن : وما الفائدة يا تيفى ، ؟ انت تعلم ان أمى مصممة على تزويجى من
« جاك » .

اوكتافىوس : (بانزعاج) « جاك » !

آن : شىء مضحك ، أليس كذلك ؟

اوكتافىوس : (بازدرء) أتقصدين أن « جاك » كان يلعب بى طوال هذه المدة ؟ وبأنه كان يحذرني من الزواج منك حتى يخلو له الجو ويتزوجك هو ؟

آن : (بانزعاج) لا .. لا .. أرجوك لا تبلفه اننى قلت لك ذلك . أنا لم أفكر ، ولو للحظة واحدة ، فى أن « جاك » يعرف ما يريد بالضبط . لكننى فهمت من وصية أبى أنه يريدنى أن أتزوج من « جاك » ، وأن أمى مصممة على ذلك .

اوكتافىوس : لكنك لست مجبرة على التضحية بنفسك دائما لمجرد الاستجابة لرغبات والديك .

آن : أبى كان يحبني .. وأمى تحبني . ومن المؤكد ان رغباتهما تعتبر مؤشرا جيدا لى ، وأفضل كثيرا من الانسياق وراء رغباتى الذاتية الانانية .

اوكتافىوس : اوه .. أعرف كم تضحين من أجل الآخرين يا آن . لكن صدقيني .. ورغم أننى أتكلم لمصلحتى الشخصية - صدقيني ان لهذه المسألة جانب آخر . هل من الانصاف ان تتزوجنى « جاك » اذا كنت لا تحبينه ؟ وهل من الانصاف أن تحطى سعادتى وسعادتك انت فى الوقت الذى تستطيعين فيه مبادلتى حبا بحب ؟

آن : (ترمقه بنظرات ملؤها الاشفاق) « تيفى » يا عزيزى .. انت مخلوق رقيق .. ولد طيب .

اوكتافىوس : (احساس بالاحباط) أهذا هو كل شىء ؟

آن : صدقنى .. هذا يكفى . ستظل دائما تبعد الأرض التى أمشى عليها ، أليس كذلك ؟

اوكتافىوس : أجل . شىء مضحك .. لكنه ليس غريبا . سأفعل .. ودائما سأفعل .

آن : « دائما » .. كلمة طويلة يا « تيفى » . سأعيش دائما على فكرة تقديسك لحبى ، وهذا هو ما لا أضمن تحقيقه لو أننا تزوجنا . لكننى اذا تزوجت « جاك » ، فلن أخدعك .. على الأقل الى أن أصبح امرأة عجوز محطمة .

اوكتافىوس : أنا الآخر سأصبح عجوزا يا « آن » . سأظل حتى أبلغ الثمانين من عمرى أرتجف لشعرة بيضاء واحدة من رأس المرأة التى

أحبها ، أكثر مما تحركنى أكبر خصلة ذهبية من شعر أجمل امرأة
أخرى غير التى أحببتها .

آن : (بتأثر بالغ) اوه . . هذا شعر يا « تيفى » . . شعر حقيقى .
كلامك يجسد عندى احساسا غريبا يتردد فى ذاكرتى وكأنه أصدا
لأشياء سمعتها من عالم سابق كان بالنسبة لى مثل «بروفة» عشتها
فى عالم الأرواح الخالدة .

اوكتافىوس : هل تصدقين هذه الأشياء ؟

آن : « تيفى » . . اذا كانت هذه الأشياء صحيحة ، فانه يستوى عندى
أن تحبنى وأن تفقدنى .

اوكتافىوس : اوه ! (يسارع بالجلوس الى المائدة ويغطى وجهه بيديه) .

آن : (متعاطفة معه) « تيفى » . . لن أحطم آمالك ولو مقابل الكون كله .
لن آخذك ، ولن ادعك تضيع منى . ستكون معشوق النساء ،
وستذهب الى الاوبرا كثيرا . القلب الكسير يعتبر ميزة كبيرة فى يد
الرجل الذى يعيش فى لندن ، خصوصا اذا كان ماله وفيرا .

اوكتافىوس : (يهدأ وقد ظن أنه يسيطر على نفسه) « آن » . . أعرف
انك تحاولين أن تكونى لطيفة معى . لقد استطاع « تانر » اقناعك
بأن العلاج الناجح لحالتى هو التهكم . (يقف وعلى وجهه تعبير
بالازدراء) .

آن : (تتفحصه بهدوء) اراك تهمنى بأننى أخيب آمالك فى . هذا هو
ما يؤرقنى .

اوكتافىوس : ولا يؤرقك أن تخدعى « جاك » ؟

آن : (يعلو وجهها تعبير بالسرور فتهمس) لا يمكن . . لأنه لا يعلق أية
آمال على سافأجنه بطريقة أخرى . الايحاء للناس بانطباع سىء عن
المرء يعتبر أسهل كثيرا من التصرف أمامهم وكأنه مثل أعلى . اوه . .
أحيانا أحس أننى سأسعد « جاك » .

اوكتافىوس : لا شك فى ذلك . بل ستدخلين السعادة الى قلبه دائما ،
بينما يظن الغبى انك ستجلبين اليه التعاسة .

آن : نعم . هذا هو الشئ الصعب فعلا .

اوكتافىوس : (بشئ من البطولة) هل أخبره بانك ؟

آن : (بسرعة) اوه . لا . والا هرب منى مرة أخرى .

اوكتافىوس : (بألم) « آن » . أتتزوجين من رجل لا يحبك ؟

آن : أى مخلوق غريب أنت يا « تيفى » ؟ ليس هناك أروع من الحصول على الرجل المحب ، خصوصا اذا سعت اليه بنفسك . (تضحك بدلال) أعتقد أننى أصدمك بموقفى هذا . لكننى أعتقد أنك تحس بشئ من الرضا لأنك تنجو بنفسك من هذه الأخطار .

اوكتافىوس : (بدهشة) الرضا ! . (باحتقار) تقولين لى ذلك ؟

آن : حسنا . . . موقفى يسبب لك شيئا من العذاب ، فهل تريد منه المزيد ؟

اوكتافىوس : وهل سألتك المزيد من العذاب ؟

آن : حسنا . . . انت عرضت على التطوع باخبار « جاك » بحبى له . أعتقد أن هذه تضحية كبيرة منك ، وهذا يعلن عن شئ من الاحساس بالرضا . . . ربما لأنك شاعر . . . نعم . . . انت كالتأثير الذى يفرك صدره فى الأشياء الحادة ، وكان وخز الشوك يستثير فيه قدرته على الغناء .

اوكتافىوس : بسيطة . . . أنا أحبك وأتمنى لك السعادة . وانت لا تحبينى . . . ولذلك لن أستطيع تحقيق السعادة لك . لكننى أستطيع مساعدة الرجل الآخر على تحقيقها لك .

آن : أجل . . . هكذا يبدو الأمر بسيطا . لكننى أشك فى قدرتنا فعلا على فهم الدوافع التى تجعلنا نتصرف بهذه الطريقة . لذلك يصبح التصرف الواقعى البسيط هو أن تذهب مباشرة الى الشئ الذى تريده ثم تنتزعه لنفسك . « تيفى » . . . أنا لا أحبك . . . هذا صحيح . . . لكننى أشعر أحيانا أن واجبى يفرض على أن أجعل منك رجلا . . . نعم . . . انت غبى جدا مع النساء .

اوكتافىوس : (ببرود) أنا قانع بمستواى فى هذه الأمور .

آن : اذن ابعد عنهن . . . ويكفيك أن تحلم بهن « تيفى » . . . لن أتزوجك ، حتى ولو كسبت العالم كله بهذا الزواج .

اوكتافىوس : هذا شئ ميثوس منه يا « آن » . أنا راض بسوء حظى ، وأعتقد انك لا تعلمين كم يؤذيني ذلك .

آن : انت طيب القلب . غريب جدا أن تكون مختلفا عن « فيوليت » الى هذا الحد . « فيوليت » حادة كالمسامير .

اوكتافىوس : لا .. لا .. أنا متأكد أن « فيوليت » انثى من كل قلبها .

آن : (نافذة الصبر) لماذا تقول ذلك ؟ عندما تكون المرأة مفكرة وعملية وعاقلة ، ألا يكون هذا من الانوثة فى شىء ؟ . هل تتمنى أن تكون « فيوليت » غبية أو تتصف بأى صفة شائنة مثل ؟

اوكتافىوس : أى صفة شائنة مثلك ؟ ماذا تقصدين يا « آن » ؟

آن : لا أقصد ما يحول بخاطرك . أنا أحترم « فيوليت » جدا لأنها تشقى طريقها بنفسها دائما .

اوكتافىوس د (يتأوه) وانت كذلك .

آن : صحيح .. لكنها تحقق رغباتها بطريقة أو بأخرى وبدون تملق .. وبدون أن تستجدى تعاطف الناس معها .

اوكتافىوس : أعتقد ان الناس لا يمكن أن يتعاطفون مع « فيوليت » بمثل هذا الشعور الذى يبدون تجاهها .

آن : صحيح .. ولكن اذا سمحت هى لهم بذلك .

اوكتافىوس : لكن الواقع ان أى امرأة رقيقة فعلا لا يمكن أن تتصرف بهذا الأسلوب العملى الواعى ازاء عواطف الرجال .

آن : (تلوح بيدها غضبا) « تيفى » .. اوه .. « ريكى تيكى تيفى » .. ليكن الله فى عون المرأة التى تتزوج منك .

اوكتافىوس : (تثور عاطفته) اوه .. لماذا .. لماذا تقولين هذا الكلام ؟ لا تمنعنى فى تعذيبى ، لم أعد قادرا على فهمك .

آن : افرض أنها تكذب ، وأنها تضع الفخاخ لاصطياد الرجال !

اوكتافىوس : وهل تصدقين أننى يمكن أن أتزوج من امرأة كهذه ، وأنا الذى عرفتك وأحببتك ؟

آن : هيه حسن .. اذا كانت عاقلة فلن تتخلي عنك . اتفقنا .. دعنا الآن ننهى الكلام فى هذا الموضوع . قل انك سامحتنى وأن موضوعنا قد انتهى عند هذا الحد .

اوكتافىوس : ولماذا أسامح والموضوع قد انتهى ؟ لئن كان جرحى لا يزال داميا ، فعلى الأقل لن تريئه وهو ينزف .

آن : ستظل شاعريا الى الابد يا « تيفى » . وداعا يا عزيزى . (تربت

بيدهما على خده ، وتميل الى تقبيله ثم تمنع نفسها عن ذلك ، وتخرج
من الحديقة بسرعة متجهة الى الفيلا) .

(يعود اوكتافىوس للجلوس الى المنضدة وقد دفن رأسه بين كفيه .
تدخل مسز واتيفيلد من البوابة الصغيرة) .

مسز واتيفيلد : (مُسرعة الى اوكتافىوس) « تيفى ! ماذا حدث ؟ هل
انت مريض ؟

اوكتافىوس : كلا . لا شيء . لا شيء .

مسز واتيفيلد : (تمسك رأسه بقلق) لكنك تبكى . هل بسبب زواج
(فيوليت) ؟

اوكتافىوس : لا . لا . من أخبرك بموضوع « فيوليت » ؟

مسز واتيفيلد : (ترفع يديها عن رأسه) قابلت « روبيك » ومعه ذلك
العجوز الايرلندى المخيف . أمتأكد انك لست مريضا ؟ اذن ماذا
حدث ؟

اوكتافىوس : (بتأثر) لا شيء . . . مجرد . . . جل محطم القلب . ألا يبدو
الأمر مضحكا ؟

مسز واتيفيلد : لم كل هذا الانفعال ؟ هل أساءت آن اليك ؟

اوكتافىوس : ليست الغلظة غلظة « آن » . ولا تقضى . ولو لحظة واحدة ،
أننى أعتب عليك لما حدث .

مسز واتيفيلد : (بانزعاج) تعاتبنى ؟ لماذا ؟

اوكتافىوس : أبدا . . . أبدا . أقول أننى لا أعتب عليك .

مسز واتيفيلد : أنا لم أفعل شيئا . ماذا حدث ؟

اوكتافىوس : (يتسم بحزن) ألم تفهمى قصدى ؟ أستطيع القول بأن
لك الحق فى تفضيل « جاك » على فى الزواج من « آن » . لكننى
أحب « آن » ، وزواجها من « جاك » ليس فى صالحها . (ينهض
ويخطو بعيدا عنها تجاه المسطح الأخضر) .

مسز واتيفيلد : (تلحق به مسرعة) هل قالت « آن » اننى فرضت عليها
الزواج من « جاك » ؟

اوكتافىوس : أجل . قالت لى ذلك .

مسز واتيفيلد : (تفكر بعمق) اذن ، معذرة يا « تيفى » . بل هى طريقتهما
فى التعبير عن رغبتها فى الزواج من « جاك » . أما أنا ، فلا يهمها
ما أريد ولا ما أقول !

اوكتافىوس : لكنها لن تقول ذلك الا ما اذا كانت واثقة من قولها
طبعا انت لا تشكين فى أن « آن » يمكن أن .. تخادع .

مسز واتيفيلد : حسن .. لا يهم يا « تيفى » .. لا يهم . أنا لا أعرف من
منكما هو الشاب المثالى : أهو قليل الخبرة مثلك انت أم ولجميع
التجربة مثل « جاك » !
(يعود تانر) .

تانر : حسن .. تخلصت من العجوز « مالون » - قدمته الى « مندوزا
ليمتد » ، وتركت اللصين لمناقشة موضوعهما معا . هاللو « تيفى »
.. ماذا بك ؟

اوكتافىوس : أنا ذاهب لأغسل وجهى . (يخاطب مسز واتيفيلد) حديثه
على راحتك . (ل : تانر) اسمعها منى يا « جاك » . « آن » وافقت
وانتهى كل شئ .

تانر : (ينزعج من طريقة كلام اوكتافىوس) وافقت ؟ على أى شئ ؟

اوكتافىوس : على ما تريده « مسز واتيفيلد » (يخرج متجها الى الفيلا) .

تانر : (لمسز واتيفيلد) منتهى الغموض . ما هو الذى وافقت عليه ؟
سأخضع لارادتك مهما كان الثمن .

مسز واتيفيلد : (تتظاهر بالبكاء) شكرا يا « جاك » . (تجلس ، بينما
يحمل تانر الكرسي المجاور للمنضدة ويجلس بجوارها وقد أسند
مرفقيه على ركبتيه وكله انتباه لسماع ما تقول) . لست أعرف
لماذا أحب أطفال الآخرين ، فى حين أن ابنتى أنا لا تعمل لى أى
حساب . لا تندهش عندما ترانى مهتمة بأمورك انت و « تيفى »
و « فيوليت » أكثر من قدرتى على الاهتمام ب : « آن » و « رودا » ..
دنيا عجيبة .. تبدو غاية فى الوضوح والبساطة ، ومع ذلك ترى
الناس لا يفكرون ولا يحسون بأمور الدنيا كما يجب أن تكون .
لقد اهتزت الأفكار فى رأسى منذ سماعى لتلك الخطبة التى ألقاها
البروفسور « يتدال » فى « بلفاست » .. الصحيح لم يعد بعد
صحيجا .

تانر : فعلا . الحياة أكثر تعقيدا مما نظن .. لكن ، بماذا تأمرين ؟

مسز واتيفيلد : هذا هو ما أريد مصارحتك به .. ستتزوج « آن » ،
سواء برضائي أو عدم رضائي .

تافر : (بانزعاج) يبدو أنني سأزف الى « آن » ، وفورا ، سواء رضيت
أم أبيت .

مسز واتيفيلد : (بهدوء) اوه .. عين العقل . انت تعرفها عندما تصمم
على شيء . كل ما أرجوه ألا تحملني أنا مسئولية ذلك . أخبرني
« تيفي » الآن أنها قالت له أنني أنا التي ادفعها الى الزواج منك ،
والمسكين محطم .. يحبها من كل قلبه ، رغم تصرفاتها الغريبة ..
يعلم الله أنني لا علم لي بأى شيء . لا فائدة من أخبار « تيفي » بأن
« آن » اذا أرادت شيئا فإنها توحى للآخرين بأنني أنا التي أريد
هذا الشيء في حين أكون أنا خالية الذهن تماما من هذا الشيء .
كل ما هنالك أنها تحمل « تيفي » الى مناصبتي العداء . لكنك ..
انت تفهم الموقف جيدا ، ولذلك أرجوك .. اذا تزوجتها لا تلق على
أى مسئولية .

تافر : (باصرار) ليست لدى أى نية للزواج منها .

مسز واتيفيلد : (يدها) لماذا ؟ .. ستكون مناسبة لك أكثر من صلاحيتها
لـ : « تيفي » . معك تستطيع تحقيق أهدافها ، وأنا أحب أن أراها
تسعى لتحقيق أهدافها .

تافر : لا يمكن أن يكون الرجل هدفا للمرأة ، الا في لعبة البوكر أو في
الأخذية ذات المسامير ، تلك التي تستعمل في تسلق الجبال . على
أى حال لن أكون ورقة بوكر في يدها ، بل مجرد عبد ذليل .

مسز واتيفيلد : لا . لا .. انها خائفة منك . أرها حقيقة نفسها وعندئذ
لن تستطيع التهرب منها كما تفعل معي .

تافر : اذا فعلت ذلك قال عنى الجميع اننى فظ غليظ القلب ، خصوصا
اذا صارحتها بحقيقة نفسها وبأحكام من واقع دستورها الأخلاقى
الخاص بها .

مسز واتيفيلد : يسعدنى أن أسمع واحدا من الناس لا يعاملها معاملة
الملائكة .

تافر : خذيتها منى فى كلمة واحدة ، بصفتى زوج مضطر للجهر بحقيقة
زوجته .. انها كاذبة . وحيث أنها قد أغرقت « تيفي » من قمة
رأسه الى اخمص قدمه فى حبها ، ودون أن تكون لديها أية نية

فى الزواج منه ، فانى أستطيع القول بأنها داعرة .. هذا اذا
اعتبرنا أن المرأة الداعرة هى تلك التى تثير مشاعر الناس دون
أن يكون لديها استعداد لاحترام هذه المشاعر والتجاوب معها .
وحيث أنها قد انحدرت الى الحد الذى جعلك تودين التضحية بى
ككيش فداء لمجرد أننى أستطيع الجهر فى وجهها بأنها كاذبة ،
فانى أضيف الى ذلك أنها « قوادة » .. وانها لن تستطيع افسادى
كما تفعل مع النساء . ولذلك ستظل تحاول - مع سبق الاصرار
والترصد - استخدام جمالها كسلاح يجعل الرجال يعطونها كل
ما تريد .. وهذا يضعها فى موقف لا أستطيع التعبير عنه بأى لفظ
مهذب .

مسز واتيفيلد : (باعتراض بسيط) اوه .. لا تتوقع من الناس بلوغ
الكمال يا « جاك » .

تانى : أنا لا أتوقع الكمال من أحد . لكن يزعجنى أن « آن » تظن أنها
وصلت الى الكمال . اننى أعلم تمام العلم بأن حكمى عليها بأنها
امرأة كاذبة ولعوب ومنحلة وغيرذلك من الصفات الرذيلة انما يعتبر
نوعا من الاتهام الأخلاقى الأجوف الذى يمكن توجيهه لأى انسان
آخر . كلنا كاذبون .. كلنا منحلون .. كل حسب طاقته .. كلنا
نلهث وراء اثاره اعجاب الناس بنا دون أن نبذل أى جهد من جانبنا
للاحتفاظ به .. كلنا نحاول - قدر الامكان - الحصول على أكبر
ثمن ممكن مقابل ملكه من طاقات ساحرة مغرية . واذا اعترفت
« آن » بهذه الصفات فلن اختلف معها . لكنها لن تعترف . حتى
اذا أصبحت أما ولها أطفال كثيرين ، فلن تتوانى عن تحقيق أكبر
استفادة ممكنة من حشو رؤوسهم بالكاذب . لا لشيء الا لتسلية
نفسها بتعذيبهم .. اذا أبدت أى امرأة اهتمامها بى ، فسترفض
التعرف عليها لأنها تصبح - فى رأيها - انسانة منحلة . انها
لا تفعل الا ما يرضيها هى ، فى الوقت الذى تصرف فيه على أن يكون
تصرف المحيطين بها متمشيا مع التقاليد الأخلاقية الراسخة ..
باختصار .. أستطيع احتمال أى شيء منها الا قدرتها الخارقة على
الخداع .. هذا هو ما يزعجنى .

مسز واتيفيلد : (يسعدنا أن نسمع رأيها يعبر عنه بهذه الفصاحة) اوه
.. فعلا .. هى منافقة .. فعلا .. فعلا .. أليس كذلك ؟

تانى : اذن .. لماذا توافقين على زواجى منها ؟

مسز واتيفيلد : (بحزن) أبدا .. تحملنى المسئولية ، أليس كذلك ؟

هذه الفكرة لم ترد بخاطري مطلقا ، حتى أخبرني « تيفى » انها قالتها له . انت تعرف أننى معجبة بـ : « تيفى » . . . أعتبره ابنا لى ، ولا أرضى له الضياع أو الذل .

تافر : أما أنا فلا يهم . . . لا بأس .

مسز واتيفيلد : اوه . . . لا . . . انت شىء مختلف الى حد ما . . . انت تستطيع حماية نفسك . . . تستطيع تحريرها من أفكارها هذه . . . وفى النهاية يجب على أى انسان أن يتزوج أى انسان آخر .

تافر : آها . . . ! . . . غريزة الحياة تتكلم . . . انت تمقتينها ، ومع ذلك تريدن لها أن تتزوج .

مسز واتيفيلد : (تنهض وقد صدمت بكلامه) أتعنى اننى أكره ابنتى ؟ لا أتصور انك تظننى انसानة شريرة وشاذة الى هذا الحد ، لمجرد اننى أكشف لك عن أخطائها .

تافر : (بدهاء) اذن . . . هل تحبينها ؟

مسز واتيفيلد : ماذا ؟ طبعاً أحبها . « جاك » . . . ما هذه الأشياء الغريبة التى تقول ؟ كيف لا نحب فلذات اكبادنا ؟

تافر : حسن . . . مجرد كلام نتهرب به من الخوض فى أمور حرجة . أما من ناحيتى فأعتقد أن أواصر القربى هذه لها أساس طبيعى يصل بنا الى النفور الطبيعى من أقاربنا . (ينهض) .

مسز واتيفيلد : لا تقل ذلك يا « جاك » . أرجوك لا تبلىخ « آن » أننى حدثتُك فى هذه الأمور . كل ما أريده هو أن أصحح موقفى بالنسبة لكما : انت « تيفى » . . . لا أستطيع الوقوف مشلولة هذا وقد استسلمت لكل شىء .

تافر : (بأدب) صحيح . . .

مسز واتيفيلد : (بعدم ارتياح) أعتقد أننى زدت الموضوع تعقيدا . « تيفى » ، غاضب منى لأننى لا أقدم « آن » كتقديسه لها . . . وحينما علمت أن « آن » قد صممت على الزواج منك ، ترى ماذا أستطيع قوله غير أن هذا الزواج سيكون كسبا لها .

تافر : أشكرك .

مسز واتيفيلد : لا تكن سخيفا . لا تغير كلامى الى معان لا أقصدها كل ما أتمناه هو أن أكون محايدة و . . .

(تعود آن من الفيلا ووراءها فيوليت وقد ارتدت ملابس السفر)

آن : (تقف على يمين أمها) عزيزتي ماما .. يبدو انك استمتعت بحديث مشوق مع « جاك » . صوتكما عال .. سمعناه من بعيد .

مسز واتيفيلد : (تهمس لتانر بانزعاج) أو تراها سمعت ؟

تانر : لا تخافى .. كل ما هنالك أن « آن » .. حسنا .. كنا نتحدث عن تصرفاتها السخيفة .. هونى عليك .. لم تسمع ولا كلمة .

مسز واتيفيلد : (بشجاعة) لا يهمنى ان كانت قد سمعت أو لم تسمع . من حقى أن أقول كل ما أريد .

فيوليت : (تصل الى المكان وتقف بين مسز واتيفيلد وتانر) جئت أودعكما .. أنا ذاهبة لقضاء شهر العسل .

مسز واتيفيلد : (تبكى) أوه .. لا تقولى ذلك يا « فيوليت » .. لا تقولى زفاف ولا افطار ولا ملابس ولا أى شيء آخر .

فيوليت : (تطيب خاطرها) لن أغيب عنك طويلا .

مسز واتيفيلد : لا تذهبي معه الى أمريكا .. عدينى بذلك .

فيوليت : (بتصميم) لا أعتقد .. صدقيني .. لا تبك يا عزيزتى .. أنا ذاهبة الى الفندق .. هذا هو كل ما هنالك .

مسز واتيفيلد : لكن ذهابك بهذه الملابس ، وبالحقائب المربوطة يجعلنى أظن أن (تنفجر باكياً) كم تمنيت أن تكونى انت ابنتى يا « فيولت » .

فيوليت : (تهديء روعها) لا بأس .. لا بأس .. اذن فانا ابنتك .. ألا تخافى أن تغار منى « آن » ؟

مسز واتيفيلد : « آن » لا يهمها أمرى مطلقا .

آن : يا للعار يا أمى .. تعالى .. لا تبك يا أمى .. انت تعرفين ان فيوليت لا تحب البكاء .

(مسز واتيفيلد تكفكف دموعها وتسكت)

فيوليت : وداعا يا « جاك » .

تانر : مع السلامة يا « فيوليت » .

فيوليت : كلما عجلت بالزواج كلما كان ذلك افضل ، والا أساء الناس فهمك .

تافر : (بارتياح) أتوقع أن يتم تزويجي فى عصر اليوم . يبدو انكم قد
قررت ذلك .

فيوليت : وربما قبل ذلك . (تخاطب مسز واتيفيلد وقد لفت ذواعها
حول خصرها) تعالى معى الى الفندق . ستكون الرحلة متعة لطيفة
لك . ادخلى وارتندى معطفا . (تصاحبها فى اتجاه الفيلا) .

مسز واتيفيلد : (وهما تسيران فى الحديقة) ماذا أفعل بعد ذهابك ،
وليس فى البيت غيرى أنا و « آن » . . . وهى دائما مشغولة بالرجال
ليس من المعقول أن يحتمل زوجك ازعاج امرأة عجوز مثلى . لا تقولى
ذلك يا « فيوليت » . . . الأدب شىء جميل ، لكننى أعلم ما يقوله
الناس ان أنا ذهبت معك .

(آن وتافر وحدهما فى الحديقة . . آن تراقبه وهى صامته . يحاول
أن يخطو تجاه البوابة لكنها تجذبه اليها فيقف بجوارها مستسلما)

آن : « فيوليت » على حق

تافر : (ينفجر غاضبا) « آن » : . لن أتزوج منك . . . أسمعين ؟ لن ،
لن ، لن ، لن أتزوج منك .

آن : (بهدوء وثقة) حسن . . . هى الأخرى تقول يا سيدى . . . تقول . . .
تقول يا سيدى . . . ان أحدا لم يستجد الزواج منك . انتهى
الموضوع .

تافر : فعلا ، لم يطلبنى أحد للزواج . . . لكن الجميع يتصرفون معى وكأن
الموضوع منتهى ، رغم أنه لا يزال « كلام فى الهواء » . . . عندما
نلتقى يختلق الجميع أعذارا واهية كى يتكرونا معا . . . « ريمسدن »
لم يعد يكشر فى وجهى . . . أصبحت عيناه تلمعان ، كما لو كان
يودعنا . معا قبل الذهاب للكنيسة لعقد قراننا هناك . « تيفى »
يزكىنى أمام أمك ويبارك لى . . . « ستريكر » يعاملنى جهرا وكأننى
سأصبح سيذا له عما قريب . . . لقد كان هو أول من حدثنى فى
الموضوع .

آن : لهذا السبب هربت منى ؟

تافر : أجل . . . لم يوقفنى غير راعى غنم من قطاع الطريق . . . ففررت
كالتلميذ الهارب من المدرسة .

آن : حسن . . . اذا كنت لا تريد الزواج . . . لا تتزوج . (تدير ظهرها له
وتجلس بارتياح)

تافر : (يلحق بها) هل يسعى أحد برجليه الى المشنقة ؟ الناس يسلمون رقابهم لحبل المشنقة دون أى مقاومة ، لا لشيء الا للحفاظ على الحياة ، رغم أنهم يستطيعون ، على الأقل ، القاء نظرة أخيرة على القس الواقف بجوار المشنقة . اننا نحقق ارادة الكون فينا دون أن نحقق ارادتنا نحن في أنفسنا . ان شعورا رهيبا يساورني بأننى أسلم نفسى الى الزواج لأن ارادة الكون تحتم عليك أن يكون عندك زوج .

آن : وهذا هو ما سيحدث ذات يوم .

تافر : لكن لماذا أنا بالذات ؟ أنا من بين جميع الرجال ؟ الزواج عندى هو ارتداء عن العقيدة . . . تلويت لطهارة روحى . . . انتهاك لرجولتى . . . مصادرة لحقى فى الحياة خضوع ذليل . . . استسلام حقير . . . قبول بالهزيمة . . . يجعلنى أتلاشى كأى شيء أذى وظيفته ثم ألقى به الى عرض الطريق . . . يحولنى من رجل له مستقبل الى رجل له ماض . . . يجعل غيرى من الأزواج ذوى العيون الذابلة يرمقوننى بنظرات ملؤها الشماتة لأن سجيننا جديدا قد وفد اليهم يشاركهم ذلهم ومهانتهم . . . يلعننى الشباب كواحد منهم خان اليهود . . . أما النساء اللاتى كنت عندهن اللغز المحير والأمل المرتقب ، سأصبح مملوكا لشخص آخر . . . فى أفضل الأحوال سأكون « رجل مستهلك » « سكيند هاند » . . .

آن : اذا . . . يجب على زوجتك أن ترتدى البرقع ، وأن تجعل نفسها قبيحة المنظر - مثل جدتى - وبذلك تبدو فى المظهر الذى يليق بك .

تافر : آه . . . لكى تحقق انتصارها الرخيص . . . تضع الطعم ، عيانا بيانا . فى اللحظة التى يقع فيها الصيد فى الفخ .

آن : افرض ان هذا كله صحيح . . . ما الفرق فى الموضوع ؟ الجمال - من الوهلة الأولى - شيء رائع جدا . . . لكن من ذا الذى يحتفل بالتطلع الى الجمال ولو بعد ثلاثة أيام فقط من وجود صاحبتة فى البيت ؟ فى البداية . . . عندما أحضر والدى الصور التى التقطناها معا ، كانت فى نظرى جميلة جدا . . . بعد ذلك مضت سنوات طويلة لم ارها . . . انت نفسك ، لم تكلف نفسك عناء النظر فى وجهى . . . اعتدت على شكلى . . . أصبحت عندك مثل عصا الشمسية . . .

تافر : يا لك من لعب . . . انت تكذبين . . . تكذبين .

آن : انت منافق . . . اذن لماذا حاولت تضليلي مادمت لا تنوى الزواج منى ؟

تافر : قوة الحياة .. أنا واقع فى قبضة قوة الحياة .

آن : لا أفهم شيئا مما تقول . يهيا لى أنك تقول شيئا كقولهم « حراس الحياة » .

تافر : لماذا لا تتزوجين من « تيفى » ؟ انه يريدك .. ألا تقنعين الا اذا رأيت ضحيتك تتعذب بمحاولة الهروب منك ؟

آن : (تقترب منه وكأنها تهمس اليه بسر) لأن « تيفى » لن يتزوج الا تفهم أن هذا النوع من الرجال لا يتزوج أبدا ؟

تافر : ماذا ؟ الرجل الذي يقدس النساء ؟ الذى لا يرى فى الدنيا غير المناظر الرومانسية للاحباء ! « تيفى » .. ذلك الفارس .. المخلص .. الطيب القلب .. الصادق ! « تيفى » لن يتزوج ؟ لماذا ؟ لقد ولد أساسا لكى يقع فى أسر أول عينين زرقاوتين تصادفانه فى الطريق :

آن : هذا صحيح . أعلم ذلك . لكن « تيفى » ، كغيره من هذا النوع من الرجال ، يستمتع بحياته فى صحبة « العزوبية » المريحة ، والقلب الجريح .. يحب أن تعشقه صاحبات هذه القلوب لكنه لا يتزوج من احدهن . اما الرجال الذين من نوعك فهم الذين يتزوجون .

تافر : شئ فظيع .. فظيع ! .. لقد كانت تقرأ تعبيرات وجهى .. تفهم مشاعرى طوال أيام حياتى ، بينما لم أطلع أنا الى وجهها ولو لمرة واحدة .

آن : اوه .. هكذا يفعل النساء دائما .. إسمح لى أن أقول ان المزاج الشعرى شئ رائع جدا .. ودود .. طيب .. شاعرى .. لكنه لا يناسب الا المرأة العجوز .

تافر : لكنه مزاج عقيم ، وقوة الحياة تتجاوزه دائما .

آن : هذا صحيح اذا كان هو ما تعنيه بقوة الحياة .

تافر : ألا يهلك « تيفى » ؟

آن : (تتلفت حولها لتتأكد أن اوكتافيوس لا يسمعها) لا .

تافر : وتهتمين بى أنا ؟

آن : (تنهض بهدوء وتشير اليه باصبع يدها) « جاك » .. تصرف معنى بحساب من الآن فصاعدا .

تافر : امرأة فاضحة .. ملعونة .. شيطانة !

آن : بل أفعى رقطاع .. فيل .. هه ؟

تافر : ومنافقة !

آن : (بهدوء) واجبى .. على الأقل تجاه زوجى المنتظر .

تافر : تجامى أنا ؟ (يحاول السيطرة على انفعاله) أقصد .. من أجله هو ؟

آن : (تتجاهل هذا التصحيح الذى أبداه) نعم .. من أجلك أنت

يا « جاك » .. من مصلحتك أن تتزوج تلك التى تسميها منافقة .

النساء اللاتى لسن منافقات ، واللاتى يرفلن فى أردية من العقلانية

.. هؤلاء النسوة لا يلقين من الناس غير السب والوقوع فى خضم

المشاكل الساخنة على اختلاف أنواعها . ومن ثم يورطن أزواجهن

معهن فى المشاكل ، ويعشن دائما فى سلسلة متلاحقة من التعقيدات

التي لا تنتهى .. ألا تريد زوجة تستطيع الاعتماد عليها ؟

تافر : كلا ، وألف مرة أقول كلا .. المشاكل الساخنة هى وقود الانسان

الثورى . انك تغسلين الرجال بالماء المغلى .. بالضبط كما تفعلين

فى وعاء اللبن .

آن : صحيح .. لكن لا تنكر. أن للماء البارد استعمالاته هو الآخر ..

لأنه صحى .

تافر : (يائسا) اوه .. انت ذكية .. تعيشين أروع لحظات حياتك

بالحام من قوة الحياة .. حسن .. أنا الآخر أستطيع أن أكون

منافقا .. اذن ضعى فى اعتبارك أن وصية أبيك جعلتني لك

كفيلا ، ولم ترشحنى خاطبا لك ، ولذلك يجب أن أظل وفيا للثقة

التي وضعها « المرحوم » فى .

آن : (بنبرات جادة هادئة) صحيح .. لكنه قبل أن يكتب وصيته

سألنى أن أختار كفيلى بنفسى .. وأنا اخترتك !

تافر : اذن كانت الوصية تعبرا عن ارادتك انت .. آه ! الفخ منصوب

منذ البداية .

آن : (تركز عليه كل سحرها) منذ البداية ! منذ طفولتنا المبكرة ..

من أجلنا معا .. قوة الحياة .

تافر : لن أتزوجك .. لن أتزوجك .

آن : اوه .. بل ستفعل .. ستفعل .

تافر : قلت لك لا .. لا .. لا .

آن : وأنا أقول لك نعم .. نعم .. نعم .

تافر : لا .

آن : (بانزعاج) بل نعم .. وقبل فوات الأوان ، حيث لا ينفع الندم .. نعم .

تافر : (يتذكر صدى هذه الكلمات من الماضي) هل عشت موقفا كهذا من قبل ؟ .. هل نحن في حلم ؟

آن : (تفقد سيطرتها على نفسها) لا .. بل نحن في صحونا .. لا نحلم .. كل ما هنالك انك تقول لا .

تافر : (بشراسة) وماذا بعد ؟

آن : حسن .. أنا مخطئة .. انت لا تحبني .

تافر : (يمسكها من ذراعها) لا تصدقي .. أنا أحبك .. قوة الحياة هي التي تحفزني .. عندما أضمك بين ذراعي أحس كأنني أمتلك العالم كله .. كل ما هنالك انني أناضل دفاعا عن حريتي وشرفي ونفسي والكل الذي لا يتجزأ .

آن : سعادتك معي تساوي هذه الأشياء جميعا .

تافر : أتضحين بالحرية والشرف والنفس من أجل السعادة ؟

آن : طبعا .. لان هذه الأشياء لن تحقق لي السعادة .. بل ربما أو وصلتني الى الهلاك .

تافر : (يصرخ) أوه .. هذه هي القبضة التي تأسر المرء وتوصله الى الهلاك .. ماذا تظنين بي ؟ أو تؤمنين بأن للأب قلبا كما أن للأم قلبا ؟

آن : « جاك » .. احترس ! إذا رأنا أحد وانت في هذه الحالة فلن تملك غير الزواج مني .

تافر : لو أننا كنا الآن على شفا الوقوع في الهاوية ، فسلمسك بك جيدا كي نسقط معا .

آن : (تنتحب ، وقد ازداد لديها الاحساس بالضيق) « جاك » .. دعني .. لقد تجاوزت حدى .. مشوارك أطول مما أظن . دعني اذهب .. لا أطيق ذلك .

تائر : ولا أنا .. دعيها تقتلنا .

آن : ولم لا ؟ لا يهمنى .. تكاد قوتي أن تخوننى . لا يهمنى .. أحس اننى سيغى على .

(يدخل فيوليت واوكتافيوس من ناحية الفيلا ، ومعهما مسز وايفيلد وقد ارتدت ملابس السفر . ثم يدخل مالون وريمسدن ومن خلفهما مندوزا وستريكر . يترك تائر يد آن وقد بدا عليه الخجل ، بينما ترفع آن يدها وتفرك بها وجهها) .

مالون : أترون ؟ . يبدو أن السيدة قد أصيبت بمكروه .

ريمسدن : ماذا تعنى ؟

فيوليت : (تجرى لتقف بين آن وتائر) أمتعبة أنت ؟

آن : (تترنج ثم تتماسك بصعوبة) لقد صممت على الزواج من « جاك » (تسقط مغشيا عليها فتحاول فيوليت انقاذها من السقوط ، بينما يجرى تائر لامساكها من يدها الأخرى محاولا حملها عن الأرض . أما اوكتافيوس فيهرع لمساعدة آن دون أن يدري ماذا يفعل . وأما مسز وايفيلد فتسرع الى الفيلا . يهرع اوكتافيوس ومالون وريمسدن ويحيطون ب : آن . أما ستريكر فيتحرك عند قدمي آن ببرود ، بينما يقف مندوزا عند رأسها وكليهما هادىء رابط الجأش) .

ستريكر : والآن ، سيداتى سادتى ، أرجوكم لا تتزاحموا فوق رأسها هكذا .. ما تحتاجه هو الهواء .. كل الهواء الذى يمكن أن يصل إليها . أيها السادة .. افسحوا من فضلكم . (ريمسدن ومالون يرافقانه فى الابتعاد عن آن ، ويتجهون الى المسطح الأخضر ، ويلحق بهم اوكتافيوس بعد احساسه بعدم جدوى وقوفه عند قدمي آن . أما ستريكر فيخاطب تائر قبل أن يغادر مكانه قائلا) : « مستر تائر » .. لا تتركها وحدها .. أرقدها على ظهرها كي يتحرك الدم فى جسمها .

مندوزا : كلامه صحيح يا « مستر تائر » .. اطمئنوا .. الخير كل الخير فى هواء منطقة « سيرا » . (ينسحب تجاه سلم الحديقة) .

تائر : (يقف) أنا مذعن لخبرتك الرائعة بالفسيولوجى يا « هنرى » . (ينسحب تجاه المسطح الأخضر فيهرع اليه اوكتافيوس)

تيفى : (يمسك بيد تائر وينتحي به جانبا) مبروك عليك يا « جاك » .

تائر : أنا لم أطلب منها أى شيء . هذا فنج منصوب لى (يسير فى المسطح الأخضر تجاه الحديقة ويظل اوكتافىوس واقفا مكانه كالصخر) .

مندوزا : (يعترض طريق مسز واتيفيلد أثناء عودتها من الفيللا ومعها زجاجة ويسكى) ما هذا يا مدام ؟
(يأخذ منها الزجاجة) .

مسز واتيفيلد : قليل من الويسكى .

مندوزا : أسوأ ما يمكن أن تقدميه لها . عن اذنك (يصب الويسكى فى حلقه) هواء « سيرا » فيه البركة يا مدام . (يحملق الرجال فى مندوزا وقد نسوا موضوع آن) .

آن : (تلف يدها حول رقبة فيوليت وتهمس فى أذنها) « فيوليت » .. هل قال « جاك » شيئا عندما كنت مغمى على ؟
فيوليت : لا .

آن : آه .. (تترك فيوليت ولديها احساس عميق بالارتياح) .

مسز واتيفيلد : أوه .. لقد أغمى عليها مرة أخرى !
(الرجال على وشك أن يهرعوا اليها مرة ثانية ، لكن مندوزا يعترض طريقهم) .

آن : لا يا أمى .. لم يغم على .. أنا فى منتهى السعادة .

تائر : (يتجه اليها ويخطف يدها من فيوليت ويتحسس نبضها) ماذا ؟
.. نبضها طبيعى جدا .. هيا .. قومى .. ما هذا العبث ؟ ..
.. قومى (يجذبها لتقف) .

آن : فعلا .. أشعر الآن بتحسّن .. كدت تقتلنى يا « جاك » .

مالون : مغازل شرس .. اليس كذلك ؟ ان الاثنان لاثقان لبعضهما البعض يا « مسز واتيفيلد » . اهنتك يا « مستر تائر » وأرجو أن اراكما فى ضيافتى بالابرشية .

آن : شكرا . (تترك مالون وتتجه الى اوكتافىوس) « ريكى تيكى تيفى » .. بارك لى . (تنتحى به جانبا) دعنى ابكيك لآخر مرة .

تيفى : دموعى جفت . أنا سعيد لسعادتك ، ورغم كل شيء لا أزال قانعا بحبك .

ريمسدن : (يقف بين مالون وتانر) « جاك » .. انت رجل محظوظ ..
أنا أغار منك .

مندوزا : (يتقدم ليقف بين فيوليت وتانر) سيدي .. ان فى الحياة
مأساتان : أولاهما هى أن تفقد شهوتك العاطفية ، وثانيهما هى
أن تكتسبها . وهاتان المأساتان هما مأساتى ومأساتك يا سيدي .

تانر : « مستر مندوزا » .. أنا لا أمتلك أى شهوات عاطفية .. وانت
يا « مستر ريمسدن » .. سهل جدا أن تقول اننى رجل محظوظ
.. انت مجرد متفرج وأنا واحد من شخصيات المسرحية التى تتفرج
عليها « آن » .. كفى عن العبث مع « تيفى » .. عودى الى هنا
(يمد يده اليها) .

آن : (بخضوع) انت غريب يا « جاك » (تتأبط ذراعه)

تانر : بمنتهى الهدوء والجدية أقول لكم اننى لست رجلا سعيدا .. «آن»
تبدو عليها السعادة ، لكن الواقع أنها تحس بالانتصار .. بالنجاح
.. بالتفوق .. وليست هذه هى السعادة ، بل هى الثمن الذى
يدفعه الأقوياء ثمننا لسعادتهم .. ان ما فعلناه عصر اليوم هو أننا
نبذنا السعادة .. نبذنا الحرية .. نبذنا الهدوء .. وفوق كل ذلك
نبذنا الاحتمالات الواعدة بالمستقبل الرومانسى المجهول ، مقابل
الحصول على متاعب البيت والأولاد .. اننى أرجو ألا ينتهز أحدكم
هذه الفرصة كي يغيب عن وعيه ويطلق أحكاما والفاظا حمقاء .
وأحاسيس سعيدة خرقاء تعبيرا عن خالتى الحالية . اننا ننوى
تأثيث بيتنا على مزاجنا الخاص .. وأنا أعلن أمامكم هنا أن الساعات
السبع أو الثمانية التى قضيتها فى السفر بالسيارة .. وأن الأربع
أو الخمس حقائب المملوءة بالملابس .. وأن النحاتون .. وشرائع
السمك .. وتلك النسخ من كتاب « ملاك باتمور فى البيت » فى
مراكش النائية .. وأن كل الأشياء التى تستعدون لتكديسها فوق
رءوسنا .. كلها ستباع حالا ثم يرصد ثمنها لطبع النسخ الدورية
المجانية من «كتاب الانسان الثورى» .. سيكون الزفاف بعد عودتنا
الى انجلترا بثلاثة أيام .. وبأذن خاص .. كل واحد بتذكرته ..
عند موظف مكتب التسجيل بالحي .. وبحضور محامى الخاص
وكاتبه ، وسيرتدى الملابس العادية كما يفعل عملاؤه و ..

قيوليت : (بشدة) « جاك » .. انت انسان فظيع .

آن : (تنظر اليه بافتخار وتدعك يده بدلال) لا عليك من اتهامها يا عزيزي
.. اكمل .. تكلم .

تاتر : اتكلم !! .

(الجميع يضحكون) .

(تمت)

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

مهرجان القراءة للجميع



مكتبة الأسرة

هذا العام نحتفل ببلوغ مكتبة الأسرة عامها العاشر وقد أضاعت بنور المعرفة جنبات البيت المصري بأكثر من ٨٠ مليون نسخة كتاب من أمهات الكتب في فروع المعرفة الإنسانية المختلفة... ومنذ عشرة سنوات تفتحت عيون أطفال كانوا في العاشرة من عمرهم على إصدارات مكتبة الأسرة وكانت زادهم المعرفي عبر السنوات العشر الماضية لتلهب في تلك العقول الشابة الآن نهم المعرفة من خلال القراءة وكنا ندرك منذ البداية أن المعرفة هي سلاحنا الأمضى لتأخذ مصر مكانتها في ذلك العالم الجديد الذي تتفوق فيه المعرفة على القوة والمال لأنها تحمل الإنسان إلى آفاق لا حدود لها في عالم متغير شعاره ثورة المعلومات وسرعة تدفقها عبر كل وسائل الاتصال ولم يكن منطقيًا أن نقف مكتوفي الأيدي.. فكانت مكتبة الأسرة بكل ما قدمت إسهامًا أساسية نستقبل بها ذلك العصر الجديد، عصر المعرفة وأنا لتنتطلع في الأعوام القادمة أن تواصل مكتبة الأسرة ثمارها الياقة وتساهم في التغير المعرفي والتكنولوجي لمعطيات العصر لتفسح المجال لشبابنا أن يشارك بدور فاعل في تقدم البشرية الجديد لتكون امتدادًا حضاريًا معاصرًا للحضارة المصرية القديمة التي كانت أهم وأقدم الحضارات الإنسانية عبر التاريخ.

سوزانه مبارك

الثنى : ١٠, ٥ جنيه

